



کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران  
تاسیس ۱۳۵۷

# سيرة الشجيرة الكسبية

ابن محمد بن محمد بن حسين الشيرازي

مكتبة المجلدات  
مكتبة المجلدات

مكتبة المجلدات

مكتبة المجلدات

# منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

<https://www.facebook.com/books4all.net>



الامانة العامة  
ادارة نشر الثقافة الاسلامية

# سيرة الشيخ الكبير

”أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي“

ألفها بالعربية : أبو الحسن علي بن محمد الديلمي  
ترجمها إلى الفارسية : ركن الدين يحيى بن جنيد الشيرازي

أعاد ترجمتها إلى العربية من الترجمة الفارسية ، وذلك لفقد النص العربي  
وترجم مقدمتها من التركية ، وعلق عليها

دكتور / ابراهيم الدوقى شتا

القاهرة  
الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية

١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ م



— ﴿فَالْأَوَّلُ قَدْ﴾ —

«أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ  
يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ  
الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ  
لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

صدق الله العظيم



إهداء

إلى والدى الجليل الشيخ يوسف محمد شتا

من المهد : استمعت منك إلى كلام الله المجيد

وإلى اللحد : سيظل ما قدمت من أفضال دينا فى عنق

فإليك . .

أقدم هذا الكتاب ٤

دكتور

إبراهيم الدسوقي شتا





## تقديم

كان هدفي أن أقوم بكتابة مقدمة لهذا الكتاب ، تحتوى على مصادر حياة ابن خفيف الشيرازى وأعماله ، ولكنى وجدت المقدمة الوافية التى قدّمتُ بها « أنا مارياشميل طارى » لطبعتها على هذا الكتاب كافية بالغرض . فترجمتها عن اللغة التركية - ووضعت فى ذهنى أن أكتب مقدمة عن تاريخ هذا الكتاب ، الذى ألفه فى بداية الأمر باللغة العربية - « أبو الحسن على بن محمد الديلمى » فى أواخر القرن الرابع الهجرى ، وترجمه إلى الفارسية فى عهد الأتابك أبي سعيد - أى فى القرن السابع الهجرى - ركن الدين يجيى بن الجنيد الشيرازى ، ولم تبق إلا ترجمته بعد ضياع الأصل العربى ، وهى التى قامت بنشرها « أنا مارياتارى » فى أنقره سنة ١٩٥٥ ، وصدّرتها بمقدمة قيمة عن ابن خفيف فى المصادر العربية والفارسية والأوروبية كما ألحقت بها ملاحق قيمة عن المعلومات التى وردت عن ابن خفيف فى المصادر الأخرى ولم ترد فى السيرة .

لم يبق على إذن إلا أن أكتب عن الديلمى وابن الجنيد الشيرازى ، ولكن المصادر تصمت عن ذكرهما تماما ، بل إن أبا الحسن يردُّ فى بعض المصادر القريبة العهد منه مثل طبقات الأنصارى باسم على الديلمى<sup>(١)</sup> ، كما أنه لا يوجد ذكر عن ابن الجنيد الشيرازى ،

في مصادر قط من المصادر التي وقعت تحت يدي . ولا يذكر عن أبي الحسن . إلا أنه كان أحد مريدى الشيخ ابن خفيف . وأنه مؤلف لكتاب عن مشايخ فارس<sup>(١)</sup> . يسند أيضاً إلى الشيخ ابن خفيف<sup>(٢)</sup> . وكتاب عن الحب الصوفى ذكرته أنا ماري<sup>(٣)</sup> في مقدمتها باسم عطف الألف العطف

كما أن المصادر لا تذكر عن ابن الجزييد الشيرازى إلا أنه مترجم لسيرة العربية إلى اللغة الفرنسية .

بقى لنا إذن أن نتحدث عن قيمة هذا الكتاب الذى يبدو من ظاهره أنه اقتصر على سيرة ابن خفيف . بينما هو فى الحقيقة . يتحدث عن بيئة شيراز الصوفية فى القرن الرابع الهجرى . كما يذكر معبودات لا بأس بها عن عدد كبير من صوفية . الذين يمكن بهم كتاب آخر من الكتب التى تتراوح تصوف . خاصة الباب الذى يتناول صوفية ميرزا المدين عسرهو الشيخ أو تتناولو غيره .

وبنده معلومات صارت فيما بعد الحسن من كتب عن هؤلاء الصوفية فى المصادر الأخرى المشهورة . مثل كشف المحجوب لمجربى . وذكورة الأوتياء للعطار . وتحدث الأئسن لعباد الرحمن<sup>(٤)</sup> .

ويبدو أن سيرة المدينى حازت شهرة لا بأس بها عند هؤلاء . فإن ما رواه المدينى يذكر دائماً منسوباً إليه . كما تذكر هذه السيرة تحت

( ١ ) انظر حواشى القزوينى عن شد الإزار عن ٢١

مم سيرة ابن خفيف « تارة . و مقدمات ابن خفيف تارة  
أخرى . ولا جنال في أن هذين العنوانين يدلان على كتاب واحد .  
بقى في هذا أن ألود بالمجهود العظيم . الذي بذلته ناشرة الكتاب .  
سواء في نشر النص الفارسي . أم في متمدتها التي لم تترك فيها صغيرة  
أو كبيرة عن ابن خفيف .

ولا يقلل من هذا المجهود العظيم . بعض الهذات البسيطة في رسم  
بعض الكلمات الفارسية . أو العربية . أو بعض المنقذات . التي كانت  
تحتاج إلى إيضاح . ولا شك أن هذا كان من حسن حظي . إذ وجدت  
عملاً آخر غير الترجمة أقوم به .

هذا وأسأل الله تعالى التقدير . أن تكون قد وفقت في رد بعضه عتد  
إيننا . وهي على حالتها الأولى . أو تقترب من حالتها الأولى  
و الله ولي التوفيق .

دكتور

إبراهيم الدسوقي شتا

كبة آدب — جامعة القاهرة



## ترجمة المقدمة التركية

ترجمها عن التركية : دكتور إبراهيم الدسوقي شنا

اشتهر عدد من الصوفية الذين عاشوا في العصر الكلاسي للتصوف الإسلامي - أى في أواخر القرن التاسع والعقود الأولى من القرن العاشر الميلاديين - ( الثالث والرابع الهجريين ) في الشرق والغرب ، وجذبوا بذلك انتباه المستشرقين .

وقد وفق الحسين بن منصور الحلاج . والجنيد البغدادي ، والشبلى ، وآخرون غيرهم ، في اكتساب شهرة ما في ظل الآثار العلمية لهم ، والحكايات التي انتشرت عنهم بين الناس .

وبالرغم من ذلك . فإننا قليلا ما نلتقى نسبياً باسم الشيخ الكبير أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي ( ٨٨٢ - ٩٨٢ م ٢٦٨ - ٣٧١ هـ ) تقريباً ، في المؤلفات العلمية والأدبية ، فقد ذكره « بروكلمان » في ملاحق تاريخ الأدب العربي بوضع كلمات .

وبالرغم من أن حياة ابن خفيف الصوفية ، التي ستكون مدار بحثنا الحالي ، لا تغص بكرامات كثيرة ، كما أن الأقوال الصوفية التي رويت عنه . ليست في عمق كلمات الجنيد ، أو في حدة عاطفة كلمات ذي النون وعمق تأثيرها ، إلا أن سيرة هذا الشيخ ، تلقى الضوء على حياة متصوفة شيراز ، وتعرض بعض خصائص بيئة دينية ، تبدى رعاية فائقة ، للتمسك بأشد أنواع الزهد ، والتمسك بالشرعة .

ومن أوائل المستشرقين : الذين انتبهوا بدقة العلماء إلى ابن خفيف « ف . وستنفلد » في بحثه عن الإمام الشافعي <sup>(١)</sup> ، فقد ذكر أن ابن خفيف : « قام برحلات طويلة هدف منها زيارة الفقهاء والمتصوفة والزهاد » كما ذكر أنه « قَبِلَ مذهب الأشعرى الصوفى وعاداته » وأنه « أمضى فترة عند الأشعرى في دراسة علم الكلام » — كما ذكر شرايتر في مقالة له <sup>(٢)</sup> أنه « كان يشرح دروس الأشعرى بصفته قد شهدنا » . وأشار جولد تسيهر ، إلى أن ذكر ابن خفيف بين علماء الشافعية ، منحه مكانة خاصة بين الصوفية <sup>(٣)</sup> .

وإلى نفس الموضوع أشار آمدروز في مقالة له <sup>(٤)</sup> ، واستناداً على رواية للذهبي ( المتوفى سنة ١٣٤٨ م — ٧٤٨ هـ ) ، فحواها أن ابن خفيف كان يخالف رفاقه الصوفية ، ويذهب إلى مجالس الحديث متخفياً . ثم ردد ميتز نفس هذه الحكاية <sup>(٥)</sup> . وروى عنه آمدروز أيضاً حكاية اتهمه بالسرقة ، وانتقاده من إقامة الحد بمحض الصدفة <sup>(٦)</sup> ، وأورد نفس الباحث رواية ثالثة نقلها عن الهجویری ( المتوفى سنة ١٠٧٢ م — ٤٦٥ هـ ) ثم تناولها ميتز أيضاً <sup>(٧)</sup> ، وفحواها أن الشيخ الشيرازي تزوج أربع مائة امرأة .

Wustnfele (F.), Der Imam Schafei. N. 198. (١)

Schrieknr, Beitrage Zur Geschichte der Islamischen Theologie ZmMG 52 489. (٢)

Zur Gottesliebe in der Islamischen Theologie, Islam 9.152 (٣)

Notes on some sufi lives, J. R. A. S. 1912, 556. (٤)

Die Renaissance des Islam, p. 18 (٥)

ولجواد تسيهر كتاب قيم أوقفه على بحث المذهب الظاهري ، وفيه يدعى عن ابن خفيف « أنه لم يكن كثير الاهتمام بأصول المذهب الظاهري » <sup>(١)</sup> ، وهذه الفكرة يناقضها ما روى عن ابن خفيف أنه حين عجز عن القيام بالصلاة واقفا . وأداها قاعدا ، قام بها ضعفاً ، ذلك أن ابن خفيف ، يقرر أصول هذه الواقعة بأسلوب ظاهري ، يخالف المذهب المضاد تماماً .

وهذه حالة ظاهرية بحتة . ويمكن أن يكون في هذا واقعا تحت تأثير مرشده « رويم » الذي يعد من أوائل الظاهرية بين الصوفية . كما ورد في كتاب آخر لنفس هذا العالم <sup>(٢)</sup> . بضع سطور عن ابن خفيف في الباب الخاص بالزهد .

« ولرودلف هارتمان » كتاب يعالج الرسالة القشيرية <sup>(٣)</sup> : ومن الطبيعي جداً أن يتعرض بالبحث لكثير من الأقوال المروية عن شيخنا في الرسالة وهي قدر كبير .

وأكبر اهتمام بابن خفيف ظهر حتى الآن : هو ذلك الذي بدأه « لويس ماسينيون » وذلك لأن الشيخ الشيرازي يعد واحداً من القلائل ، الذين اعتقدوا في العلاج وحسن قبوله عندهم ، في عصر كفر فيه . ففي La passion d'all Hallaj وفي كتبه الأخرى التي خصصها للعلاج والتصوف القديم ، يقدم بعض المعلومات ، التي

Die zehiriten, p. 112.

(١)

Vor lesungen über den Islam

(٢)

Al-Kuchiaris Darstellung des Sufitvts .

(٣)

تدور حول ابن خفيف في كتبه نفسها ، ومن النقاط التي استنسخها من كتب المؤلفين المسلمين ، وبعد ما أورده في :

Bibliographie Hallajienne ( N. 141) من نصوص مختارة حول ابن خفيف مفتاحا لهذا الموضوع . وفي نفس هذا الكتاب ، يقدم خلاصة لخصائص ابن خفيف ، فهو شيخ الطريقة الخفيفية ، التي سارت على أثرها الطريقة الكازرونية . وهو محدث يبدو قريبا من المذهب الظاهري ، وهو تلميذ للأشعري في الكلام ، كما أنه كان مخالفا بالقطع للطريقة السليمية .

وبعد ذلك يوضح انحياز أبي عبد الله للحلاج ، تجاه الحركات المعادية له ، وقد قدر هذا الصوفي الكبير في جميع النواحي ، ووصفه كعالم رباني . وإن لم يقبل نظريات التقديس المترتبة على اتحاد اللاهوت بالناسوت . والتي تقترب من أفكار مسيحية ، كما وضع أن الكرامات التي أظهرها الحلاج . صادقة طبقا للمذهب الأشعري ، وأنها من الممكن أن تظهره كولي . وأن تظهره كساحر . بحسب تجليات الإرادة الإلهية المنتظرة .

وقد جمع « ماسينيون » مختلف النصوص حول الحلاج في مؤلفاته <sup>(١)</sup> . وفي أخبار الحلاج ، مستندا على سيرة ابن خفيف ، خاصة تلك الأخبار التي رواها مريده ابن باكويه .



وعلاوة على ذلك ، فقد أثبت « ماسينيون » في مقاله عن روزبهان البقلي <sup>(١)</sup> ، أن الشيخ الشيرازي كان المرشد الروحي للبقلي المتوفى سنة ١٢٠٩م « ٦٠٦ هـ » . أمام . وايزويلر <sup>(٢)</sup> فقد أشار إلى الشيخ الشيرازي في معرض إشارته إلى كتاب اللدلمي (المتوفى بعد سنة ١٠٠٠م ٣٨٩ هـ) . يدور حول العشق الصوفي ويسمى « عطف الأليف المعطوف » . ويحتوي على أقوال لشيخه ابن خفيف ، وهذا الكتاب الذي سبق ذكره لللدلمي تعرض لتدقيق علي يد « ريتز » <sup>(٣)</sup> فبعد أن أشار إلى أنه واحد من الكتب ، التي كتبت عن الحب الصوفي عند ابن خفيف ، أشار إلى المخطوطة كواحدة من أندر المخطوطات ، التي وصلت إلى أيدينا .

وأخيرا فإن « موير » تحدث عن ابن خفيف بالتفصيل في المقدمة ، التي كتبها على سيرة الكازروني . فنشر معلومات مستقلة عن حياته ، ذلك أن الكازروني طبقا لرؤيا اختار ابن خفيف مرشدا له ، وسلسلة الطريقة الكازرونية تصل إلى ابن خفيف عن طريق الأكار ، وفصل « موير » بعض الروايات المختلطة بشأن هذا الموضوع عن بعضها ، وأثبت الصلات الحقيقية <sup>(٤)</sup> .

J. Pedersen Melange.

(١)

Weisweiler (M.), Die arabischen Handschriften der Universitaets bibliothek Ounbingen, N. 81

H. Ritter, Philologica, VII, Islam 21.

(٢)

(٤) آخر ما كتب باللغات الأوروبية عن ابن خفيف : فصل في كتاب : (A.J)

Arbery, Shiraz, the city of saints and poets. Cambridge 1960)

وقد كان كل اعتماده على الكتاب الذي بين أيدينا ( المترجم ) .

وأهم مصادرنا عن حياة الشيخ الشيرازي الكبير ، السيرة التي كتبها أبو الحسن الديلمي باللغة العربية. وترجمها إلى الفارسية في عهد الأتابك أبي سعيد (أوائل القرن الرابع عشر الميلادي - الثامن الهجري) ركن الدين ابن جنيد الشيرازي. وقد وصلنا نسختان من الترجمة الفارسية للأصل العربي المفقود بعنوان «سيرة الشيخ أبي عبد الله بن خفيف» إحداهما في مكتبة كويرلو تحت رقم (1589) والأخرى بمكتبة برلين وسيرد ذكرها فيما بعد .

وإلى جوار كتاب الديلمي وصل إلى أيدينا عملان قصيران : أحدهما العقيدة الصحيحة ونسخته العربية في مكتبة آياصوفيا<sup>(١)</sup> والفتاح<sup>(٢)</sup> . أما ترجمته الفارسية ففي آياصوفيا<sup>(٣)</sup> ثم الوصية التي كتبها لمريديه ونسختها العربية ، موجودة في «توبنجن»<sup>(٤)</sup> ، أما نسختها الفارسية ، فموجودة في مكتبة شهيد علي باشا<sup>(٥)</sup> ، والترجمتان الفارسيستان فضلا عن أنهما ترجمتان فهما أيضا شرحان .

ومن المعروف أن الشيخ الشيرازي ، زار الحسين بن منصور في السجن ، وقد شرحت تفصيلات هذه الزيارة بشكل أسطوري في كتاب المناقب ، وهذا الكتاب موجود في برلين<sup>(٦)</sup> وبيع بعض التغيير

S, 4792, f 746b-748 a. (١)

5381. (٢)

479 z, f. 777 a-784 b. (٣)

Tubingen weiswiler N. 89, 21, f 127 b-128 b. (٤)

Sehitali pasa, 1388, 156 b'159q b. (٥)

3-9, z, Pm11, 553 (٦)

البيسط في لندن<sup>(١)</sup> . وكتاب عطف الأليف المعطوف ، الذي سبق ذكره للديلمى مؤلف كتابنا هذا ، راجعه ابن خفيف مباشرة لمريده ، والنسخة الموجودة في «توبنجن» . لم ينقل منها مع الأسف إلا قليلا من أقوال مرشده ، وقد عرض الديلمى في بداية هذا الكتاب بعض الأفكار عن كتابين مفقودين ألفهما ابن خفيف في هذا الموضوع .

وكما ذكر في كتاب « وستنفيلد » السالف الذكر . ذكر أيضا في كتاب « كشف الظنون » لكاتب جلبي<sup>(٢)</sup> كتاب لابن خفيف في فضل الدعاء وفضل المناجاة ، ومثل هذا الكتاب لم يرد في قوائم المؤلفات المنسوبة للشيخ . التي أوردها الديلمى والجنيد الشيرازى .

وتحدث ابن النديم في الفهرست<sup>(٣)</sup> عن كتاب نسخته الشيخ بعنوان « كتاب الدبابات والمنجنقات والمقاعد » وهذه النقطة غامضة إلى حد ما . وذلك لأننا نعلم أن الذى يشغل نفسه بنسخ كتب الحديث وهذا النوع من المؤلفات . ليس من المحتمل أن يشغل نفسه بنسخ كتب المنجنق وآلات الحرب .

وفى فهرست مكتبة مشهد<sup>(٤)</sup> . التى استند إليها « بروكلمان » ، كتاب يسمى « أوصاف القلوب » لمؤلف اسمه عبد الله . يتسرع في إسناده إلى أبى عبد الله بن خفيف . ومع ذلك فهذا العنوان أو ما يشابهه ، ليسا في القائمتين الموجودتين لدينا .

N. 888

(١)

N 10, 373.

(٢)

(٣) ص ٣١٥ .

(٤) فهرست كنيخانة مشهد (مجلد ٢ صحيفة ٣٣٣ نمرة ٢) .

والأخبار المنتشرة عن معلوماتنا حول حياة الشيخ الشيرازى موجودة فى كل كتب التصوف ، خاصة تلك الكتب التى تحتوى على سيرة صوفية العصر الكلاسى .

وهناك مرجع قيم هو كتاب « حلية الأولياء » لأبى نعيم الأصفهانى ( المتوفى سنة ١٠٣٨ م ٤٢٧ هـ )<sup>(١)</sup> ، خاصة وقد نقل بعض الأقوال التى لم ترد عند الديلمى أو عند الجنيد الشيرازى .

ذلك أننا من أجل أن نُكوِّن فكرة عامة عن ابن خفيف لم ترد فى الترجمة الفارسية لسيرته مضطرون إلى مراجعتها على بعض المراجع الأخرى التى روت بعض كلماته ، وذلك لأن المترجم أخذ بعض الأقوال التى يفهمها ، ولم يستطع بعض الناس فهمها بالشبهة ، ومن المحتمل أيضا ألا تأخذ النسخة الأصلية - وهى فى غاية الأهمية - بأيدينا فى بعض النقاط الهامة .

وإلى جوار حلية أبى نعيم ، يُشكِّل كتاب السلمى « طبقات الصوفية » مرجعا هاما ، وقد استفدت من مخطوطة هذا المرجع الموجودة فى مكتبة جامعة « ابسالا » والمصورة بالميكروفيلم تحت رقم ٧٩٤ عمومى<sup>(٢)</sup> ، وبالمقارنة مع الديلمى فإن السلمى قد أضاف بعض الحكايات التى وردت فيما بعد فى الكتب التى اعتمدت على طبقات الصوفية .

( ١ ) مجلد ١٠ ص ٣٨٥ - ص ٣٨٦

( ٢ ) نشر هذا الكتاب منقحا ومزيدا على يد الأستاذ نور الدين شريعة ( القاهرة ١٩٥٢ )

وبعض النقاط الصغيرة التي لم يذكرها السلمي في هذا الكتاب موجودة بالتفصيل في كتاب « نامه دانشوران » في الجزء الذي يتحدث فيه عن ابن خفيف ، وهو مطول عن التلخيصات التي نقلها السلمي .

ومن أهم الأعمال التي اعتمدت على السلمي كتاب طبقات الصوفية لأبي عبد الله الأنصاري الهروي ، ومعظم ما ورد في هذا الكتاب موجود في نفحات الأنس لجاي . وقد قرأت كتاب الأنصاري عن مصور لمخطوطة وجدها الأستاذ ريتز في نافذ باشا تحت رقم ٤٢٦<sup>(١)</sup>

وقد أخذ جاي ( المتوفى سنة ١٤٩٥ م - ٨٩٨ هـ ) كل الأخبار التي أوردها عن ابن خفيف كلمة كلمة من الأنصاري<sup>(٢)</sup> ، ولكنه أغمها بالأخبار التي أوردها كساب الديلمي ، فلم ينقل الأخبار الخاصة بابن خفيف فحسب ، بل نسخ الأخبار التي تتصل بالمتصوفة الموجودين في شيراز في زمانه ، وقد ضمّن كتابه بعض الأفكار الكثيرة المتعاقبة من كتاب الديلمي خاصة البابين السابع والثامن والتي لم تذكر في المصادر الأخرى عن بعض المتصوفة المشهورين . ( على سبيل المثال معلوماته عن أبي محرز و أحمد بن يحيى والأشناني )<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) طبع هذا الكتاب ونشر باهتمام عبد الحى حبيبي ( كابل سنة ١٣٤١ هـ . ش ) .

( ٢ ) انظر نفحات الأنس ص ٢٣٥ - ص ٢٣٦ . الطبعة الجديدة بتحقيق مهدي توحيد بور طهران سنة ١٣٣٦

( ٣ ) انظر نفحات الأنس ص ٢٤٠ ، ص ١٤٤ ، ص ١٩٨ على التوالي .

وفي الكتاب المسمى بطرائق الحقائق - الذي يعتمد على نفوذ ابن خفيف ، والذي روجع على كتاب جامي ونقل منه - بعض الحكايات التي لا توجد في مرجع آخر ، وقد اتخذت سيرة الشيخ عنده مكانا كبيرا . ومن المحتمل أنه لم يرد في مرجع آخر ، وذلك لأن هذه الحكايات تشكل معلومات متكاملة . ولم تدخل في كتاب ابن الجنيّد لسبب أو لآخر .

والرسالة القشيرية مرجع مفيد بالنسبة للدراسات أقوال ابن خفيف : وقد خصص للشيخ باباً<sup>(١)</sup> . كما أن كلماته منتشرة في أبواب الكتاب المختلفة ( الفقر التوكل إلى آخره ) .

أما الهجویری في كتابه الكبير كشف المحجوب فقد درس الشيخ النشیرازی في باب خاص<sup>(٢)</sup> ، والمعلومات التي أوردتها مطابقة في بعض فقراتها لما أورده العطار . خاصة الرواية التي ذكرت في شأن ابن خفيف وتزوجه أربع مائة امرأة ، فهي لم ترد إلا في هذين المرجعين . وبأستاذية ذكر الهجویری طريقة ابن خفيف حينما كان يشرح الحضور والغيبة<sup>(٣)</sup>

أما بالنسبة للعطار ( المتوفى سنة ١٢٢٠م - ٦٢٧هـ ) فقد جمع كل ما وصل إلى يديه من معلومات عن ابن خفيف بانتباه وكدح<sup>(٤)</sup> ،

( ١ ) الرسالة القشيرية ص ٣٧ ، ص ٣٨ من طبعة مصر سنة ١٢٨٤

( ٢ ) كشف المحجوب ص ١٩٩

( ٣ ) نفس المصدر ص ٣١٧ - ص ٣١٩

( ٤ ) ... ١٢٠ - ١٣١

ولأنه قرأ اسم الشيخ على أصوله الفارسية فهم أن «خفيفا» لقب له ،  
فجاهد في شرح معنى هذا اللقب . وبقدر ما جمع في هذه الدراسة  
من أساطير وخیالات لا بأس بها فقد ابتعد عن المعلومات التاريخية  
الموجودة في المراجع الأخرى : فأخذت دراسته هذه شكل الأسطورة  
أو الحكاية . فما أُشير إليه بجملة أو جملتين في المصادر السابقة  
ورد في كتابه في صورة حكايات مفصلة وبعض هذه الحكايات  
لا أساس لها في مصادر أخرى .

وبالرغم من ذلك فقد تناول أقوال الشيخ بشكل موثوق به . بحيث  
إن كل قول له ما يشابهه في المصادر الأخرى بالعربية أو بالفارسية .

وكل روايات العطار موجودة في كتاب معصوم على شاه  
« طرائق الحقائق » ، في الفصل الذي خصصه لابن خفيف<sup>(١)</sup> ،  
وقد تناول بطريقة أكثر معقولة الحكايات التي تتحدث عن زيجات  
ابن خفيف الكثيرة ، فهي أقرب إلى الحقيقة مما هو موجود في تنقيح  
نيكلسون على التذكرة .

وهناك مصدر آخر ملئ بالمعلومات عن ابن خفيف . وهو كتاب  
الجنيد الشيرازي « شد الإزار » ، فهذا الكتاب المؤلف سنة ٧٩١ هـ  
ملئ بروايات مفصلة عن العلماء والأولياء المدفونين في شيراز ، ومادام  
من الطبيعي أن يعطى معلومات حول أولياء شيراز المحليين فقد وضح  
بدرجة كافية بعض المعلومات حول أم الشيخ ووالده وخدمه وأصدقائه .

---

( ١ ) الجزء الثاني من تذكرة الأولياء ص ٢١٢ - ٢٢٤

ومما زاد في قيمة هذا الكتاب الملاحظات القيمة الخاصة بالسير .  
والتي أضافها إلى هذا المؤلف ناشره العالمان محمد عبد الوهاب القزويني  
وعباس إقبال .

وبالرغم من ذلك فإن المعلومات التي احتواها كتاب الجنيد  
الشيرازي عن ابن خنيف ليست بأكثر مما ورد في كتاب الديلمي  
— وهو يعتبر الديلمي أهم مصادره — ، فقد كان كتاب الديلمي موجودا  
ومتداولاً في شیراز في ذلك الزمن ، كما نعلم في مقدمة ترجمة الجنيد  
الشيرازي الفارسية . ولكن هذا الكتاب يؤكد معرفتنا لبعض الشخصيات  
التي لعبت أدواراً صغيرة في حياة الشيخ ، كما يؤيد بعض الروايات  
التي وردت عن الجنيد الشيرازي مترجم السيرة .

ويعتمد كتاب شیراز نامه الذي كتبه زركوب الشيرازي في  
منتصف القرن الرابع عشر على الروايات المذكورة في شد الإزار  
وهو لا يعد من مصادرنا المعتمدة : لأنه يخلط في التواريخ . ولأنه ساق  
عن ابن خنيف ومعاصريه فصلاً قصيراً بشكل لم يتحرر فيه الدقة .

وتوجد في مكتبة كلية اللغة والتاريخ والجغرافية بجامعة أنقره  
مخطوطة مسجلة تحت رقم «إسماعيل صائب (3575) » وهي باللغة  
العربية ، وتحت عنوان «طبقات الصوفية» ، وهي تتيح لمننا هذا  
بعض المقارنات الطيبة . وهي باسم عبد الله بن يحيى بن محمد  
الشافعي .

وللمؤلف أيضاً مخطوطة تحت عنوان « طبقات الفقهاء » أنهاها  
في العاشرة من ذي الحجة سنة ٨٧٩ هـ - ١٤٧٤ م ، وكتاب الطبقات



هذا يستفيد من السلمى والقشيري وابن عساكر وابن الجوزى  
والسماعى ، ويرتب الطبقات ترتيباً أبجدياً ، وتبدأ بإبراهيم ،  
أحمد . . . . . إلى آخره وما بقى من المخطوطة يبلغ  
مائة واحد وثلاثين ورقة من الكاغد الأفر ، ولم تعد صفحاتها حتى  
الآن وهى طبقاً للفهرسة خمس وسبعون ورقة . ويتحدث المؤلف  
عن تاريخ حياة الشيخ بالتفصيل ، ولأنه يروى لنا أجزاء لم ترد  
فى مصدر آخر لابد أنه كان قد وضع تحت أنظاره الأصل العربى  
لكتابنا هذا ، وعلى هذا فقد حافظ بشكل جيد على بعض مواضع  
السيرة العربية كما تلتقأها . ولأن متن هذه المخطوطة شديداً القرب  
من النصوص التى أوردها السبكى والذهبى<sup>١</sup> فيمكن القول أنهم  
جميعاً اعتمدوا على أصل عربى واحد .

وإلى جوار كتب الطبقات التى خصصت أبواباً مستقلة لابن خفيف  
فقد تناولته بالبحث الكتب الأخرى التى تبحث فى التصوف .

ومع ذلك فإن هذه الكتب لا تضيف إلى معلوماًتنا إلا القليل  
حول حياة الشيخ ومذهبه ، وذلك لأنه لم يبلغ من الشهرة ما بلغه  
معاصروه الكبار .

فلم يقدم المكي ( المتوفى سنة ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م ) فى كتابه قوت  
القلوب ولا الكلاباذى ( المتوفى سنة ٣٧٩ هـ - ٩٩٠ م ) فى كتابه  
التعرف معلومات كثيرة عنه ، وذلك لأنهما عاشا فى زمن قريب  
جداً من ابن خفيف<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) كتب آربرى فى الترجمة التى قام بها على الكلاباذى تحت عنوان :

The Doctrine of the Sufis.

امم الشيخ خطأ فى موضع : أبو بكر أحمد بن خفيف .

أما أبو النصر السراج (المتوفى سنة ٣٧٨هـ - ٩٨٨) وبالرغم من أن الشيخ الشيرازى مرشده إلا أنه لم يذكر الشيخ فى كتابه اللمع إلا مرة واحدة. وفى موضع ليس على جانب كبير من الأهمية<sup>(١)</sup> وفى مقابل ذلك فقد اتخذت أقوال ابن خفيف وبعض الروايات التى تدور حوله خبرا فى كتاب « إحياء علوم الدين » للإمام الغزالى : وعلى سبيل المثال فى باب الفقر وباب المراقبة . وبالرغم من أنه رواها دون ذكر اسم الشيخ. أما بالنسبة للحكاية الموجودة فى باب المراقبة فهى لا توجد عند الديلمى .

وإلى جوار ذلك : فهناك ذكر لبعض الأمثلة القصير عن الشيخ الشيرازى فى كتاب الكنفوى ( المتوفى سنة ١٥٨٢م ) ٩٩٠ هـ ) « أعلام الأخبار »<sup>(٢)</sup> . وفى كتاب السهروردي « آداب المريدين »<sup>(٣)</sup> . كما احتوى على بعضها كتاب عبد القادر الجيلانى « الغنية » . ولا شك أنه توجد فى كل المصادر الصوفية التى غابت عن أنظارنا حتى الآن أقوال لابن خفيف أو روايات منسوبة إليه : وبالرغم من ذلك فنحن واثقون فى أنها لن تغير كثيرا فى أفكارنا ومعلوماتنا عن الشيخ .

وفى كتاب اليافعى ( المتوفى سنة ١٣٦٦ م ٧٦٧ هـ ) الذى يحتوى على حكايات الأولياء - والمسمى « روض الرياحين » -

( ١ ) ص ٢٩٨ . ( ٢ ) مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٢٢٤٦

( ٣ ) مكتبة استانبول تحت رقم ١١٣٦

يتحدث المؤلف عن سباحة مشيرة قام بها الشيخ إلى أولياء  
فارس . ونفخس المؤلف في كتابه عن التاريخ « مرآة الجنان »<sup>(١)</sup>  
يذكر هذه الرواية دون أن يضيف إليها شيئا . إلا أنه كتب  
أخبارا متناقضة .

وإلى جوار ذلك . فهناك عدو التصوف القدير الفقيه  
الحنبلى ابن الجوزى ( المتوفى سنة ١٢٠٠ م ٥٩٧ هـ ) ، ففي  
كتابيه المسمى « تلبيس إبليس » ، قدم تفسيرات خاصة  
لحكايات رواها عن ابن خفيف ، كما قدم أمثلة سيئة  
لبعض الرياضات المستكرهه . والتصرفات المخالفة للسنة ،  
ثم هاجمه باستخفاف وتحريج شديدين وهو أيضا المرجع  
للوحييد الذى وردت فيه حكاية تحتوى على اجتماع المريدين  
بعد جنازة . واختلاطهم بالنساء . . . .

وقد قدمت كتب التاريخ العربية والفارسية أخبارا  
عن ابن خفيف . وذكرت وفاته في حوليات الطبرى التى  
نشرها دجويجى<sup>(٢)</sup> . كما تحدث عنه ابن الأثير في الكامل<sup>(٣)</sup> ،  
ويظهر الخطيب البغدادي في المجلد الثامن من تاريخ  
بغداد<sup>(٤)</sup> اسم ابن خفيف وشخصيته خاصة عند حديثه  
عن دعوة الحلاج . وخصص ابن عساكر في « تبیین کذب

(١) مجلد ٢ ، ص ٢٩٧ .

(٢) ص ١٠٨ .

(٣) ص ٩٠ ، ص ١٢ .

المفتري» فوصلا كبيراً عن الشيخ الشيرازي<sup>(١)</sup> : كما  
قدم السمعاني في كتابه «الأنساب» بعض الملاحظات القصيرة  
بشأن ابن خفيف وأساتذته وطلبته . مجالس الحديث .

أما الذهبي في كتابه العظيم «التاريخ» فقد أعطى لشيخنا  
مكاناً كبيراً وذكرنا طويلاً<sup>(٢)</sup> ، وأهم مراجعه «طبقات السلمى» .  
وإلى جوار السيرة فنحن مدينون بأكثر المعلومات تفهيمياً  
ودقة للسبكى ( المتوفى سنة ١٣٧١ م ٥٧٧٢ ) ، ففي طبقات  
الشافعية<sup>(٣)</sup> لم يقدم بعض الحكايات التي عرفتنا ببعض  
أحوال الشيخ فحسب ( مثل دخل الشيخ ) وأول ماقرأ  
العلم ، والتحدى الذي دخل فيه مع البرهمي ، بل نقل أيضاً  
بعض أقوال الشيخ التي يمكن مقارنتها مع الحلية والقشيري بغية  
تشبيتها .

وعلاوة على ذلك ، فقد احتوى على المقطوعة السجعية  
الجميلة التي كتبها ابن خفيف : وتدور حول اشتراكه  
في مجلس درس الأشعري بالبصرة .

أما ابن العماد في كتابه في التاريخ « شذرات  
الذهب »<sup>(٤)</sup> فقد قدم في أخبار سنة ٥٣٧١ ٩٨٢ م خلاصة

(١) ص ١٩٠ - ص ١٦٢

(٢) الذهبي مجلد ٣ ، أياصوفيا ٣٣٠٨

(٣) مجلد ٢ ، ص ١٥٠ - ص ١٥٩ .

للأخبار التي وردت عند السبكي، كما أن هذه السنة صارت مقبولة عند معظم المؤلفين كسنة وفاة ابن خفيف .

ولم ينس المؤرخون الإيرانيون الحديث عن مواطنهم ، فذكره حمد الله مستوفى القزويني في كتابيه « تاريخ كزيده »<sup>(١)</sup> ونزهة القلوب<sup>(٢)</sup> « بتقدير كبير . كما جعله خوندمير في كتابه المسمى « حبيب السير » موضوعا للحديث ، ولكنه استنادا على رواية غير صحيحة منسوبة إليه ، وعلى بيت شعر نقله عن ابن الجنييد الشيرازي أورده في المقدمة ، فقد أدخله في باب الشعراء<sup>(٣)</sup> ، في حين أننا نستطيع أن نقول أنه بالرغم من مزاياه وفضائله السالفة ، فهو بعيد جدا عن الشاعرية . وبالرغم من ذلك ففي كتاب « نامه دانشوران »<sup>(٤)</sup> الذي اعتمد على خوندمير يوجد نفس الوصف ، كما ازداد عدد الأبيات التي نسبت إليه ، وإلى جوار ذلك فالمعلومات الأخرى الواردة في هذا الكتاب والتي اعتمد فيها على جامي ثابتة وموثوق فيها .

كما لم ينس الجغرافيون أيضا هذا الأمر ، فقد منح ياقوت الشيخ أثناء حديثه عن شيراز في كتابه

---

( ١ ) ص ٧٨٢ ؛ ص ٧٨٣ .

( ٢ ) ص ١١٦ .

( ٣ ) المجلد الثالث الباب الثاني ص ٦٣ .

( ٤ ) المجلد الثاني ص ٤٤٤ .

« معجم البلدان » <sup>(١)</sup> . كما ذكره القزويني في كتابه « آثار البلاد » باختصار في موضعين <sup>(٢)</sup> ، والمعلومات التي يذكرها ناصري في المجلد الثاني من كتابه « فارس نامه » <sup>(٣)</sup> لاتضيف إلى معلوماتنا الجديدة .

وفي إطار سيرة الديلمي ، وأطراف حكاية وصلتنا عن الشيخ خارج السيرة تلك التي رواها ابن بطوطة <sup>(٤)</sup> ( المتوفى سنة ١٣٧٧ م ٧٧٨ هـ ) ، يصف هذا الرحالة مزار ابن خفيف بأنه مكان مقدس يحج إليه الكثيرون . ويذكر أن الشيخ ذهب في تجواله حتى جزيرة « سرنديب » ويجعله بطلا لحكاية مشهورة من حكايات المسندباد . فبينما كان يتجول هو وأصحابه في غابات الجزيرة . ذبح الرجال الجياع فيلا صغيرا . وبعد أن أكلوا لحمه ، أتى الفيلة الكبار وانتقموا لأكل صغيرهم . ولكن الفيلة ممتنة للوحيد الذي لم يأكل من لحم الفيل الصغير — وهو ابن خفيف — حملته وذهبت به إلى العاصمة . وبعد أن غاص في النهر أخرج مجوهرات قيمة وقدمها للملك . وليس في الإمكان تحريف أكثر من هذا لصورة ابن خفيف الزاهد المنصرف عن الدنيا .

(١) جلد ٣ ص ٣٥٠ .

(٢) ص ١١٢ - ص ١٤١ .

(٣) ص ١٤٢ - ص ١٥٨ .

(٤) رحلة ابن بطوطة : ج ١ ص ١٣٣ - ص ١٣٤ من طبعة مصر .

فإذا ضممنا كل المعلومات التي ذكرت في كافة المصادر  
عن ابن خفيف إلى بعضها من الممكن أن نرسم حياته على  
نوجه التالي :

هو أبو عبد الله محمد بن خفيف ( وعند البعض ابن  
نخفيف ) بن اسفكشاد الضبي . وهو ابن أحد القواد الديلمية .  
جاء من كلاشم ، وفي نيسابور ترك الجندية بعض الوقت  
وتزوج من ابنة إمام الطائفة الكرامية ، وذهب أبوه مع  
الأمير الصفغاري عمرو بن الليث إلى شیراز ( حوالى سنة  
٨٨١ م ٢٦٧ هـ ) ، وهناك ولد محمد . وحينما عاد عمرو  
ابن الليث إلى خراسان ( سنة ٨٨٣ م ٢٦٩ هـ ) : كان محمد -  
طبقا لروايته نفسه - في الشهر الثامن من عمره فمن المحتمل  
أن يكون مولده على كل حال سنة ٢٦٨ هـ - ٨٨٢ م .

كانت كنيته أول الأمر أبا الحسين . وعرف بهذه  
الكنية عند أصدقائه الشيرازيين القدامى وعند جند أبيه<sup>(١)</sup>

وكانت والدته - التي انحدرت من بيضة دينية - امرأة  
ظاهرة جدا . عميقة الروح . ويخصص لها كل من الجنيد  
الشيرازي في كتابه « شد الإزار »<sup>(٢)</sup> وجامي في « نفحات  
الأنس »<sup>(٣)</sup> بابا مستقلا . وأغلب الأمر أن هذه السيدة تركت  
أثر عميقا في طفلها الوحيد محمد .

( ١ ) السيرة باب ١ - فصل ١ - باب ٣ - فصل ٢ .

( ٢ ) ص ٣٦٨ ص ٣٦٩ .

( ٣ ) نفحات الأنس : ص ٦٢٢ .

أمّا بالنسبة لأبيه وقد عسّاد إلى الجندية فكان  
يعود إلى المنزل ثملا في بعض الأحيان <sup>(١)</sup> وهو يبدى الدهشة  
ليول طفله الدينية .

وقد رفض ابن خفيف أن يبدل الخرقه التي ألبسته  
إياها أمه بالخرقة التي قدمها إليه الصوفي البغدادي الكبير  
ابن عطاء ، مبينا تبجيله لأمه . وكان هذا تصرفا غاية من الحسن  
مدح عليه كثيرا <sup>(٢)</sup> .

وبينما كان الابن قائما ينتظر المعجزات ذات ليلة  
شرفت أمه بتجل عظيم جدا <sup>(٣)</sup> . وبالنسبة لهذا الأمر فقد  
كان يستطيع أن يقدر قيمة أمه جيدا ، وقام ابن خفيف  
حينما كان ذاهبا إلى الحج للمرة الرابعة ، باصطحاب أمه  
عن طريق البحر <sup>(٤)</sup> .

أمّا بالنسبة لطفولة ابن خفيف فالروايات مختلفة ، فطبقا  
للروايات التي يرجعها الديلمي كان الفقر والحاجة يحكمان  
بيته ، وذات يوم وقد عاد الابن متألّم القدم ، أرادت الأم  
أن تذيب بعض الشمع لتدهنه به ، وحينما أشعلت الموقد لم  
يكن في المنزل قطعة حطب واحدة <sup>(٥)</sup> ، وكان ابن خفيف قد  
وقف حافى القدمين في الثلج يستمع إلى حديث مرشده .

---

( ١ ) السيرة باب ٢ - فصل ٢ .

( ٢ ) السيرة : باب ٦ - فصل ٧ .

( ٣ ) ١٠ - ١٣ ، صفحات ص ٦٢٢ - ٢٣ شذرقم ٢٢٤ .

( ٤ ) سيرة ٣ - ٤ ، ٢٣ .

( ٥ ) سيرة ب ٢ ف ٢ .



وعدد بقدمه لى تلك الحال . وبعد هذه الحادثة منعه مرشده  
مؤمل الجصاص من رياضة التجول فى الثلج بقدّم عار . فليست  
هذه المرتبة من مقامات الغلمان .

وأظهر ابن خفيف منذ طفولته شغفا شديدا بمزاولة  
نزهة والرياضة ، وبينما كان طفلا بايعه صوفية شيراز ،  
ويشهره الشيخ أحمد بن يحيى الذى انتسب إليه أولا  
بمستقبل باهر فى طريق التصوف لكمال طاعته<sup>(١)</sup>

أما الهجويرى<sup>(٢)</sup> والأنصارى والطار والمصادر التى  
عتمدت عليهم . فتذكر أنّ ابن خفيف كان من أبناء  
ملوك ، وأنّ الله منحه التوبة فهجر الدنيا . وهذه الحكاية  
أنموذج مشهور . وحادثة تقابل فى كل دين ( وأشهر مثال لها  
فى التصوف إبراهيم ابن أدهم ، وفى الهند بوذا ، وفى المسيحية  
فرانز الأسيسى . وهلم جرا ) وقد ذكر تعبير أبناء  
ملوك هنا غالبا ، لأنّ أباه كان من الضباط . ومن طبقة الحكام  
الدليلة .

وبالرغم من ذلك ، فطبقا للدليلى ورواياته فإن هذه  
لتوبة وهجر الرفاهية حالة لم تحدث بعد شبابه ،  
بل كانت حالة روحية موجودة منذ طفولته ، فمنذ طفولته  
وهو يشير الدهشة فى البيئة المحيطية به بتدينه<sup>(٣)</sup> .

وإذا نظرنا إلى مافصله الديلمي عن حياته اليومية نلاحظ من حماسة هذا الطفل التي لا تنتهى ولا تنفد . ومن الإخلاص الذى أبداه فى قيامه بكل الفرائض والسنن الدينية . وبالرغم من أنه شغل من ناحية بإيفاء الفرائض الدينية وقراءة الحديث . كان يكسب من ناحية أخرى ما يقيم عيشه من حرفة . وقد هجر الطعام والشراب كلية . فكان يفتقر على حفنة من العنب<sup>(١)</sup> أو كف من الباقلاء .

كما أنه لم يتخير مكانا للنوم قط ، لقد نشأ نفسه على أداء الطاعات كما يقول السبكي<sup>(٢)</sup>

ومعلوم أن القسم الأعظم من متصوفى ذلك العصر كان يزاول حرفة ما لكسب المعاش<sup>(٣)</sup> . وقد أشار مسينيون<sup>(٤)</sup> أن ألقاب الصوفية توضح الحرف التى كانوا يزاولونها مثل الحلاج ، الخزاز ، الرقام ، القواريرى ، المزين وهلم جرا<sup>(٥)</sup> . وبقى ابن خفيف مخلصا لهذه العادة . وقد ترك الحرفة الأولى التى تعلمها ، وهى صناعة التملكات لأن معلمه كان يستعمل العظام النجسة . ثم كانت الحرفة الثانية هى حرفة القصارة ولكنها كانت قاسية بالنسبة لصبي يصوم دائما . ثم اشتغل

(١) سيرة ١ - ١٠ رسالة ص ٨٩ ، تراثى ٢ - ١٢٥ ، سبكي ٢ - ١٥٢ ، تاليس ، ص ٢٠٩ .

(٢) ١٥١ - ٢ .

(٣) انظر موير : الكاررونى المقامة ص ١٨ .

passion, p. 83, Not. 3

يصناعة الأحقاق بوصية من مرشدة . وبها استطاع أن يفهم  
أوده هو وأمه <sup>(١)</sup> وطبقا لإشارة النسخة (B) فإنه بتوصية  
من الزاهد الكبير العتايدي كان يكسب معاشه بصناعة  
النسخ ، وإلى هذا تشير الحكاية الواردة في الفصل الثالث  
من الباب الثالث - كما تبينها إشارة ابن النديم - إلى  
الكتاب الذي نسخه . ومع ذلك فقد وصلنا هذا الامر مبهما ،  
وربما أخطأ المترجم فيه . ويجوز صناعة الأحقاق نعلم أنه  
كان يقوم بنسخ الأحاديث . وكان قسم كبير من النسخ  
التي يكسبها ينفقه في ثمن الكاغذ .

وفي شبابه . خرج ابن خفيف لمباحة . وقد ذهب إلى  
الحج عدة مرات : لانه يستطيع أن نجزم بأنها كانت أربع  
مرات أو ست مرات . وفي المرة الأولى وكان قد ناهز البلوغ  
ذهب بالسفينة إلى جدة <sup>(٢)</sup> . وبالرغم من شبابه فقد شرف  
بمحضور مجلس كبار الصوفية في جبل أبي قبيس <sup>(٣)</sup> .

وفي مباحة أخرى جاء إلى القدس . وهناك انهم بالسرقه  
في دكان صباغ ، وقبل أن تقطع يده ببيض دقاتق أنقذ ،  
لأن ضابطا من معية أبيه القديمة - وكان حاكما للمدينة - قد  
عرفه <sup>(٤)</sup> .

(١) سيرة ٢-٦ .

(٢) سيرة ١-٢ .

(٣) سيرة ب ٧-٢٢٠ .

(٤) سيرة ب ٣-٢٠ ، وهناك إضاءة شدة لهذه الحكاية عند الذهبي ١٢٨ والسبكي

ولهذا الابتلاء وردت إشارات إلى وجوب عدم سياحة الصوفي الشاب منفردا ، بل عليه أن يقوم بالسياحة مع إخوانه من الصوفية الآخرين .

ولم يتحدث الديلمي فقط ، بل تحدث الغزالي والطار والسبكي<sup>(١)</sup> عن إقامة ابن خفيف في مصر قبل سياحته في الشام ، وأثناء مغادرته لمصر كان في نيته لقاء الشيخ أبي علي الروزباري . وطبقا للانصاري وأبي نعيم وجام<sup>(٢)</sup> فإنه قابل في دفعة واحدة شيخين من كبار صوفية الشام هما أبو عمرو الدمشقي وطاهر المقدسي ، في حين أن القسم الأكبر والموثوق به من المصادر ، لم يتحدث عن مثل هذه الحادثة ، وبالنظر إلى كل معلوماتنا ، فليس هذا اللقاء محتملا جدا . والطار هو الوحيد الذي أشار إلى سياحة للشيخ في الأناضول ، وقدم آفيها معلومات أسطورية<sup>(٣)</sup> .

وقد سبق ذكر الحكاية التي رواها الرحالة الذي جاب الدنيا ابن بطوطة عن رحلة للشيخ إلى سرنديب ، وقد رواها بمناسبة زيارته لقبره<sup>(٤)</sup> ، ومع ذلك فسياحة سرنديب هذه لم يروها الديلمي ولا غيره .

ومن الواجب إذن ألا يلتزم بالتعبير الشعري الذي تحدث به السبكي عن ابن خفيف بأنه « سياح الشرق والغرب » ،

(١) إحياء : ٤ - ٣٦١ . والطار تذكره : ٢ - ١٢٧ ، والسبكي ٢ - ١٥٣ .

(٢) نفحات : ص ٢٣٥ ، طبقات : ص ٤٥٥ ، حلية : ١٠ - ٣٨٥ .

(٣) تذكره : ٢ - ١٢٧ . (٤) ابن بطوطة : ص ١٣٣ ص ١٣٤ .

ولكن السلمي والسبكي - الذى اعتمد عليه - أوردنا حكاية عن تحديده لبعض البراهمة تظهر احتمالا بأنه ذهب إلى الهند . ومما هو معروف أن الحلاج هو الآخر ذهب إلى الهند .

والتاريخ الثابت الوحيد فى سياحات ابن خفيف هو سنة ٣٠٠ هـ ٩١٢ م ، فى هذا التاريخ كان فى البصرة أثناء عودته من حجة ، يتابع دروس أبى الحسن الأشعرى فى الحديث ، ذلك الأشعرى الذى بدأ معتزليا لفترة قليلة ، ثم انفصل عن المعتزلة . وأبدى معتقداته الخاصة .

وفى هذا الخصوص نقل السبكي رواية ابن خفيف لها على وجهين : وتعد وثيقة قيمة لأقدم مجالس درس الأشعرى<sup>(١)</sup>

ومن المحتمل أن يكون دخول الصوفى الشاب «بغداد» قد أعقب هذا . وهناك عقد بعض الصلوات : خاصة مع الصوفى الشهير رويم ( المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ٩١٥ م ) ، والوصية التى أوصاها لابن خفيف موجودة فى كل كتب التصوف<sup>(٢)</sup> .

ورويم هذا أبدى فى الظاهر قليلا من الاهتمام بالزهد والتصوف فى نظر الصوفية المتشددى فى الزهد . ولأنه اغتنى فى شيخوخته كان يبدو بدعا فى البيئة المشار إليها ، ولكن ابن خفيف صحب « رويما » بالرغم من تحقيرهم إيده .

(١) طبقات ٢- ٢٧٧ ، ١٥٥ .

(٢) سيرة ٦- ٥ ، أنصارى : ص ٣١٩ . طبقات السبكي ٢٧٠- ٢٦٧ ، قسرى ص ٢٧ تليس ص ١٨٨ ، حلية ١٠- ٢٩٧ ، نفحات ص ٩٢ ، طرائق ٢- ١٩٨ ، نامه ٢- ٥٢٠ ، شرب ازنامه ٩٦ وعنده منسوبة لابن خفيف .

وفى هذا الوقت لم يلتق ابن خفيف « بطاووس الفقراء »  
- أى الجنيد - ، وهذا طبقا للروايات المعتمدة . ولكن الروايات  
الخاصة بهذا الأمر مضطربة .

وهناك حكاية تبدو أقرب إلى الصحة رغم أنها لم ترد عند الديلمي <sup>(١)</sup> .  
وفحواها أن ابن خفيف التقى فى طريق جبلى بابن بندار ،  
( أو بالجريرى عند السلمى ) ، فأعطاه حق التقدم قائلا : « لَأَنْتَ  
رَأَيْتَ الْجَنِيدَ وَلَمْ أَرَهُ أَنَا » . ويدعى العطار أن ابن خفيف التقى  
بالجنيد <sup>(٢)</sup> . وهناك فى أخبار الحلاج <sup>(٣)</sup> فقرة تتحدث عن مناقشة  
جرت بين هذين الصوفيين حول عقيدة الحلاج . ومن الواجب  
ألا تعد هذه شهادة قيمة .

أما الثابت فهى الروايات التى وردت حول هذا الموضوع فى « شيراز  
نامه » <sup>(٤)</sup> . ونستطيع أن نسلم بقبولها ، وفحواها أن ابن خفيف  
رأى الجنيد فى بغداد بعد أن حج للمرة الثانية ، وحينما عاد إلى  
بغداد بعد أن حج للمرة الثالثة كان الجنيد قد توفى ، وزيارته  
هذه حدثت سنة ٣٠٠ - ٩١٢ ، لأن الجنيد توفى سنة ٢٩٧ - ٩١٠ .  
ومن جهة أخرى فإن الحكاية التى ذكرها العطار <sup>(٥)</sup> والسبكى <sup>(٦)</sup>  
التي تتحدث عن احتمال انبشاق الماء من الرمل لو صبر ابن خفيف ،  
لم يذكر فيها اسم الجنيد عند السلمى أقدم مصادرها <sup>(٧)</sup> . وعلى

( ١ ) نفحات : ص ١١٥ ( ٢ ) تذكرة ٢ - ١٢

( ٣ ) Receuils - 60 - N, 7

( ٤ ) ص ٩٩ ( ٥ ) تذكرة ٢ - ١٢٦ ( ٦ ) طبقات ٢ - ١٥٢

( ٧ ) طبقات السلمى : غير موجوده فى نسخة القاهرة .

كل حال فإن خفيف قابل في بغداد « رويما » فقط. والجريري خائفة الجنيد ، وربما يصح القول بأنه تلقى الخرقة عنهما ، وفي رأى أنه تلقى الخرقة عن الجريري <sup>(١)</sup> ، وفي رأى آخر عن « رويم » <sup>(٢)</sup> .

والسلسلة الصوفية التي أوردتها صاحب الرأى الأخير <sup>(٣)</sup> ، تصل ابن خفيف بالجنيد عن طريق « رويم » وما يخالف هذا الموضوع بالنظر إلى ما سبق من نقاط ما ورد في كتاب طرائق الحقائق <sup>(٤)</sup> ، إذ يتحدث عن علاقات مباشرة بين الجنيد وابن خفيف . ولكن والأمر كذلك يستطيع صمت الديلمي التام عن هذا الموضوع أن يؤيد رأينا ، فأى كاتب سيرة لا يقدم بامتنان على نقل صلات موجودة بين الشخصية التي يؤرخ لها مع أشهر الرجال في عصرها في ميدانها ؟ فمثل هذه النقطة ، كان ليكتب فيها بأكبر تفصيل ممكن .

وليس في الأماكن القطع برأى في هذا الموضوع ، ولكننا نستطيع أن نقول بغير تردد أن أفكار الجنيد قد تركت تأثيرا عميقا في أقوال ابن خفيف ، خاصة فيما يتعلق بأقواله حول الحب الإلهي .

وفي بغداد التي كانت تعتبر مركز التصوف في هذا العصر ، التقى ابن خفيف بابن عطاء ، وتناقش معه في مبادئ المبادئ المشهورة في ذلك العصر ، وهو « أن الأغنياء أفضل من الفقراء » . ومثل كل معاصريه عارض ابن خفيف هذا الرأى في مناقشة مع ابن عطاء .

---

(١) شد : ٤١

(٢) شيراز نامه : ٩٥

(٣) المرجع السابق : ص ١٠٨

(٤) ٢ : ص ٢١٢

بل اتهمه بأنه حرف الحديث<sup>(١)</sup> . أما ابن عطاء - وقد أعجب كثيرا  
بذهن الشيخ الناري الحاد - فقد مدحه كثيرا ، ولم يستطع أن يمنع  
نفسه من كتابة نص هذا المدح بالرغم منه<sup>(٢)</sup> .

وفي إحدى مرات قيامه بالحج . استفاد ابن خفيف من مسجته  
للعالم الشيرازي أبي زرعه<sup>(٣)</sup> . وفي مكة تعرف على أشهر صوفية زمانه ،  
وهناك في بغداد احتسى كوؤسا مترعة من بنابيع الطريق الصوفي<sup>(٤)</sup> .

وأكثر اللقاءات التي قام بها في بغداد إشارة ذلك اللقاء الذي  
كان مع الحلاج . وطبقا لشهادة كافة المراجع . زاره ابن خفيف  
في السجن . ووصفه بكل تقدير بأنه « موحد وعالم رباني »<sup>(٥)</sup> . ولكنه  
لم يقبل - كسني - بعض أفكاره التي تشبه الأفكار المسيحية .

وفي العصور التالية نسجت كثير من الروايات الأدبية حول هذه  
الزيارة . ومن أجل أن يعالج « ماسينيون » في كل كتبه المشكلات  
المتعلقة بالحلاج بعمق لم يستطع أن يغفل آراء ابن خفيف وتصرفاته  
حول الحلاج . ويدخل في هذا الموضوع الفتوى التي أصدرها  
القاضي الشافعي ابن سريج في صالح الحلاج لابن خفيف . والصدقة  
التي كانت بينهما واعتقاد ابن خفيف القطعي في الحلاج . وهو الذي  
أثار كثيرا من الجدل في زمانه ولم يكن بمؤمن حقيقي في نظر كثير  
من الصوفية والفقهاء ، وكان ينظر إليه كدجال - هو اعتقاد جدير

( ١ ) انظر المفيدة . ( ٢ ) سيرة : ١٠٦ .

( ٣ ) شد : ٢٢٣ . ( ٤ ) طبقات السبكي : ١٤١٠٢ .

( ٥ ) السمر : طبقات : ص ٣٠٨ .



بالحيرة ، وذلك أن الشيخ الشيرازي كان يمثل نموذجا مختلفا تماما .

وهناك نقطة يوجه انتباهنا إليها كتاب الشرق والغرب ، وهي أن ابن خفيف كان يجاهد بنفس القوة في علوم الظاهر والباطن ، ( أَرِ الحَقِيقَةُ ) <sup>(١)</sup> ، وأنه وفق فيهما معا ، « ولم يكن مثله في زمانه شيخ في العلم والحال » <sup>(٢)</sup> ، وقد بقي مستمسكا بالشرعية حتى أدق تفصيلاتها ، واهتم بالفقه والشرعية بضع سنوات ، ومن بين آثاره كتاب « المنهاج في الفقه » .

ومنذ طفولته بدأ ابن خفيف دراسة الحديث <sup>(٣)</sup> ، وهناك رواية تبين بجلاء أحواله في الطريقة ، وقد ذكرت في أغلب المصادر ، وتبين كيف كان يحث مريديه على الدرس ، وكيف كان رفاقه يغضبون من قراءته للعلم والحديث ، وكيف أنه كان يقوم بهذا خفية <sup>(٤)</sup> ، وكان يقول : أن كلمات المتصوفة ينبغي ألا تنفصل عن الشرعية <sup>(٥)</sup> ،

وحينا تحدث جعفر الخلدي عن الشيخ ، ركز خاصة على اعتماد أقواله على القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية المشهورة <sup>(٦)</sup> .

ولهذا نصح ابن خفيف مريديه بالاعتقاد في خمسة من الصوفية الكبار ، وذلك لأن عقيدتهم صحيحة لا يتطرق إليها شك ، وتوافق

---

( ١ ) السلي : طبقات : ص ٤٦٢ .

( ٢ ) حلية : ١٠ - ٣٨٥ .

( ٣ ) سيرة : ٢ - ١ .

( ٤ ) سيرة : ٢ - ١٢ ، ذبي : ١٢٩ ، ابن عساكر ١٩١ ، تليس ص ٣٢٩ .

( ٥ ) شد : ٣٩ .

( ٦ ) سيرة : ١٢ - ١٢ .

العقيدة والسنة وهم : المحاسبي ، والجنيد ، ورويم ، وابن عطاء ، وعمر بن عثمان المكي <sup>(١)</sup> .

والمحاسبي والجنيد اللذان قدرهما ابن خفيف كثيرا . ينتميان مثل أبي علي الروزباري إلى المذهب الشافعي . كما يتحدث السبكي عن اجتماع العلم والحال عند الجنيد .

وهناك رواية تبين صلات بين ابن خفيف والمحاسبي . فبينما كان كتاب المروزي « تعظيم قدر الصلاة » يقرأ في مجتمع وحف ابن خفيف الأفكار التي يحتويها قائلا : « إنها نفس أفكارنا » ، فقد أخذ مؤلفها أقواله من فم المحاسبي بينما كان يكتب الكتاب <sup>(٢)</sup> .

وأكثر الصفات التي تتردد في مدح ابن خفيف ، بقاؤه على الإخلاص التام للشرعية ، فحينما كان يناقش الصوفية الآخرين كان يدق في ألا يحدث أي تهاون بالشرعية <sup>(٣)</sup> ، ومن قبيل الرعاية التامة لأدق نقاط الشرعية قيامه بأداء الصلاة ضعفا حينما عجز عن القيام بها واقفا فقعدها أثناء مرضه <sup>(٤)</sup> ، وقد ساق جولد تسيهر أن ابن خفيف كان مثل مرشده رويم منتسبا إلى المذهب الظاهري أو شديد القرب منه <sup>(٥)</sup> .

---

( ١ ) سيرة : ٢ - ١٥ ، رسالة : ص ١٥ ، شد : ٤٤ ، طبقات السبكي ٢ - ٣٧ .

( ٢ ) سيرة : ب ٦ - ف ٢٦ .

( ٣ ) سيرة ٤ - ١٦ مناقشته في مكة من أبي علي الرازي .

( ٤ ) سيرة ٢ - ١٦ ، رسالة ص ٣٨ ، السبكي ٢ - ١٥١ ، شد : ٢٤٤ ، ابن عبد البر : ١٥٠ .

( ٥ ) Diezahrten , - 112 ( ٥ )

وقد خصص الديلمي بابا في السيرة <sup>(١)</sup> للأساتذة الذين قرأ عليهم أبو عبد الله الحديث في شیراز وفي غيرها ، وأول أساتذته أبو بكر العتايدي كان زاهدا كبيرا <sup>(٢)</sup>

وفي رواية للسمعاني أنه لزم داره ولم يغادرها حتى وفاته ( ٣١٤ هـ ٩٢٦ م ) لأنه أخطأ في رواية بعض الأحاديث .

وثاني أساتذته الشيرازيين الكبار أبو عبد الرحمن بن عبد الله ابن جعفر الأزرقاني - أو الأزرقاني <sup>(٣)</sup> - الذي كان حافظا في زمانه لنولاية فارس ، والذي روى الحديث عن يعقوب بن سفيان ، وطبقا للسمعاني أنه توفي في ذي الحجة ٣١١ هـ - ٩٢٤ م <sup>(٤)</sup> . ولم يهمل أحد من كتاب سيرته أن ابن خفيف كان من طلبته .

ومن أساتذته الشيرازيين الجديرين بالذكر أبو أحمد محمد الشعيري <sup>(٥)</sup> ، وفي مدينة فسا حضر ابن خفيف درس ابن سعدان .

ومن اللازم ذكر عدد من المحدثين والذين لا يمكن تحديد شخصياتهم بسهولة ، ومنهم الذي هو مشهور باسم « المطين » ، وناقول عن ابن حنبل أبو جعفر محمد الحراني الكوفي <sup>(٦)</sup> رفيق الصوفي المشهور أبي تراب النخشي .

( ١ ) : أبواب الأحادي عشر .

( ٢ ) : سيرة : ٧ - ١٠ ، ١٤ .

( ٣ ) : السمعاني : أنساب أبو عبد الله . ص ٢٨ من طبعة مرجليوث .

( ٤ ) : بالنسبة لشده ص ١١٥ ، وشيرازنامه ص ١٠١ توفي ٣٤٠ - ٩٥١ .

( ٥ ) : السمعاني ص ٣٢٠ .

( ٦ ) : السمعاني ص ٥٤٣ .

ثم هناك من أساتذته النيسابوريين: محمد بن يزداد الجوري<sup>(١)</sup> ،  
وأبو أحمد الكاغدي المتوفى سنة ٣٤٣ / ٩٥٤ - ٩٥٥<sup>(٢)</sup> ؛  
ومن البغداديين : أبو بكر أحمد الباغندي<sup>(٣)</sup> ، والبغوي وهو  
أحد معمرى زمانه (٢١٢ - ٨٢٨ - ٣١٧ - ٩٢٩)<sup>(٤)</sup> ، كما يذكر  
الطبري العظيم أيضا من بين أساتذة ابن خفيف .

وطبقا لرواية الذهبي والسبكي<sup>(٥)</sup> اشترك شيخنا ابن خفيف  
في مجلس درس الحسين المحاملي الذي كان يحضر درسه عشرة  
آلاف شخص طبقا للسمعاني .

وبالرغم من أن ابن خفيف حضر مجالس كبار المحدثين في  
زمانه وصفه ابن الجوزي بأنه شخص لا يوثق به<sup>(٦)</sup> ، كما ذكر  
المحدثين حماد بن مدرك وعبد الملك بن رواحه<sup>(٧)</sup> من بين أساتذة  
الشيخ .

ولأنه كان يطبق الشريعة الثامنة والسنن في كافة تصرفاته<sup>(٨)</sup> ، روى  
عن ابن خفيف أنه قال عن نفسه : « أنه يتكلم بكلام الصوفية »<sup>(٨)</sup>

---

(١) السمعاني : ص ١٤١ .

(٢) السمعاني ص ٤٧٢ .

(٣) السمعاني : ص ٦١ وكلمة الباغندي غير موجودة . ( موجودة عند مرجليوت :

الترجم ) .

(٤) السمعاني : ص ٨٦ .

(٥) الذهبي : ١١٢ ، والسبكي ١٠١ - ٢ .

(٦) تبيين : ص ٣٣٥ .

(٧) السمعاني : ص ٣٤٤ ، والذهبي : ١١٢ .

(٨) - بيرة : ٢ - ١٩ .

وهذا القول في الغالب من قبيل الشطحات ، وقد مدحه الأنصارى  
بأنه « طاهر العقيدة »<sup>(١)</sup> .

وطوال السنوات التي قضاها ابن خفيف في شيراز ليس لدينا  
معلومات حقيقية عن حياته الشخصية برمتها .

وتروى في المصادر - عدة مرات - أحاديث عن خادمين وفيين له  
عباد دورا في حياته : الزاهد المستمسك أبو أحمد الكبير ( المتوفى  
سنة ٣٧٧ هـ - ٩٨٧ - ٩٨٨ م ) ، والأقل منه صفاء ولكنه أكثر وفاء  
وصدق أبو أحمد الصغير ( توفي ٣٨٥ - ٩٩٥ م ) . وفي روايات العطار  
يخالف التكنية ويذكرهما دائما باسم أحمد مه وأحمد كه ، وقد أحب  
الشيخ الشيرازي أحمد الصغير خاصة . لأنه كان لا يمل ولا يكل من  
خدمته . ولا يقعد عن الطاعات<sup>(٢)</sup> .

ولا نجد عند الدينى معلومات تساعدنا على معرفة حياة الشيخ  
الغالبية . ونعلم أن للشيخ ابنا - وهو الابن الوحيد في الغالب -  
وقد مات في شبابه<sup>(٣)</sup> ، ويتحدث الهجویری والعطار وصاحب  
الطريق<sup>(٤)</sup> أن ابن خفيف أنكح أربعمئة امرأة تبركا ، وأن  
الشيخ تركهن دون ملامسة . وترك بعضهن في المنزل لخدمته ، وقد  
بقيت أكثرهن عزرا لنديه - ابنة الوزير - أربعين سنة في المنزل ، ولكنه

---

( ١ ) الأنصارى : ص ٤٥٥ .

( ٢ ) شد ٤٦٠ - ٤٧٠ ، شيراز نامه ٩٩٥ ، تذكرة ١٢٩٥ - ١٢٩٦ ، طرائق ٢٢٣ - ٢٢٤ .

( ٣ ) سيرة ٢١٥ - ٢١٥ - شد ٤٨ .

( ٤ ) كشف ٣١٧ ، تذكرة ١٢٨ - ١٢٩ ، طرائق ٢٢٤ - ٢٢٥ .

لم يلامسها قط ، بل أظهر لها خاصة الندبات التي في بطنه من أثر الزهد والرياضة .

أمّا بالنسبة للعطار فقد نقل نيكلسون في تعليقاته على التذكرة حكاية تبدو محتملة جدا : ذات ليلة طلب الشيخ امرأة ، وفي الحال تزوج ابنة خادمه ، وبعد سبعة أشهر انجبت هذه المرأة غلاما ، وبعد أن توفي الطفل في الحال طلق الشيخ زوجته . ثم يوضح السبب في ذلك لخادمه : وهو أنه رأى القيامة فيما يرى النائم ، ويرى طفلا يعبر الصراط بأبيه ، فأحس بالرغبة في الزواج من أجل أن يكون له ابن يعينه هكذا ، ولهذا السبب تحدث عن رغبته في النكاح على الفور .

وبالرغم من أن هذه الفكرة مخالفه تماما لما ورد في القرآن الكريم : «لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة»<sup>(١)</sup> فإن صدورها عن ابن خفيف محتمل . ومع ذلك فالحكاية التي رواها الطالقاني واستند فيها على نسخة أخرى من التذكرة تظهر الرغبة البشرية لابن خفيف : فقد طلق ابن خفيف زوجته ، وفي رؤياه يعلم أن العزوبية مخالفة للسنة النبوية فيعزم على الزواج في الحال<sup>(٢)</sup>

واليقظة التي أبدأها الديلمى تجاه هذه الروايات . إذ وقف منها دون أن يبحثها ، خليقة به . ويمكن القول بأن ابن خفيف تزوج في سن متأخر ، وكان له ابن واحد ، وأنه عاش سنوات حياته الأخيرة - طبقا لرواية - (خمسة وثلاثين سنة) مع خادمه وحده في خلوته .

( ٢ ) نامه دانشوران : ٢ - ٤٤١ .

( ١ ) المتحفة - ٣ .

ومهما كان القول في صحة حكايات الزواج هذه ، يبقى لنا الحق في أن نقول إن الرواية التي رواها ابن الجوزي<sup>(١)</sup> . وهي تحريض ابن خفيف مريديه على القيام بمباضعة جماعية بعد جنازة حكاية بعيدة عن الصحة ، وذلك لأنه لم يكن يأمر نفسه فحسب ، بل كان يأمر مريديه أيضا بالقيام بالشفقة . وعلى الالتفات عن الشهوات<sup>(٢)</sup>

وقد اثر ابن خفيف على البيئة التي ولد فيها تأثيرا كبيرا فقد جمع حوله عددا كبيرا من المريدين «وتجمع حوله أهل الطريقة في ذلك الزمان»<sup>(٣)</sup> ، ووصف بأنه «شيخ الإسلام»<sup>(٤)</sup> . وساطان التصوف في زمانه<sup>(٥)</sup> ، وكانت الصفات الرفيعة والألقاب السامية التي تضاف إليه تزداد بمرور الزمن . وليس في إمكاننا اثبات ما ادعاه صاحب شيراز نامه . أن عضد الدولة الذي حكم شيراز منذ سنة ٣٣٥ (هـ) ٩٤٦ (م) لآل بوية أظهر اعتقادا عظيما في الشيخ<sup>(٦)</sup> ، ويؤيد هذه الرواية الحكاية التي رواها العطار<sup>(٧)</sup> والتي تحتويها السيرة وتحدثت عن كرامات الشيخ : حكاية عن وزير يسمى نصر ابن هرون قدّر سمو ابن خفيف ورجاه عنه النصيحة .<sup>(٨)</sup>

( ١ ) تذييل : ص ٣٦٩ - ص ٣٧٠

( ٢ ) انظر الهجویری ص ٣١٧

( ٣ ) تذكرة ٢ - ١٢٤

( ٤ ) أنصاری : ص ٤٥٥

( ٥ ) الهجویری : ص ١٩٩ .

( ٦ ) طرائق : ٣ - ٢٦٢ . ويتحدث ابن الجوزي بما يخالف هذه الإشارة .

( ٧ ) تذكرة ٢ - ١٢٩ . ( ٨ ) سيرة ١٠ / ٦

وإذا جاز إطلاق الحكم على أهمية ابن خفيف ، فليس ذلك من جهة انخراطه في السلك الصوفي وتعميقه إياه ، وهذا بالقياس إلى الأقوال الصوفية التي تنسب إليه ، والتفسيرات والكتب التي تتناول الطريق الصوفي ، إلى جوار كتبه في الشريعة . (وهو متوسط بين مثلى التصوف الكلاسي ، ومتصوفي الطبقتين الخامسة والسادسة . وهو في رأى صاحب شد الإزار ، « خاتم المتقدمين وإمام المتأخرين »<sup>(١)</sup> . وقيل عنه عدة مرات : انه آخر الصوفية الحقيقية في فارس<sup>(٢)</sup> . وما أبداه الأنصارى وتابعه فيه جامي في شأنه « لا نستطيع أن نقول شيئاً عنه كان أم لم يكن »<sup>(٣)</sup> . وابن خفيف يمدح نفسه في مواجهة موسى بن عمران الجيرفتي قائلا : « إن لي في مدينتي ألف مريد يستطيع كل واحد منهم أن يجمع في يسر ألف دينار من أجل في ليلة واحدة » . وأجاب عليه الشيخ الجيرفتي قائلا : « إن في مدينتي ألف عدو لي ، يوظفوني واحد ذات ليلة لما أخرجني إلى الليلة التالية . ولما تركني حياً . فهل أنت الصوفي الحقيقي أم أنا »<sup>(٤)</sup> ؟ » . وهذه الحكاية تشير غالباً إلى الحب الذي كان يتمتع به ابن خفيف وإلى شهرته .

( ١ ) شد : ص ٤٨ .

( ٢ ) سيرة ٢-٩ ، شد : ٤٠ ، ذهبى ١٢٠١٢ . ابن عمكر ١٩٠ .

( ٣ ) الأنصارى : ص ٤٥٥ ، النحت : ص ٢٣٥ .

( : ) أنصارى : ص ٤٥٨ - ٤٥٩ ، نحت : ص ٢٦٣ .



وفى الحقيقة اتخذ بعض مريدى الشيخ مكانهم فى تاريخ  
التصوف ، وبينهم أبو نعيم الأصفهاني ومؤلف اللمع الشهير أبو نصر  
السراج الطوسى ، وعن طريق الأفكار يدخل ضمن مريدية مؤسس  
الطريقة أبو اسحق الكازرونى <sup>(١)</sup> ، ومن بين مريدى ابن خفيف  
ذكر المقارضى وأبو العلاء الحضرى ، وهناك ابن باكويه الذى يعد  
فى تاريخ التصوف راوية الشيخ ، وأيضا صاحب السيرة الديلمى  
الذى كتب كتابا فى الحب الصوفى كنموذج لفكر الشيخ .

ويستحق الذكر أيضا وان تأخر فى زمانه رزوبهان البقلى .  
الذى يدخل ضمن مريدية فى سلسلة تتخلل ابن شهریار والأكارا للذين رأيا  
مرشدهما ابن خفيف ، ومع الأسف يثير الحيرة وجود باب عن  
شطحيات ابن خفيف فى كتاب لهذه الشخصية الهامة <sup>(٢)</sup> .

ولا يعد المتصوفة فحسب من مريدى ابن خفيف بل هناك  
بعض الفقهاء تتلمذوا عليه ، وأشهر نموذج\* لهم الشارح التقليدى  
لأفكار الأشعرى أى الباقلانى .

---

( ١ ) انظر مقدمة الكتاب القيم :

Meir, f: Die Vita des A. I. KazRuni. P 288

وهناك شهادة عجيبة تتضمنها المعلومة الواردة فى الكتاب المسمى Islam in India أن  
مؤسس الكازرونية هو عبد الله الحنبل المعروف بخفيف الكازرونى ، أى ان الصلة بينهما  
مباشرة .

( ٢ ) انظر ماسينيون : رزوبهان البقلى ص ٢٤٣ .

وكان الشيخ مؤلفاً غزير الإنتاج في ميدان التصوف والفقہ .

يقول النسفي :

«ألف كتباً كثيرة لم يؤلفها أحد قبله ، وكانت موضع استفادة كل الفقهاء والأئمة»<sup>(١)</sup> .

وبالرغم من ذلك فإن الرواية التي تقول : انه كتب في أربعين يوماً كتاباً عميقاً في الحقيقة مبالغة شاعرية من الهجویری والطار<sup>(٢)</sup> .

وفي الجملة . فإنه إلى جوار الأجوبة التي كان يلقيها ابن خفيف على الأسئلة التي كانت توجه إليه ، يسند إليه خمسة عشر مؤلفاً طويلاً وخمسة عشر مؤلفاً قصيراً<sup>(٣)</sup> .

وهذه المؤلفات لم تصل إلى أيدينا مع الأسف . وعدا الكتب التي ذكرت في أماكن متفرقة في مقدمتنا هذه تحتوى القوائم التي وردت في السيرة وفي شد الازار على أسماء الكتب الآتية :

المؤلفات الطويلة :- كتاب الاستدكار : كتاب الفصول في الأصول . كتاب المنقطعين . كتاب لبس المرقعات : كتاب الإيعانة<sup>(٤)</sup> . كتاب المعراج . كتاب الاعتقاد<sup>(٥)</sup>

---

( ١ ) الذهبي : ١١٣ نسبي : ١٥١٠٢ .

( ٢ ) كشف : ٣١٨ ، تذكرة : ٢ - ١٢٥ .

( ٣ ) سيرة : ١٢ ، شد : ٤٢ طرائق : ٢ - ٢٢٦ .

( ٤ ) في شد : كتاب الاثانة .

( ٥ ) في شد : كتاب المعتقد الكبير والصغير ، وكتاب العقيدة الصحيحة المجرودة في باب صوفيا متصل به .

وذكرت المؤلفات القصيرة تحت هذه العناوين : كتاب الاقتصاد  
كتاب اللوامع ، كتاب المفردات كتاب الاستدراج في الاندراج ،  
كتب بلوى الأنبياء ، كتاب معرفة الزوال ، كتاب المشيخة<sup>(١)</sup>  
ويضيف شد الإزار علاوة على ذلك كتاب شرح الفضائل .

وبالرغم من ادعاء بعض المصادر الفارسية ، فقد بينا سلفا  
أن ابن خفيف لم يكن شاعرا

ولا نستطيع أن نحدد بالقطع تاريخ اليوم «الذى طارت فيه  
روحه المباركة من قفص الجسد ، وأقامت في عليين »<sup>(٢)</sup> .

أما الديلمي وقسم كبير من الروايات ، التي تعتمد عليه مثل  
صاحب الحلية ، والسلمى والسهماني وصاحب شد الإزار ، وصاحب  
شيرازنامه ، فيذكرون تاريخ الثالث والعشرين من رمضان سنة  
إحدى وسبعين وثلثمائة ، الموافق الثاني والعشرين من مارس سنة  
اثنى وثمانين وتسعمائة .

أما الأنصارى ، وفريق آخر كالذهبي والسبكي والياقنى وابن  
العماد ، فيذكرون الثالث من رمضان سنة إحدى وسبعين وثلثمائة  
وهناك آخرون مثل ابن الأثير<sup>(٣)</sup> وابن عساكر والشعراني  
وياقوت ذكروا سنة إحدى وسبعين وثلثمائة فقط. ٠٠٠

---

( ١ ) في شد : كذاب : أماء المشايخ .

( ٢ ) شيرازنامه : ص ٩٦

( ٣ ) ابن الأثير : الكامل ٩ - ١٢

أما ناصري ، وصاحب فارس نامه ، فيذكر أن سنة سبعين وثلاثمائة والقشيري والمصادر المستندة إليه مثل تاريخ كزنده وحبيب السير ورياض العارفين ، فتذكر سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة .

ومادامت قراءة الرقم تسعين بدلاً من سبعين تبدو من السهولة بمكان ، فمن المحتمل أن يكون هذا التاريخ خطأ في النسخ .

ويتحدث جامي عن وفاة الشيخ سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ، ويمكن اعتبار هذا التاريخ أيضاً خطأ في النسخ ، ذلك جامي أن نفسه يتحدث عن وفاة الحصري سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة في نفس السنة ، التي مات فيها ابن خفيف ويذكر ذلك ، وهذا الخطأ في الكتابة عند جامي قبله الطالقاني . بل وأخذ نفس المؤلف من مصدر آخر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة : وقد عرف صاحب الطرائق أن سنة عشرة ومائتين التي أعطيت كسنة ميلاد ابن خفيف غير متلائمة مع الوقائع التاريخية الثابتة ، فقبل سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة كسنة لوفاة<sup>(١)</sup>

ولاشك أن ابن خفيف قد توفي في سن كبيرة ، ولكن التفاصيل تختلف ، وأقل عمر نسب له خمس وتسعون سنة ، وفي آراء أخرى توفي وعمره أربعة بعد المائة أو خمسة بعد المائة ، فإذا كان تاريخ مولده وجود عمرو بن الصنار في شیراز وهي سنة ٥٢٦ هـ يكون عمره حين الوفاة أربعة بعد المائة سنوات قمرية وهو رقم يبدو أقرب إلى الحقيقة . وإلى جوار هذا الرقم ، تبدو أرقام مائة<sup>(٢)</sup>

وأربع عشر بعد المائة <sup>(١)</sup> وثمانى عشر ومائة وحتى أربعة وعشرون وستة وعشرون بعد المائة <sup>(٢)</sup> قابلة للناقشة .

ولو صدقنا الجملة التى وردت فى شيراز نامه <sup>(٣)</sup> وأخذها من سيرة ركن الدين قاتكى ، ان ابن خفيف ، توفى إلى رحمة الله فى الخمسين بعد المائة من عمره ، وأن حياته تطابق خمس ساعات فى التقدير الإلهى ، لكان قبولنا لما يدور حول الرقم مائة سنة شمسية الوارد فى كل المصادر أمرا واجبا .

وبالرغم من شدة ضعف جسده . ظلت إرادته وروحه قويتين إلى النهاية ، فكان يصوم ويصلى وقد قال لمريديه : « إذا سمعتم الاذان وام ترونى فى الصف الأول فاطلبونى فى المقابر » وهى وصية ملائمة لنسق حياته <sup>(٤)</sup> ، وتذكر بعض المصادر <sup>(٥)</sup> ، أنه حينما مات كان قد واصل أربعين أربعين متتالية ،

وبالرغم من أن رقم أربعين الوارد عند العطار والهجويرى ، اعتبر فى كل الأديان أكبر رقم للصبر على شىء أو الصوم والاختبار وما إلى ذلك ، فهو هنا يشير إلى صوم ابن خفيف فحسب . وقد مات الشيخ وهو ينطق بكلمات الشهادة ، وبالنسبة للسلمى أسلم الروح

---

( ١ ) حبيب السير : و ٣ ، ب ٢ ، ص ٦٣ .

( ٢ ) تاريخ كزیده : ص ٧٨٣ .

( ٣ ) شيراز نامه : ص ٩٥ .

( ٤ ) سيرة : باب ١٣ ، ذمى ١١٤ ، سبكى ٢ - ١٥٣ ، سلمى : ص ٤٦٢ .

( ٥ ) تذكرة : ٢ - ١٢٥ ، طرائق ٢ - ٢١٢ ، هجويرى ٤١٧ .

وهو يردد « أفنيت كلى فى كلك »<sup>(١)</sup> وكان: ابن خفيف يدعو لسنوات أن تكون وفاته فى يوم مشمس ، لأنه كان يعلم قبل وفاته كم من البشر سيشتركون فى جنازته ، فكان يرجو بهذا الدعاء ألا يصيبهم ضرر من حضورها<sup>(٢)</sup> ، وطبقا لرواية الديلمى أوصى أبو بكر العلاف بإقامة صلاة الجنازة عليه ، وهذا أمر واضح الاختلاط ذلك ، أن أبا بكر توفى سنة ٤٩٠ هـ ( ١٠٨٧ م ) أى أنه لم يكن قد ولد حين مات الشيخ ومثل هذا الخبر لا يوجد فى شيرازنامه<sup>(٣)</sup> .

وقد صلى على قبره المجرس واليهود والمسيحيون كل أدى صلاة دينه . وكان رئيس القصابين يظهر اعتقادا عظيما فى الشيخ ، ولأنه كان مريدا له ، قام أكثر الناس قوة من هذه الفئة بوظيفة الشرطة وسط هؤلاء الناس الذين يعنون بالألوف ، وقد عد الناس انتهاء مراسم الصلاة من كل هذه الفئات والأديان فى ساعتين نوعا من الكرامة .

وقد وسع مزار ابن خفيف ، وجعل على أيدي الحكام الذين حكموا شيراز فى العصور التالية<sup>(٤)</sup> وشرح ابن بطوطة مدى تقاطر الناس عليه<sup>(٥)</sup> كما وسع كريم خان زند هذا البناء أثناء حكمه<sup>(٦)</sup> .

وأفكار ابن خفيف النظرية . ترى فى كتيبة العقيدة الصحيحة<sup>(٧)</sup> وبطريقة أكثر تفصيلا فى وصيته الصغيرة<sup>(٨)</sup> وجدير بالذكر

( ١ ) السلمى : ص ٤٦٥ ( ٢ ) سيرة باب ١٣

( ٢ ) انظر شد : ص ٨٠ ( ٤ ) طرائق ٢ / ٢٢٦

( ٥ ) ابن بطوطة : ص ١ / ١٣٣ ( ٦ ) طرائق : ٢ / ٢٢٦

( ٧ ) فاتح 5391 واية صوفية 4792

( ٨ ) شهيد على باشا Tub. Waisw. 82/12, 1388

هنا : الكلمات التي هاجم بها القدرية ، والجبرية . والمعتزلة ،  
والروافض ، وقد أظهر عداوته للمعتزلة في حكاية من حكايات  
السيرة تبين كيف أنقذ عمرو بن الليث من أستاذه المعتزلي <sup>(١)</sup> .

وأولى الفقرات التي تحتوى عليها العقيدة ، تتفق أكثريتها  
مع الحقائق النظرية : التي بحثها «ونسنك» في الجزء الثاني من الفقه  
الأكبر : فالله واحد لا كالأعداد ، وشيء لا كالأشياء . وهو لا وجود  
ولا صفة ولا ذات ، وليس بمحل الحوادث ، ولا الحوادث محل له ، ولا حال  
في الأشياء ، ولا الأشياء حالة فيه ، كما أنه لا يحل في الأشخاص  
(وهذا مضاد لفكرة الحلول) ، كما يعتقد أنه على عرشه استوى  
وهو مضاد للمعتزلة في أن الله يخلق بيد الصفة ، فليست لقدرته يد ،  
ووضح كل ما يشابه هذا وورد في القرآن والحديث <sup>(٢)</sup> .

وبتعبير كتعبير « إن الله عالم بعلم ، وأمثاله يظهر ابن خفيف  
نفسه كتمليذ للأشعرى ويقدر عقيدته . وهذا العلم يعلم الله ، ما كان  
وما هو كائن ، وما سيكون كيف يكون ، كما أن أسماء وصفاته ليست  
مخلوقة .

وفي باب النبوة . يرى ابن خفيف أن الأنبياء أفضل من الأولياء  
ومعراج النبي ولقاءه بالأنبياء ، وحديثه مع الله حق ، وأن النبي هو  
أول شفيع حين تنتهي الدنيا ، وأول من يحشر ، وأول من يدخل  
الجنة ، وينبغي قبول الخلفاء الراشدين كافة : أبو بكر وعمر وعثمان  
وعلى .

---

( ١ ) السيرة .

( ٢ ) انظر الفقه الأكبر ٢ .

وهناك حكاية في السيرة تظهر ميلا شيعيا <sup>(١)</sup> ، فحواها أن ابن حنبل تعرض لعتاب في السماء ، لأنه روى الأحاديث عن عثمان عدو علي ، وفي نسخة أخرى من السيرة حذف اسم علي دفعة واحدة وكتب اسم عثمان ، في حين أن النسخة الأولى ، ذكرت اسم عثمان مباشرة ، وتشبه ماورد في حكاية مشابهة عند الكلاباذي <sup>(٢)</sup> .

ويوم القيامة يرى المؤمنون الله ، كما أن الميزان والصراط وكل هذه التصورات الغيبية حق .

ولا يدخل الإنسان الجنة بعمله ، بل يدخلها بإرادة الله . كما أن الأعمال ليست من كسب الإنسان ، ولكنها من الله ، أما بالنسبة لشريعة فلا يمكن إنكار أنه كان يوافق فقهاء الأشعرية تماما .

فالحبز لا يشبع بطبعة ، ولكن الله يمنح الشيع بعد الأكل بسنته في كل مرة ، وأيضا وبنفس الشكل ، فالنار ليست حائزة على قوة الإحراق بطبعها .

و هناك إشارة الى أساس هذه النظرية في السيرة في حكاية أبي الأديان ، فبكرامة سار على النار حافي القدم . من أجل أن يثبت أن النار لا تفعل فعلها إلا بأمر الله ، ولم يصيب إلا بحرق بسيط <sup>(٣)</sup> . وفي رأيي أنه وفق في إثبات هذه الفكرة بقوة تشير حيرة الوجدان .

( ٢ ) التعرف باب : ١٥

( ١ ) السيرة : ٣ / ٨

( ٣ ) السيرة : ٨ - ١١ .



وعصيان الإنسان وكفره ، بالرغم من أنهما بإرادة الله ، إلا أنهما لا يرضيان الله ولا يرضى عنهما<sup>(١)</sup> .

وعلى ذلك فالإنسان لا يخلد في النار ، وكبار العصاة يثبت نص الترجمة الفارسية هنا دائماً أنهم لا يخلدون في النار . والإمامة لمن يستطيع أن يقوم بشرائطها وتنبغي طاعته حتى ولو كان عبداً حبشياً .

أما مفهوم الإيمان فيعرفه الشيخ انشيرازي قائلاً : « الإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب »<sup>(٢)</sup> ، والإيمان شيء ، والإسلام شيء آخر ، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمن ، والإيمان ظاهراً هو الاعتراف بألوهية الله ووحداًنيته<sup>(٣)</sup> ، والعمل به على الإطلاق ، وذلك أن الإيمان في العقيدة عبارة عن القول والعمل والنية فيجب إضافة الطاعات إلى العبودية .

والعبودية عند ابن خفيث ، في قول نقل في مصادر كثيرة هو « طرح الكل على المولى والصبر على البلوى »<sup>(٤)</sup> ، وهو نور يقذف في القلب ، يمكن أن يزيد ويمكن أن ينقص ، وقد خطئ هذا التصور عند الهجویری على العموم ، وقال صاحب الفقه الأكبر : إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص<sup>(٥)</sup> ، بينما قال الإمام الغزالي ، بأن الإيمان يزيد وينقص عند أعمق الناس إيماناً .

---

(١) انظر الفقه الأكبر ٢-٧ .

(٢) رسالة : ص ٥ ، سلمی : ٤٦٥ ، هجویری ٣٧٣ ، تذكرة ٢-١٣١ ، حلیه ١٠-٣٨٦ ، طرائق ٢-٢٢٥ .

(٣) حلیه : ١٠-٣٨٦ .

(٤) رسالة ص ٥ ، طبقات السبکی ٢-١٥٤ ، تذكرة ٢-١٣١ .

(٥) انظر الفقه الأكبر ٢-١٨ .

وينبغي ألا يختلط مفهوم الإيمان بالتقوى ، فالتقوى عند ابن خفيف «مجانبة كل شيء يبعدك عن الله» <sup>(١)</sup>

ويصف ابن خفيف مفهوم التوحيد بأنه «الإعراض عن الطبيعة» <sup>(٢)</sup> أو «مفارقة البشرية وموافقة الأنوئية» ، وهذا المعنى فإن إشارة ابن خفيف التي أوردها الانصاري من أن «نفي الأنئية في الشريعة زندقة وفي الحقيقة شرك» <sup>(٣)</sup> توضح نواحي عديدة في مفهوم التوحيد .

وهناك تعريف آخر وصلنا عن ابن خفيف وهو «التوحيد تحقق القلوب بإثبات الموحد . بكمال أسمائه وصفاته ، ووجود التوحيد مطالعة الأحدية على أرضات السرمدية» <sup>(٤)</sup> ، وهي تذكر بما نقله السراج في كتاب اللمع بشأن ما قاله الجنيد في توحيد العموم <sup>(٥)</sup> .

والإيمان لاينفصل عن المعرفة : والفرق بين هذين المفهومين بينه الصوفيون الكلاسيون قائلين : «إن المؤمن يرى بنور الله ، ولكن العارف يرى بالله» <sup>(٦)</sup> .

وأیضا فهناك اليقين . وهو غير المعرفة وغير الإيمان ، فهو «تحقيق الأسرار بأحكام المغيبات» أو «إدراك الأسرار بأحكام المغيبات» <sup>(٧)</sup> .

(١) سلى ٤٦٥ ، طبقات سبكر ٢ / ١٥٤ : حلية ١٠ / ٣٨٦ ، الفنية ١٢٧

(٢) هجویری : ١٩٩ (٣) الانصاری : ص ٤٥٧

(٤) حلية ١٠ / ٣٨٦ (٥) اللمع : ص ٢٨ (٦) اللمع : ص ٤١

(٧) حلية : ١٠ / ٣٨٦ ، سلى ص ٤٦٥ ، رسالة ص ١٠٨ ، تذكرة ٢ / ١٣١ .

ومشاهدة الله لن تمكن إلا يوم القيامة لأنها ليست ممكنة في الدنيا<sup>(١)</sup>  
وبالنسبة لمصطلح المشاهدة الذي ذكر في كتب التصوف ، فقد ورد  
عند ابن خفيف أنه : « اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر  
الحق من الغيوب »<sup>(٢)</sup> ، أي عند الإنسان الذي جمل داخله باليقين  
المطلق . وقد وضح هذا في حكاية تقليدية جدا ، فقد روى أحد  
الصوفية أنه رأى عرش الله في الفلاة . وطبقا لحديث المحدث  
المتصوف ابن سعدان ، لم يلبث أن عرف أن ما رآه هو من وساوس  
الشیطان ، فجاهد في رياضات وطاعات شديدة<sup>(٣)</sup> ، وهذا مثال  
جيد على الحالة الروحية في بيئة شيراز المتصوفة .

وقد ذكر الديلمى وابن الجنيد الشيرازى كتاب « الجمع والفرقة »  
ضمن كتب ابن خفيف ، وهذه المسألة - طبقا للهجویری - هي  
المسألة التي شغل بها أهل نساومرو من اتباع الطريقة السيارية أنفسهم .  
وعند هذا المؤلف أن الخفيفيين شغلوا أنفسهم أكثر بمسألة الحضور  
والغيبية . وفي المناقشات التي جرت حول هذا الموضوع أثبت ابن  
خفيف أن الحضور أسمى من الغيبة .

ومن الطبيعي أن تتوافق هذه الأفكار مع أفكار أساتذته البغداديين  
العظام : المحاسبي والجنيد والجريري . وقد بين أن شيخه علي بن  
سهل صاحب نظرية كاملة في مسألة الحضور<sup>(٤)</sup> .

---

(١) أنظر العقيدة

(٢) طبقات السبكي : ٢ / ١٤٤

(٣) السيرة : ٧ / ٤١

(٤) تذكرة : ٢ / ١١٠

ونرى أن هذه الشخصية الصوفية العظيمة لم توف حقها من كتب الطبقات ، إذ خصصت لها مقالات قصيرة جدا ، ومن المحتمل أن هذا الصوفي الأصفهاني العظيم - وكما يفهم من روايات ابن خفيف عنه أثر في انكشاف حالته الروحية تأثيرا كبيرا ،<sup>(١)</sup> وقد بحث ابن خفيف كل هذه المسائل على حدة في كتابه المفقود «مسائل على بن سهل» .

والتأثيرات التي تركتها مدرسة بغداد - وخاصة بيئة الجنيد - على ابن خفيف واضحة في ترجيحه الحضور على الغيبة ، والصحو على الاضطراب ، كما أن الإفاقة عند ابن خفيف ، مقبولة في الطريق الصوفي عن السكر . وكان بمشاعره إلى جوار الذين يقفون ضد السكر والهيجان في الطريقة الصوفية ، وهذه هي الصورة التي تعطيها السيرة والمصادر الأخرى .

ولأجل أن نغير هذه الصورة التي رسمها كتاب السيرة مصححين إياها ، تصل إلى أيدينا معلومات قليلة جدا ، وخاصة حين نطيل البحث عن أقوال الشيخ نفسه ، فعلى سبيل المثال نصادف قولاً واحدا بشأن السكر فقد سئل عن السكر «فأجاب» هو «غليان القلب عند معارضات ذكر المحبوب»<sup>(١)</sup>

وإذا استندنا على المعلومات التي أوردتها الديلمي وكتاب السير الآخرون ، يبدو لنا ابن خفيف زاهداً كبيراً فحسب ، يجاهد إلى

---

(١) حاية ١٠/ ٣٨٦ ، سبكي ٢/ ١٥٤ ، طرائق ٢/ ١٨٠

مالا نهاية في قتل كل شهوة عنده ، ونجد شخصية موفقه . هذا الطريق إلى حد كبير . وتبدو لنا اسهامات نفس الشخصية في نظرية الحب الإلهي ، وتدخله فيها غير مصدق : ومع الأسف فإن كتابي الشيخ في هذا الخصوص : وهما كتابا المحبة والود مفقودان ، وقد نقل الديلمى بعض الفقرات منهما في كتابه الذى ألفه في هذا الموضوع : كتاب : عطف الأليف المعطوف .

أما بالنسبة لتاريخ الحب الصوفى ، فإن رؤية المدارس الصوفية - على سبيل المثال تناقش مفهوم الود الذى لم يعرف له ترتيب بين المقامات ، هذه الرؤية في غاية الأهمية لنا بالنسبة لمعرفة كل تصورات ابن خفيف . ففي ذلك العصر ، سواء في بغداد أو في إيران : يجاهد الصوفية في توضيح ثلاثة مفاهيم هى العشق : المحبة ، الشوق .

ونعلم من الديلمى أن ابن خفيف في بداية الأمر : وطبقا لما تلقاه من كل فقهاء عصره ، رد بشدة تعبير العشق من أن يطلق على المحبة ، التى تقوم بين العبد والرب <sup>(١)</sup> ، ثم أجاز هذا التعبير بعد أن رأى الجنيد قد استعمله في أحد أعماله وقال : إن تأثيرات محبة الخلق أغارت فألبسها لبسه نورية وبهجة سماوية <sup>(٢)</sup> فهى بالنسبة للعاشق ذوق خاص لتذكر معشوقة .

وروى عنه أحد مريديه هذه المناجاة « طوبى لمن لم يزد أنس بك إلا وقارا » <sup>(٣)</sup> ، وفي رأي أن التفسير الذى تقدمه السيرة لا يعكس معنى هذه المناجاة تماما . فقد كان هدفه -

( ١ ) انظر الهجویری ٤٠١ ، احیاء ٤ / ٢١٨

( ٢ ) الف : ب ٣٩ ( ٣ ) السيرة : ٢ / ٨

على الأغلب - أن الإنسان ينبغي عليه ألا يظهر أى إهمال تجاه الله في مقام الأنس ، ومما هو معلوم أن بعض المتصوفة ، يتجاوزون الحدود في مقام الأنس ، ويتصرف الإنسان بحرية تامة ، وبجسارة شديدة ، ومن جميع الوجوه لم يكن ابن خفيف يقبل كل هذا التساهل ، ومثال ذلك الدرس القاسى الذى كان في حياة العلاج ومماته ، والذى خيض فيه كثيرا ، في تلك السنوات .

وقد سئل ابن خفيف عن بلاء المحبين ، فأجاب لأنهم آثروه على أرواحهم فابتلاهم بحبه لهم . فأشار بأنه أعظم الأخوال ، وعرف المحبة بأنها وجد يسر تشعر الأرواح نسيج روحه <sup>(١)</sup> . وفي مقابل المناجيات الحارة والأشعار المفعمة بالشوق التى قالها صوفية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين (الثالث والرابع الهجريين) كانت تعريفات الشيخ الشيرازى كلمات باردة ، فقد وصفها بأنها « الراحة واللقاء التى يحس بها القلب ، والحب الذى يشعر به بالقرب ».

وإذن فالوصل . وهو نهاية الطريق ، وهدف البشر . هو في نظره « من اتصل لمحبوبه عن كل شئ وغاب عن كل شئ سواء <sup>(٢)</sup> » والذى لا ينتبه انتباها مباشرا لهذه النتف المحافظة المتفرقة يبدى الشيخ الشيرازى بتقدير أعلى كراهه فحسب وليس صوفيا وكان ابن خفيف في نفس الوقت تلميذا لابن سريج . لأن هذا العالم ، وضح كما فعل أكثر الفقهاء الذين نقلوا هذا التصور . أن

---

( ١ ) الف : ب ٤٩

( ٢ ) الف : ٤٩

الصلة بين الله والعبد ، التي تسمى الحب أو المحبة فرض منكرها  
يبقى مخالفاً ، وذلك استناداً على آية وردت في القرآن الكريم <sup>(١)</sup> .

وتصرفات ابن خفيف ومريديه حول هذا الأمر مثال تقليدي  
جداً ، في حكاية تدور حول عمرو الكبي في السيرة <sup>(٢)</sup> . وهذه الشخصية  
كتاب مفقود في المحبة <sup>(٣)</sup> ، وهو يظهر ذلك أثناء حديثه في هذا  
الموضوع - وتصله إجاباته على تساؤلات حول هذا الموضوع بشكل  
عجيب فيجد قطعة رق مكتوب فيها ما يريد من معلومات ،  
وهناك فرق بين كلمات الدليلى عن هذا الموضوع وبين نقل  
ابن الجوزي لها وتجريده إياها .

أما الجانب العملي للمحبة فيرى - في شكل التقينا به في عصور  
تالية في حكاية الزجاجي <sup>(٤)</sup> . وفجواها أن بعض اللصوص ، يرتكبون  
ما يرتكبون من جرم لا شيء إلا للنظر إلى وجه الملك ، ويرى ابن  
خفيف أن الرغبة في النظر إلى وجه المحبوب في غاية الأهمية . ومسألة  
النظر هذه ، كانت أساساً لأعمال أدبية كثيرة في القرن العاشر  
والحادى عشر ( الرابع والخامس ) كما هو معلوم <sup>(٥)</sup> ويرى ابن خفيف

( ١ ) التوبة / ٢٤ ، المدنى : ١١٤ : وانظر :

Gldziher, Is Lam ::144, JRAS 19 2, 577

( ٢ ) السيرة : ٣ / ٦١

( ٣ ) الهجويزى : ٣٩٨ ، حاية : ١٠ / ٢٩٦

( ٤ ) السيرة : ٢٤ / ٤

( ٥ ) انتشرت فيما بعدمظومات باسم «شاة وكدا» أى الملك والشخاد في الأدب الفارسي .

أنَّ حظ النفس في ثلاثة : الأكل والنوم والجماع : وحظ الروح في ثلاثة : الطيب والصوت الحسن والنظر <sup>(١)</sup> أي النظر إلى وجه المحبوب .

وقد وصلتنا نظريات ابن خفيف وإشاراتهِ الصوفية مبتسرة للأسف وأكثرها متفرقة في كتب التصوف ، أما مترجم السيرة ابن الجنيـد ، فقد ترك الغوامض التي يفهمها ، وترجم مارآه سهلاً وأوصى القراء بمراجعة ما لم يستطع ترجمته على الأصل العربي .

أما بالنسبة للجانب العملي في حياة ابن خفيف الصوفية ، فليس من الصعب أن نفهم من السيرة ومن المصادر الأخرى ، أن الهدف من الجانب العملي ، كان التصفية في المقام الأول ، ولم يكن الشيخ الشيرازي نفسه من كبار المفكرين في زمانه ، وحتى الأنصاري حين قارنه بالحصري الشديد الحساسية : وصفه بأنه كان أكثر في الوسائل « بآلت تر » ، ويريد غالباً أن يتموّل إنه كان أكثر مبالاً إلى الظاهر <sup>(٢)</sup> .

وفي بعض الأفكار فقط يمكن نقل أفكار ابن خفيف . بحيث لاندخل في التفصيلات . فنحن لانعلم - على سبيل المثال المعارضات التي جرت بين بندار بن الحسين وبين الشيوخ <sup>(٣)</sup> حول مسألة الرضا ، والشيوخ هنا من ممثلي التصوف في العراق غالباً ،

---

( ١ ) السيرة : ١٢ / ٣

( ٢ ) الأنصاري : طبقات ص ٤٧ :

( ٣ ) نفحات : ص ٢٣١ / ٢٣٢ - ته : ص ٢٢٥ حاشية ٤



والبندار العراقي الذي هو أقرب إلى مذهب الشبلي مع انتساب  
للحنابلة ، والمتوفى سنة ٣٥٣ / ٩٦٤ ، اكتسب القول الذي نقله  
عنه العطار سواء في تذكرته <sup>(١)</sup> أو في « إلهي نامه » شهرة كبيرة  
فهو يدخل الأنية في الرضا بقوله : « يا إلهي هل أنت راض أم غير  
راض ؟ » ولكن هذه النقطة لم تعجب ابن خفيف فالرضا عنده  
« سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى به واختاره » <sup>(٢)</sup>  
وهذا التعبير شديد الشبه بآهم تعبير قاله المحاسبي في الرضا <sup>(٣)</sup> .

وقد نقل القشيري فكرة أخرى عن مرثداه ، فقد سئل :-  
إذا جاء خاطران من الله فأيهما أقوى : الأول أم الثاني ؟ وهل يمحو  
الثاني الأول أم العكس ؟ أم يقويه ؟ وفي هذه النقطة قال ابن  
خفيف : هما سواء لأن كليهما من الحق ، فلا مزية لأحدهما  
على الآخر ، والأول لا يبقى في حال وجود الثاني ، لأن الآثار لا يجوز  
عليها البقاء <sup>(٤)</sup> .

وقد اكتسب ابن خفيف شهرة بمسألة عقائدية أخرى ، وهي  
الرد على ابن سالم ومذهبه ، وقد كتب رسالة قصيرة رد فيها على  
أخطاء هذا المفكر <sup>(٥)</sup> . وهناك تعبير يظن أن مذهب ابن سالم ،  
يبدأ به . وهو أن كل مافي الدنيا من وجود وعدم ، يراه الله نفسه

---

( ١ ) تذكرة : ٢ / ٢٩٠

( ٢ ) رسالة : ص ١١٦ ، نامه ٥٤١ / ٢

( ٣ ) أنظر كشف المحجوب ص ٢٢٣

( ٤ ) رسالة : ص ٥٧

وقد حقره ابن خفيف على أساس أنه دهري <sup>(١)</sup> ، أما جاي فقد وصف رد ابن خفيف على ابن سالم بأنه رد شديد <sup>(٢)</sup> ، وللشيخ أثر جليل آخر كتب ردًا على ابن رزمان ، وأبو زنيان ، الذي لا نعلم شيئًا عن فكره .

وهناك كتاب مفقود له هو « كتاب اختلاف الناس في الروح » ومن المحتمل أنه يحتوي على معلومات قيمة . لما ناله في زمانه من مكانة في الأحداث الفكرية .

ولشر إذن كيف عرف ابن خفيف تصوره الروحي ومجاهداته ، أي تصوفه على وجه العموم ؟ . وقد حاول في كتابه فضل التصوف أن يبين أهم جوانبه المستحبة <sup>(٣)</sup> . وبالنسبة للمعلومات التي وصلتنا نجده يفرق بين التصوف والتقوى . وعنوان أحد أعماله القصيرة في كتاب الفرق بين التقوى والتصوف <sup>(٤)</sup> ومن ناحية أخرى يفرق بين الفقير والتصوف .

والتصوف عقيدة لا هو علم ولا عمل ، بل هو صفة يتحلى بها الصوفي ، ثم عرف ابن خفيف نفس المفهوم بتعبير أكثر غموضًا وهو « وجود الله في حين الغفلة » <sup>(٥)</sup> وقد وصف أبو نعيم وبقية المصادر

---

( ١ ) طرائق : ٢ / ١٢٢

( ٢ ) نفحات : ص ٢٣٥

( ٣ ) السيرة : ١٢ / ٢١١ شذ : ٤٢

( ٤ ) السيرة : ١٢ / ١ ونم يذكر في شذ .

( ٥ ) انصارى : ص ٤٤٤ ، نفحات : ص ٢٣٥

هذا التعريف بأنه أنسب تعريف للتصوف من ناحية للموافقة مع السنة<sup>(١)</sup> .

ثم عرفه ابن خفيف قائلا : التصوف تصفية القلوب عن موافقة البرية ، ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدعاوى النفسانية ، ومناولة الصفات الروحانية واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وجميع الشريعة<sup>(٢)</sup> .

أما الديلمى فقد نقل هذا الإيضاح بطريقة ثلاثية لبيان ماهية التصوف على وجه العموم . « التصوف على لسان الشريعة تصفية باطن القلب من الكدر ، ومعاملة الناس بالخلق الحسن ، ومتابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عمل ، وترك ما علم ، أما على لسان الحقيقة فهو الخروج من الصفات البشرية والغنى بخلق السماء والأرض ، وعلى لسان الحق : التصوف هو عدم الصفات البشرية ، والتزین بالصفات الإلهية<sup>(٣)</sup> » ، وفي قول ذكر في التذكرة : « التصوف الصبر تحت مجارى الأقدار ، والتقرب من يد الملك الجبار ، وقطع الصحارى والقفار<sup>(٤)</sup> » ، ولكن هذه الكلمات لا تقصد أكثر من الدرجات الأولى للتصوف .

---

( ١ ) حلية : ١٠ / ٣٨٦

( ٢ ) أنصارى ص ٤٥٧ ، سنن ص ٤٦٤ سبكي ٢ / ١٤٤

( ٣ ) السيرة : ١٢ / ١

( ٤ ) تذكرة ٢٤ / ١٣١ ، طرائق ٢ / ٢٦٤ وزاد الانفصال عن الذات والبعد عن الآباء والأمهات .

أما الصوفي ، فهو من استصفاد الحق لنفسه ، <sup>(١)</sup> . وهو الذي خلع عليه الحق بعض أوصافه فهو قائم بين الخلق بالحق <sup>(٢)</sup>

ومن أجل الوصول إلى الله . تلزم عبادة متصلة وقاسية <sup>١</sup> وتشكل حياة ابن خفيف ورفاقه الفقراء مثالا لإقامة الرياضيات إلى أقصى درجة من التحمل . والرياضة كما يقول : « كسر النفوس بالخدمة ومنعها عن الفترة » <sup>(٤)</sup> ، وهناك حكاية مشهورة ذكرت في السيرة بهذا الخصوص ، تبين خصائص هذه البيئة بجلاء ، فقد ألقى الصوفي البغدادي أبو الحسين النوري - الذي لعب دورا هاما في دعوة الحسين ابن منصور الحلاج ، والذي اشتهر بالمحبة والتضحية تجاه رفاق الصوفية ، ألقى بنفسه في أجمة مليئة بالسباع ، من أجل أن يكسر نفسه الخائفة المرتعدة ، وهذه الرواية تعرضت لتوبيخ شديد من ابن الجوزي بالرغم من أنها لا تتجاوز لب الحقيقة ، ولكن ابن الجوزي كان حرفياً ، ولهذا السبب كان عدوا لدودا للصوفية .

وهناك حكايات تشبهها نقلت عن ابن خفيف ، فعلى سبيل المثال :  
عض لسانه حتى تدفق منه الدم ، لكي لا يتناول اللقمة الثانية من لوز أحسن باللذة عند تناول لقمته الأولى <sup>(٥)</sup>

---

( ١ ) نفحات : ص ١١ .

( ٢ ) السيرة : ١٢ / ٢ وللارباط بين مفهوم كلمة الصوفي والصفاء انظر تذكرة ٢٣٠ / ٢ ، ص ١٣١ من نفس الكتاب في ايضاحات تشابه كلمة التصوف مع الكلمات الأخرى .

( ٣ ) عقيدة .

( ٤ ) سلمى ٤٦٤ - حنيه ١٠ / ٣٨٦ ، تذكرة ٢ / ١٣١

( ٥ ) السيرة : ٢ / ٧

وهناك مثال آخر رآه نرشده أحمد بن يحيى ، فمن أجل أن يقوم ليلة عيد الأضحى في ليلة شديدة الحر ، التوى لسانه حتى صار قطعة من الجلد ، ومع ذلك قام الليلة دون أن يشرب الماء <sup>(١)</sup> ، وكما وقف فترة طويلة في الثلج وهو طفل <sup>(٢)</sup> كان يسير - وهو رجل - حافي القدم في رمال الحجاز <sup>(٣)</sup> ، وقد أوصى مريديه بالصمت : وقلة الأكل ، وقلة النوم ، وطبقا للكلمات الصوفية المشهورة : قلة الكلام ، قلة الطعام ، قلة المنام

وفي خطاب لشيخ ابن خفيف . على ابن سهل أرسله إلى الجنيد ، أظهر الفوائد التي تعود على المريد من عدم النوم كما رجح السهر على النوم ، وهو - أي ابن خفيف - بقى في هذا الأمر متتبعا لكل الصوفية الكبار . وقد ورد في مصادر مختلفة منها السيرة ، في نهاية حكاية عن شاه الكراني أنه بقى أربعين سنة متتالية بلا نوم ، وبعد أن دهمه النوم صدفة رأى الله في النوم ، ويضيف الهجویری أنه خوطب من الذات الإلهية « لو لم تتجنب النوم أربعين سنة لما وصلت إلى هذه المرتبة » ، وفي حادثة ترونها السيرة ... كيف أن الجنيد بين أيسر السبل لمواصلة السهر ، ففي مجلس لسرى السقطى كان من بين من أجابوا على هذا السؤال : ما الذى يمنع الإنسان من النوم . وأجاب الجنيد « حينما يكون القلب عالما بأن الله مطلع على كل نفس يتنفسه فإنه لا ينام » <sup>(٤)</sup> .

---

( ١ ) السيرة ١٠ / ٢

( ٢ ) السيرة : ٣ / ٢

( ٣ ) السيرة ٢٤ / ٢

( ٤ ) السيرة ١٤ / ٨

وقد جذب ابن خفيف انتباه كل المؤلفين المسلمين في عبادته ، خاصة فيما يتعلق بالصوم . وقد ذكر الهجویری والعطار أن الشيخ عند وفاته كان قد أتم صوم أربعين متتالية <sup>(١)</sup> ، أما السيرة فتورد الحديث عن امتناعه عن الطعام عدة مرات ، إلى درجة لاتصدق ، كما تحدث عن المقادير الصغيرة من الطعام التي كان يفطر عليها <sup>(٢)</sup> وبالنسبة لكلماته هو يقول : « لم تجب على أداة زكاة الفطر أربعين سنة » <sup>(٣)</sup> وفيه وصف اعطار هذه القوة الإنسانية وصفاً شعرياً <sup>(٤)</sup> وبعض خيالات هذا المؤلف أنه اعتبر « خفيفاً » لقباً ولم يعتبره اسماً ، وذلك لأن كلمة « ابن » لانكتب في اللغة الفارسية ، فبين أن هذا اللقب لقوة روحه وخفة بدنه ، وأفكار ابن خفيف هذا الخصوص تشبه أفكار أبي سليمان الداراني ، الذي قال بأن الجوع هو الكنز الذي يهبه الله لمن يحبه ويحفظه .

ومن الناحية النظرية ، بحث ابن خفيف مسألة الجوع والصوم في واحد من أهم كتبه ، هو كتاب الجوع وترك الشهوات <sup>(٥)</sup> ومما لاشك فيه أنه من الممكن باجتناب الطعام ، إخمد القوى الغذائية ، وتقليل احتياحات الجسم إلى حد كبير ، وفي ظل المراقبة

---

( ١ ) كشف : ٣١٨ ، تذكرة ٢ - ١٢٥ .

( ٢ ) السيرة : ٢ - ٥٢١ ، ٤ ، ٧ . وكن المصادر الثانوية .

( ٣ ) السيرة ٢ - ٤ ، رسالة ص ١٦٤ ، تذكرة ٢ - ١٢٦ ، ذهبى ١١٤ وهلم

جرا .

( ٤ ) تذكرة ٢ - ١٢٦ .

( ٥ ) السيرة ١٢ . شد : ص ٤٢ .

الدائمة للمسائل الروحية والدينية ، يستطيع المرء أن يبتعد عن كل  
الذات الدنيوية ، ويقترب من حب آخر ، ويمكن أن يكون الشيخ  
الشيرازي قد عمر هذا العمر الطويل خاصة من رياضاته القاسية  
التي لا هوادة فيها ، وفي كل الأديان نرى الرهبان وكبار الزهاد  
يعيشون أعماراً طويلة ، وفي هذا الصدد نستطيع أن نلتقي في المسيرة  
بملاحظة طريفة جداً ، فقد افتصد الشيخ الشاب ، فخرج منه دم  
كأنه ماء لحم ، ومر طبيب بالصدفة ، فعالجه ، وقال بأنه ينبغي  
ألا يفصد شاب يقوم بهذه الرياضة ، وقد غاب ابن خفي عن  
وعيه تماماً ، ولم يسترد قواه إلا بعد أن أقام عدة أيام في منزل الطبيب ،  
أخذ خلالها يمدّه بالأغذية المقتوية <sup>(١)</sup> ويرى ابن خفيف أن الغاية  
التصورية من الزهد والرياضة ، هي التحرر تماماً من الطعام والشراب <sup>(٢)</sup>  
وقد وصف ابن شلوية بأنه ملك من الملائكة ، لأنه لم يأكل طعاماً  
قط ، كما قال إن هذا من الغيب <sup>(٣)</sup>

وهناك رواية تقول إن هذا الشخص رأى يأكل طعاماً مرة : <sup>(٤)</sup>  
وفي المسيرة عدد كبير من الروايات عن الذين يقللون من  
الطعام إلى جوار الحكايات الأخرى ، التي تحتوى على موضوعات  
تجذب الانتباه <sup>(٥)</sup> ولم يكن ابن خفيف - مع ذلك - يهدف إلى

(١) السيرة ٢ / ٥ ذهبي ١١٢ ، سبكي ٢ / ١٥١ ، تلبس ص ٢٠٩ ، ابن عساكر

١٩١

(٢) السيرة ٤ / ٣٨

(٣) السيرة ٤ / ١٩

(٤) السيرة ٧ / ٣١

(٥) سبيل المثال : السيرة ٣ / ٢ ، ٧ / ٧ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٨ ، ١٣ ، •

أن يعيش حياته كلها دون طعام ، وهذا مايفسره الأحداث التي جرت له في المدينة المنورة خاصة <sup>(١)</sup> ، وكما فقد من الجوع في الحجاز كل شعره وثمانية من أسنانه <sup>(٢)</sup> . بلغ في المدينة أقصى درجات الجوع ، وقرر أن يأكل رأس سمكة وجدها في الطريق وبالرغم من أن الفران رفض أن ينضج له هذه القمامة ، فقد ألقى بها ابن خفيف في التنور ، ووقف يأكل الجزء الذي أصابته النار منها .

وهناك مع الفارق حكاية رأس الكلب - التي رويت في كثير من المصادر - وهي داخلة في هذا الموضوع ، فقد تأفف ابن خفيف من أكل لحم فاسد في منزل جاره ، وبينما كان ذاهبا إلى الحج مع أصحابه بعد هذه الحادثة ، ضلوا الطريق ، ومن شدة ما أصابهم من جوع اشتروا كلبا من البدو ، فذبحوه طبقا للمذهب المالكي وطبخوه ، وخرجت قرعة الشيخ على رأس الكلب <sup>(٣)</sup> ، ومن أجمل صور هذه الحكاية ماورد في نفحات الأنس . إذ أنطق الله تعالى رأس الكلب وقالت له : « إن ما يحدث لك الآن جزاء تأففك من ذلك اللحم » .

وبهذه الأمثلة الكثيرة يبدو ابن خفيف أماما زاهدا حقيقيا ، وقوله بشأن الزهد يوضح موقفه بالنسبة له : « الزهد سلو القلب

---

( ١ ) السيرة : ٥ / ٣٢١

( ٢ ) السيرة : ٣ / ١ ، وانظر تلبس ص ٣٠٠ ، الذهبي ١١٣ ؛ سبكي ٢ / ١٥٣

( ٣ ) السيرة : ٣ / ١ ، رسالة : ١٧٣ ، تذكرة : ٢ / ١٢٦ ، شد ٢٢٣ ، نفحات



عن الأسباب ونفض الأيدي عن الأملاك ، وحقيقة الزهد التبرم  
بالدنيا ووجود الراحة في الخروج منها <sup>(١)</sup> .

ومن الواجب هنا أن نذكر أقوال الشيخ الشيرازي ، التي تدور  
حول موضوعين آخرين من موضوعات التصوف ، هما الفقر  
والتوكل ، ومن المعلوم أن أول كتاب كتبه ابن خفيف في شبابه ونال  
عنه مدح أستاذه هو كتاب « شرف الفقر » ، وذلك لأن الفقر  
هو أول مقام في طريق التوحيد <sup>(٢)</sup> ، وبدلاً من هذا العنوان الذي  
ذكره الديلمي في موضوعين من سيرته <sup>(٣)</sup> ، ذكر في شد  
الإزار باسم كتاب شرف الفقراء المتحققين على الأغنياء  
مشتقين <sup>(٤)</sup> وربما كان العنوان الأخير إذا صح ، مأخوذاً مباشرة  
من النقاط التي ثارت في المناقشة ، التي قامت بين ابن  
عطاء والشيخ ، وكما ذكرنا آنفاً ، كان ابن خفيف يتخذ موقف  
الدفاع عن أفكار الذين يفضلون الفقراء على الأغنياء ، من ضمن  
الصوفية ، ولابن خفيف كلمة أخرى ، يضع فيها الغنى الشاكر في  
مرتبة الفقير الصابر <sup>(٥)</sup> .

(١) حلية : ١٠ - ٣٨٦ ، رسالة : ٧٢ ، سبكي ٢ - ١٥٤ ، إحياء : ٤ - ٢١٦

نكدة : ٢ - ١٣١ طرائق ٢ - ٢٢٥

(٢) هذا التفسير منقول عن اللع عن نصر بن الهمام ص ٤٨

(٣) السيرة : ٢ - ٥ ، ١٢ - ١٠

(٤) شد ٤٢

(٥) السبكي ٢ - ١٥٥

وعلى هذا فانفق لم يفسد صفة ظاهرية فهو « عدم الأملك والخروج  
عن أحكام الصفات »<sup>(١)</sup> أى أن الغنى إلى مالا نهاية ، هو ترك  
كل شيء ، والثقة بما فى يد الله ، وفى مثل هذا الفقر يكون الفقير  
مالكا لكل الدنيا حينما يخرج عن كل شيء .

وفى كلمة أخرى لابن خفيف أن الفقر مشتق من الفقر<sup>(٢)</sup>  
لأن الفقر هو الذى يقيم الهيكل العظمى ، وبهذه الصفة يصير  
ضعيفا كل من يقال له فقير ، أى أن مثل هذا الإنسان يحتاج  
إلى معين أو مساعد ، والفقر بالروح : يستطيع أن يعيش بعون  
الله ومساعدته فحسب ، والصفات الفريدة للفقير الحقيقى أن  
يصبر حينما لا يكون مالكا لشيء ، وأن يؤثر جيرانه بما يأتى به ،  
وأن يسكن عند البلاء والامتحان<sup>(٣)</sup> .

وقد اتخذ مفهوم القناعة مكانته بين هؤلاء الفقراء ، والقناعة عند  
الصوفية هى أساس الرضا ، وعند ابن خفيف « القناعة الاكتفاء  
بالبلعة ، وحقيقة القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء  
بالموجود »<sup>(٤)</sup> ، وقد بقى ابن خفيف منذ شبابه مخلصا لأقصى معانى  
الفقر ، ومعروف من الرواية التى نقلها الغزالي فى كتاب الفقر دون  
أن يذكر اسم الشيخ ، نفس الرواية الموجودة فى كافة المصادر

---

(١) تذكرة : ٢ - ١٣١ ، طرائق ٢ - ٢٢٤ ، وانظر أيضا الرسالة : ١٦٣ ،  
والنفحات : ١١ .

(٢) السيرة ١٢ - ١

(٣) السيرة : ١٢ - ١

(٤) حلية : ١٠ - ٣٨٦ ، تذكرة ٢ - ١٣١ ، طرائق : ٢ - ٢٢٤

أن ابن خفيف طاف فترة بالمزابيل يجمع الخرق وغسلها وخاط منها مرقعته <sup>(١)</sup> ، والدعاء الذى كان يقوله طول حياته ، وتحقق له عند وفاته ، ألا يكون مالكا لشيء عند وفاته ، وألا يكون مدينا لأحد ، وألا يكون على عظمه لحم .

أما بالنسبة للتوكل ، فهو عند ابن خفيف « الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه » <sup>(٢)</sup> . وقد عرف مرشده رويم التوكل بكلمة مشابهة بأنه الاعتماد على وعد الله . وقد نظر كثير من الصوفية إلى رويم نظرة عدم احترام ، لأنه فى شيخوخته جمع المال ورعى أسرته ، كما جاهدوا فى منع ابن خفيف من الدخول فى حوزته <sup>(٣)</sup> . ونشأ أن نعترف أن رويما ابتعد عن سلوك إبراهيم الخواص ، الذى كان يعد مثالا للتوكل فى عصر التصوف القديم ، وقد تجول هذا الصوفى فى الصحارى لسنوات ، بل ورفض صحبة الخضر على ماتروى الحكايات . وبالرغم من ذلك علينا أن نشير إلى حكاية وردة فى السيرة ، ونقلها جاي ، فحواها أن صاحباً للجنيد هو ابن زيزى ، لم يعجب بتصورات الخواص بشأن التوكل . وتحداه أن يتجول فى الصحراء فى غير مرقعة الصوفية وفعل إبراهيم لفرط ثقته فى نفسه ، وبدأ منذ ذلك الحين يفهم المفهوم الحقيقى للتوكل وابتلى بالعناء والألم <sup>(٤)</sup> .

(١) إحياء علوم الدين : ٤ - ٢١٠

(٢) حلية : ١٠ - ٣٨٦ ، ، سبكي ٢ - ١٥٤ ، شذرات ٣ - ٢٧

(٣) السيرة : ٦ - ١ ، وهناك حكاية مشابهة تماماً حول زيادة الزجاج رويم . طرائق

١٩٨ - ٢

(٤) "السلامة" ٦٠ - ١٧ ، نفحات الأنس : ١٣٢ ، ١٣٣

ويرى ابن خفيف<sup>(١)</sup> أنَّ الكسب لا يضر التوكل . وقال  
« إذا صح التوكل لم يضر الادخار » . وعلى كل امرئ لم يصل إلى  
التوكل الكامل أن يبدأ في كسب معاشه ، ومن هنا كان هو  
نفسه يكسب معاشه من حرفة ، والنموذج الأول لمسألة الكسب ،  
برى في حياة أستاذه المحدث الزاهد العتايدي . فهو مشل للزمره  
الورعة . وكان يرعى أوامر الحلال ومناهى الحرام<sup>(٢)</sup> . فقد أقام  
في منزله دون أن يكون في هذا المنزل شيء من أسباب الحياة ،  
ولم يوجد في منزله شمعة واحدة . وكان يرى الانشغال بالدنيا غفلة ،  
وبعد أن سوى شعرة من محاسنه استغفر . ذلك أنه قام بهذا التصرف  
عن غفلة . وما يشابه هذه الأحوال معلوم أيضا عن هشام بن عبدان ،  
فقد حرم على نفسه شاة كانت له أكلت من حقل جاره مرة واحدة ،  
ومنعها لجاره هذا ، وحينما دعى إلى وليمة لم يعط نصيبا من حلوى  
قدمت له إلى أحد مريديه . ذلك أن صاحب المنزل أكرمه بالدعوة  
إلى الطعام فقط لا إلى المنح ، وبالرغم من ذلك فإن المريدين أخذوا  
يتقادفون الحلوى سخرية من هذا المنطق .

والعتايدي ومريدوه يغلبون الخوف ، هذا الخوف الذي يعبر عنه  
ابن خفيف بأنه : « اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود » ،  
كما أنهم يعيشون في ظل الحزن ، وهو عند ابن خفيف « حصر النفس  
عن النهوض في الطرب »<sup>(٣)</sup> .

(١) انظر العقيدة .

(٢) السيرة : ٧ - ١٠ - ١٤

(٣) ١٣٠ - ١٣١ ، تذكرة ٢ - ٣١

وحول الخوف والرجاء : أعطى ابن خفيف درسا لهشام النفوطي في مكة<sup>(١)</sup> ، فحينما سأله الأخير : هل الرجاء والخوف ضدان أم غيران ؟ أجاب : بأنهما في المعنى ضدان لأنهما لا يجتمعان في شخص واحد في زمان واحد ، أما في التوحيد فيمكن أن يجتمعا معا ، فقد أراد أن يقول ، إن ذلك الشخص المستغرق في التوحيد والذي تجاوز عن مختلف المقامات والأحوال ، بالرغم من أنه إذا كان في حال الخوف لا يمكن له أن يكون في حال الرجاء ، إلا أنه من الممكن اجتماعهما عنده في آن واحد . وبالرغم من أن الخوف والرجاء ضدان تماما . إلا أنهما مرتبطان معا ، وآثار الشيخ لاتدور حول الخوف فقط ، إذ نلتقى عنده بأقوال عن الرجاء أيضا . فالرجاء الذي بينا سلفا أنه ضد الخوف تماما هو : « ارتياح القلب لرؤية كرم المرجو محبوب »<sup>(٢)</sup> وفي قول أكثر وضوحا : « هو الاستبشار بوجود فضله وصحة وعده »<sup>(٣)</sup> ، وفي تعبير أكثر قوة : « هو السرور بوجود وصلة »<sup>(٤)</sup>

وكما أن الخوف طرف لازم للرجاء ، فإن الفقر والتوكل وكل الرياضات والمجاهدات التي يقوم بها الصوفية ، ليست وحدها الأسس التي تشكل التجربة الصوفية الداخلية التي تؤدي إلى الحضور ، إذ ينبغي في نفس الوقت إظهار فدائية وتضحية تجاه الجماعة ، وحب بلا نهاية للبشرية . ويلعب هذا الجانب دورا لا يمكن إغفاله ، وبالنسبة

(١) السيرة ٤ - ٢٥ .

(٢) رسالة : ص ٨٢ .

(٣) حلية ١٠ - ٣٨٦ .

(٤) تذكرة : ٢ - ١٣١ ، ضرائف ٢ - ٢٢٥ .

لقول أبي الحسين النورى الصادق إلى أبعد الحدود «الفقر هو إثارة الجار»<sup>(١)</sup> ، فالرحمة بالجار وحبه أسمى من كل أنواع الرياضة والزهد ، فإن «توجيه نظرة مليئة بالحب لأخ في الطريقة أفضل من الانزواء تماما في مسجد المدينة» على حد قول أحد الصوفية .

ويقول ابن خفيف : «إن الأكل مع الفقراء قربة إلى الله تعالى»<sup>(٢)</sup> ، وهو يوصف من مريدیه كمثال للرحمة والتسامح والحب<sup>(٣)</sup> . ويقال إنه لم يغضب في حياته سوى ثلاث مرات ، إحداها لأن جنديا دخل المسجد خلف كلب ليقتله كما أمرت حكومة شیراز .

ومن الطبيعي جدا أنه كان يقدم المساعدة للإخوة المتعبين في سياحاته<sup>(٤)</sup> وله كرامة خاصة به ، وهى أنه كان يصلح بين المتخاصمين والمتعادين<sup>(٥)</sup> .

ويدخل في هذا الباب الحكاية التى نقلها كل المؤلفين ، والتى رواها الديلمى<sup>(٦)</sup> ، حكاية مرض أبي طالب الخزرجى<sup>(٧)</sup> ، فقد أصابه إسهال حينما جاء إلى شیراز فرعاه ابن خفيف ، وقد غلبه التعب ذات ليلة فنام ، وأيقظه المريض بقوله : «لعنك الله» . وقد

(١) حلية : ١٠ - ١١٢

(٢) شه : ٧٧ ، S 75 a

(٣) السيرة : ٢ - ١٠ ، ١٧

(٤) السيرة : ٣ - ٤

(٥) السيرة : ٢ - ١٨

(٦) السيرة : ٨ - ١

(٧) عند الانصارى : مرشده ص ٦٥

تقبل ابن خفيف الكلمة وكأنها «رحمك الله» ، ذلك أن كلمة المرشد للمريد رحمة .

وطبقا لرواية أخرى لهذه الحكاية عند الديلمي أنه قال له متسائلا «إذا لم تستطع أن تقوم بخدمة البشر فكيف تقوم بخدمة الله ؟» وربما كان لكل رواية من هذه الروايات حقيقة داخلية<sup>(١)</sup> ، فهل نعتمد على هذه الحكاية المشهورة التي رواها أحد مريديه وقال : إنه رآه في النوم ، وأنه أي ابن خفيف شفاه من رؤيا من مرض القولنج<sup>(٢)</sup> ، ونعلم أن عددا من زهاد شيراز كانوا مشغولين بمثل هذه الأعمال : أي الرعاية الخاصة للمرضى<sup>(٣)</sup> .

وهناك حكايات مختلفة تبين أن التقوى الحقيقية والسير في طريق الله عند ابن خفيف شرطهما البشر والتواضع ، وفي أثناء درس حصره البول ، ثم نزل منه غضبا : وهذه عنده من خصال الأطفال ، فأخذ يبكي لأنه تحدث في خصال الأولياء ، ولم يتخل عن خصلة من خصال الأطفال<sup>(٤)</sup> ، وقد وصف أبو طالب الخزرجي نفسه بأنه مذنب من المذنبين<sup>(٥)</sup> ، وأشار المحدث الأزركاني إلى نفسه بنفس هذه الإشارة<sup>(٦)</sup> .

---

(١) سلمى : ص ٤٦٤ ؛ أنصاري : ض ٤٦٥ ؛ تذكرة : ٢-٢٣٠ ؛ سبكي : ١٥٣-٢ ، نفعات : ٢٤٨-٢٤٩ ، ٧٤ ب ، طرائق : ٢-٢٢٠ ، شد ٧٦ ، اعلام ١١ ب .

(٢) السيرة : ٩ . ١٠

(٣) السيرة : ٨ - ٧

(٤) السيرة : ٢-١٣

(٥) السيرة : ٨ - ٢

(٦) السيرة : ٢-٥

وكان ابن خفيف كعادة الصوفية ، مستعدا لإعطاء ملابسه التي لا يملك غيرها لأحد رفاقه دون تردد . وفي شيخوخته كان كل جمعة يتصدق بكل أمواله وكل ثيابه على الفقراء قبل الصلاة <sup>(١)</sup> ، وطبقا للكازروني « لقد أخذ وأعطي » <sup>(٢)</sup> .

وقد نقل الديلمى فى السيرة أمثلة شائعة ونظيفة عن مختلف الصوفية فى هذا الصدد ، وكتاب السلمى « آداب الصحبة » مفيد فى هذا الخصوص لأنه رأى عاداتهم فى هذا الموضوع عن كتب .

وأجمل الحكايات التى أوردتها الديلمى فى هذا الخصوص وأكثرها تأثيرا ، هى التى يتناول فيها بعض أحوال ابن على الروزبارى العظيم ، وتجلى أمامنا هذه الروايات صبر هذه الشخصية ومسامحتها وتسامحها الذى لا ينتهى ولا ينفد . لقد كان يعفو عن أى تجاوز وتعد من الغرباء ومن مريديه بابتسامة <sup>(٣)</sup>

وبينما كان الصوفية يقومون بهذه المساعدات دون انتظار منة أو شكر فإن بعضهم كان يحصل وفى الحال على جزاءات مادية كبيرة . وهنا على سبيل المثال حكاية الجنيد الذى منح كل ما يملك من دراهم لجارية كانت تبكى فى الطريق ، وذلك قبل أن يفتى بحاجات زوجته النفساء وطفله الوليد ، وحين عاد وجد مطبخه مليئا بما يوكل ومنزله مليئا بما يلبس <sup>(٤)</sup> . وهناك رواية أخرى تبين أن الصوفية كانوا لا يأنفون

---

(١) السيرة : ٢-٢ ، السبكي ٢-١٥١ ، ابن عبد كرم ١٩٢

(٢) Meir, haz. 46.

(٢)

(٣) السيرة : ٤-١٢ ، ١٣

(٤) السيرة : ٦-٣٦



من القيام بأحق الأعمال . وهذه الرواية عن أحوال أبي محرز ( أو أبي مزاحم )<sup>(١)</sup> ، فبينما كان أحد الشيوخ مشغولاً مع مريديه بتنظيف خلأه . جاء هذا المرشد العظيم لزيارته ، وفي الحال اشترك معهم في هذا العمل .

وبينما كان هؤلاء الزهاد مشغولين في صوم قاسم ومستمر ، كانوا يفطرون بوازع من صداقة من ليس بصائم وصحبته ، أو من أجل "صديق جائع"<sup>(٢)</sup> . وقد استثقل ابن خفيف هذا الأمر ، فحينما أفطر مرة ، أو مرتين نزولاً على رغبة أحد مريديه ، أو شيوخه . جاهد في أن يتقيأ ما أكله في الحال ، بالرغم من أن أحد شيوخه نهاه عن هذا العمل ، وفي أوقات أخرى ، لأن فيه نية المواصله ، أجبر أحد أصدقائه الذين لم يكن في نيتهم الصوم على ترك الأكل ، وذلك لأنه ترك الأكل<sup>(٣)</sup> .

وكما ينبغي على الصوفي أن يفطر حبا في الآخرين ، ومن أجل أن يوفي مقاصدهم ، ينبغي عليه أيضا أن يشكرهم على ما قدموا من هدية ، وأن يتقبلها . ومثال على هذا الأمر ، المنعزل السريع الغضب الزجاجي ، الذي حير كل معارفه بقبوله لبعض ملابس أحضرها له ابن خفيف<sup>(٤)</sup> . وهذا الصوفي بالرغم من إقامته بمكة اثني عشر عاما ، لم يكن يتحدث مع أحد . وبوماطة ابن خفيف بدأ في صحبة الشيوخ

(١) السيرة : ٧ - ٢٣ ، نفحات : ص ٢٤٠ - ٢٤١ . طرائق : ٢ - ٢١٦

(٢) السيرة : ٧ - ٣٥ ، ٢٠٢ ونظر السلي : كتاب الصعبة .

(٣) السيرة : ٢ - ٤

(٤) السيرة : ٧ - ٨

الآخرين<sup>(١)</sup> ، ومن المصادفات الغريبة أن كتاب «اللمع» نزل قولاً في الصحبة عن هذا الصوفي المتزوي تماماً<sup>(٢)</sup> .

وبين الآن والآخر ، تبصر لحظة ابن خفيف من النواحي الإنسانية وطبقاً لما رواه الديلمي ، كان الشيخ يضحك ويمزح مع أصحابه كأنه طفل<sup>(٣)</sup> ، وحتى في مناقشاته كان في بعض الأحيان يسوق أجوبة ذات جانب فكه تشير الحيرة<sup>(٤)</sup> ، وتثبت هذا حكاية رواها الديلمي : فحينما التقى في شوارع شيراز بمتصوف من أصدقائه شفى بدعائه أحد الأمراء سأل « منذ متى وأنت تزاول البيطرة ؟ » واشتهر الرجل منذ ذلك الوقت بلقب البيطار في المدينة<sup>(٥)</sup> . ومع ذلك فهذه الأحوال نادرة ؛ فالشيء الذي قدره ابن خفيف في حياته أكثر من أى شى هو القيام بدقة بشروط « تربية الباطن » بالنسبة للمريد . « فليس أضرب على المريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات » .

وقد اتخذت كلمته هذه في هذا الخصوص ، مكانها فيما بعد في كتب الصوفية<sup>(٦)</sup> ، وقد أعطى من نفسه لمريديه أعظم قدوة في هذا الموضوع ، فكان يبدى في طفولته وشبابه حماساً لا يمل في القيام بالصلاة ،

---

(١) السيرة : ٤ - ٢٣

(٢) اللع : ص ٧٧

(٣) السيرة : ٢ - ١٨

(٤) السيرة : ٤ - ٢٣

(٥) شد ١٠٥

(٦) رسالة ٣٧ ، سلمى : ص ٤٦٥ : أنصاري ٤٦٩ ، انفحات : ٢٤٩ ، سبكي

٢ - ١٥٤ ، s 57 a ، ضرائق ٢ - ٢٢٠ ، وانظر Zahiriten 68

وفي فترة صلى ألف ركعة في اليوم<sup>(١)</sup> ، وقام بالصلاة ضعفاً لأنه قعد لأن صلاة القاعد لها نصف أجر صلاة القائم<sup>(٢)</sup> ومن أجل أن يقتدى بالسنة المحمدية تماماً لم يهمل في المجاهدة في أداء الصلاة على أطراف أصابعه رغم اعترافه بصعوبتها ، ورغم أنه لم يوفق<sup>(٣)</sup> ، وفي رواية للعطار أن عدم انشغاله بهذه الصلاة لرؤيا رأى فيها النبي صلى الله عليه وسلم ، أخبره فيها أن هذه الصلاة خاصة به<sup>(٤)</sup> ، وفي كتاب كاتب جلبي<sup>(٥)</sup> ، ذكر أن لابن خفيف كتاباً في الدعاء والمناجاة ، ولكن مثل هذا الأثر لم يذكر في القوائم التي وصلت إلينا .

وليس ابن خفيف فقط ، بل كان كل الصوفية الذين عاصروه ، يشغلون ليلهم ونهارهم بالقيام بصلاة الفرض والنوافل ، وقد اعتبر امتناع هشام بن عبدان الصوفي الشيرازي عن القيام بالصلاة سنة - لأنه كان موجوداً في الوجد والامتغراق ، ومحترقاً في عشق عميق - امتحاناً عند كل الصوفية<sup>(٦)</sup> . ونفس هذا الصوفي كان قبل ذلك يرى أثناء الصلاة في حال من الوجد ولا يوصف . وهنا تخرج لنا المشكلة التي ثارت في التصوف القديم : هل يجد الصوفي آخر درجات السمو الروحي - أي الوصال - أثناء الصلاة ؟ أم أن الإنسان الموجود

(١) سيرة : ٢ / ٩ والركعات التي صلاها والآيات التي قرأها تزداد بمرور الأيام ، ويقول صاحب الطرائق أن الشيخ قرأ في يوم واحد سورة الإخلاص اثني عشر ألف مرة ٢٢٣ / ٢٠

(٢) ١٦ / ٢ ،

(٣) ٢ / ٦ ، شد ٤٤ سبكي ١٥١ / ٢ ، وابن عساكر ١٩١ ، ذبي ١٢١

(٤) تذكرة ١٢٧ / ٢

(٥) رقم ١٠٣٧٣ .

(٦) السيرة ٧ / ١٦ ، ٢٠

في ساحة العشق الإلهي يدخل في الصلاة في أوقات معينة ، كما منع  
يفصله عن هذا الوصال ؟ والإمكانان عولجا من قبل الصوفية الكبار ،  
والأجوبة التي قيلت في هذا الخصوص عرضناها في مكان آخر .

ولأنه من المظنون أن دعاء الصوفية مستجاب ، فإن هناك حادثة  
خاصة تبين أن الناس سألوا ابن خفيف وأصدقائه الدعاء<sup>(١)</sup> ،  
ولكن الصوفية كانوا يسألون لأنفسهم الفقير ، أو الحب في مواجهة  
الفقر<sup>(٢)</sup> . وذلك بالنسبة لماذج دعائهم التي وصلتنا . ولم تنقل  
لنا السيرة مناجيات وأدعية جميلة لابن خفيف ، وهذا يشير إلى  
أن متصوفة شيراز في ذلك الزمان كانوا يعطون الأهمية الكبرى  
للتزهد والرياضة .

ومع ذلك ففي هذه البيئة ، جرى الذكر بكثرة . وقد تحدث ابن  
خفيف عن الذكر بأنه آخر الفكر<sup>(٣)</sup> ، ونعلم أن أحد أصدقائه  
بينما كان ذاهبا إلى مرشده أبي سعيد الدقاق قرأ سورة الإخلاص  
ألف مرة<sup>(٤)</sup> ، وذلك أن الشيخ قال : إن سورة الإخلاص بتمامها ،  
والكلمات التي تشير إلى وحدانية الله فيها كنموذج لكل الذكر ،  
وشرط الذكر عنده أن « من إذا ذكره ذكره بتمام وحدانيته » .

والكلمات التي قالها ابن خفيف ، ونقلها عنه كل من  
أبي نعيم والشعراني بشكل مختصر<sup>(٥)</sup> يبدى فيها الفرق بين

(١) السيرة : ١٠ / ٦

(٢) السيرة : ٤ / ١٣ ، ١٧

(٣) السيرة : ١٢ / ١

(٤) السيرة : ١٠ / ٨

(٥) حلية : ١٠ / ٢٨٦ ، طبعة ١ / ١٠٣٠

الذكر الظاهر ، أى التلفظ بكلمات الحمد والثناء بانتظام ، والذكر لباطن وهو عبارة عن المجاهدة باللسان الروحي والقرب من المعرفة ، وباختصار الاشتغال الدائم بالحقائق الإلهية ، وفى حين أن وجود المذكور واحد ، فإن منافع الفكر مختلفة تبعاً للمقام الذى يوجد فيه الذاكرون : فذكر الخائفين يكون على مقدار قوارع الوعيد أما ذكر الواجدين فعلى ما استبان لهم من مرعده ، وذكر المتوكلين غير ذكر العارفين .

وتشير إلى هذا حكاية زيارة ثلاثة من الصوفية لأبي بكر الشعراني ، فقد هاجم الصوفى الأخير لضحكك بشدة ، لأنه يذكر بكلمة الحمد لله ، فى حين أنه من الواجب أن يذكر بكلمة الاستغفار فقط<sup>(١)</sup> .

وهذه الكلمة الأخيرة ، أشار الشيخ إنها كانت تجرى فى الاجتماع المثير الذى وقع فى مكة بجوار جامع أبي قبيس ، فحين نزل الشاب ابن خفيف مع الصوفية فى مكة ، لم يميز من همهمتهم إلا حرف السين ، وامتلد من ذلك أنهم يرددون كلمة الاستغفار<sup>(٢)</sup> .

وفى بيئة ابن خفيف . كانت تقام مجالس السماع ، وقد تعلم ابن خفيف أصول السماع من مرشده أحمد بن يحيى ، وهذا الصوفى بشهادة مريد موثق به ، كان واجدا قويا لدرجة أنه كان يظهر أشياء

---

(١) السيرة : ٧ - ٩

(٢) السيرة : ٧ - ٣٢

خارقة للعادة في وجوده ، فكان يمسك بالفحم الملتهب ، والنار المتأججة دون أن يلحق به أذى<sup>(١)</sup> . ونعلم من رواية كيف أخذ يدور أثناء الوجد . ومع ذلك ، فابن خفيف كان يرى مثل كبار الصوفية في زمان ، إن السماع بالنسبة للمبتدئين غير ذي فائدة ، بل إنه مضر ، أما للمتقدمين فهو مباح . ويعتبر الصوت الحسن حظاً من حظوظ الروح ، وبالرغم من ذلك فقد كان يفضل ترك السماع جملة . وذلك لكثرة آفاته<sup>(٢)</sup> .

وعلى كل حال فلعله ضمن كتاب السماع<sup>(٣)</sup> أفكاره هذه ، وقد كان ابن خفيف يعلم مخاطر السماع ، وقد سقط مريده الأثناني ميتاً لسماعه عدة أبيات ، فاستدعى ابن خفيف قوال هذه الأبيات ، وأمره بالأكرار غناه هذا الذي يسبب المصائب ، وغاب عن وعيه أربعة أيام « ودفنوا الأثناني ولا علم للشيخ »<sup>(٤)</sup>

أما الوجد - عند ابن خفيف - فهو « أن تضيء وارادات الحق في الأسرار ، فتجذب إليها الأرواح ، فتجد القلوب من ذلك نسيماً<sup>(٥)</sup> » ، أي أن هذه الحركة تنبثق من مركز القلب ( السر ، موطن المشاهدة ) ، عن طريق الروح ( وهي مكان المحبة ) ، فتذهب إلى القلب ( وهو مكان المعرفة ) وقد فسر القشيري ذلك على نسق أوضح .

وقوة الوجد تثير الحيرة أحياناً ، وأثناء قراءة القرآن أجريت جراحة\* ، قطعت بها ساق صوفي ، استغرق في الوجد<sup>(٦)</sup> . وكما أوضحنا

(٢) عقيدة .

(١) السيرة : ١/٧ ، ٢

(٤) السيرة : ٧ / ٣٤

(٣) لم يذكره صاحب شد الأزار

(٦) السيرة : ٦ / ٢٨

(٤) السيرة : ١٢ / ١

سلفا ، أن شخصا يسمى أبو الأديان مر على النار دون أن يهتز . وبعد ذلك رأى حرق واحد في قدمه ، وحينما سأله خادمه عن هذا الحرق ، أخبره أنه أصيب به لأنه عاد إلى نفسه لحظة وأضاف « إذا كان حضوري هذا من أول الأمر لاحتترقت بأكملى <sup>(١)</sup> » .

ولأن ميدان الكرامة الحقيقي يبدأ بالفراسة ، فإن ابن خفيف مثل كل الشيوخ ، كان مميزا بهذه الصفة <sup>(٢)</sup> . ومن بين الحكايات التي تروى عنه في هذا الأمر خاصة : ما روى عن خادمه الذي طمع في ملابسه ، فألقى بملابسه في النهر وأتاه عاريا ، وقال الشيخ للخادم الذي جلس مرتعدا « كنت سأعطيك الملابس بنفسى ، ولم تكن بك حاجة ، لأن تخفى حاجياتك » <sup>(٣)</sup> . وبالرغم من ذلك فلم يتحدث ابن خفيف عن كراماته كثيرا ، ولم يفخر بمثل هذه الأشياء ، وأطرف ما روى من كراماته الصغيرة ، هو ما روى أن أحد مريديه : اشترى أشياء كثيرة من السوق ولم تنقص نقوده قط <sup>(٤)</sup> . وهناك كرامة صغيرة أخرى من كرامات السياحة : وهي أنه استطاع أن يتجاوز القافلة بالرغم من أنها سارت قبله <sup>(٥)</sup> . وتكرر بعض الحكايات في السيرة بشأن كرامات بعض الشيوخ : ومنها طى بشر الحافي للمسافات من أجل عيادة مريض <sup>(٦)</sup> ، وحكاية أخرى تشبهها للجنيذ <sup>(٧)</sup> ولقاء الشيخ الدراج للمجنوم في كل منزل من منازل الطريق <sup>(٨)</sup> ، وهذه

(٢) السيرة : ٢ / ١٨

(١) السيرة : ٨ / ٢

(٤) السيرة : ١٠ / ١

(٣) السيرة : ١٠ / ٤

(٦) السيرة : ٦ / ٢٥

(٥) السيرة : ١٠ / ٢

(٨) السيرة : ٦ / ١٧

(٧) السيرة : ٦ / ٢٧

الحكاية الأخيرة التي تظهر قوة الضعفاء ؛ قد انتشرت كما تنتشر  
حكايات ألف ليلة وليلة .

وذكرت السيرة - عدة مرات أيضا - أن أولياء الله . يرون أمام  
أعينهم ما يغيب عن أعين الآخرين <sup>(١)</sup> . وقال ابن خفيف لتلك التي  
سألته عن حادثة اختفاء غلام في الهواء ؛ أنه لم يختف حقيقة ؛ ولكنه  
دخل في حال لا يراه فيها الآخرون بعيونهم ؛ وبهذا القول وضحت  
هذه الحادثة للغاية ، وإذا صحت روايات السيرة فإن أمثال هذه  
الأحداث ، كانت تثيره إلى حد كبير وتسترعى انتباهه . وطبقا  
لرواية نقلها الديلمي في عطف الأليف ، أن نسوة الكرد جئن ذات يوم  
إلى ابن خفيف ، وأخبرنه أن صبيا راعيا أخذ يرتفع دائرا في الهواء  
حتى غاب عن أبصار القبيلة . وقد أثير الشيخ إلى أقصى درجة وأجاب  
موبخا على مريد سأله عن إمكان حدوث هذه الحالة ، فقال بحدة :  
« هنا بينكم من ينتظر أشياء كهذه » <sup>(٢)</sup> ، وبالرغم من ذلك ، فإننا  
لا نعلم هل وصل إلى هذه الحالة أم لم يصل برغم كل زهده ورياضته ،  
ولو كان قد وصل إلى هذه الدرجة ، لما كان في ذكر الديلمي والمصادر  
الأخرى لها شك .

والولى الذى يعيش فى جدال مع نفسه . من الممكن ألا يستريح  
فى هذه الحرب ، ومن ناحية أخرى من الممكن أن يتشجع ويأخذ  
قوة دائمة جديدة فى الطريق حين يرى الرسول و كبار المؤمنين .

---

(١) على سبيل المثال . السيرة ٩ / ٩ - ١٠

(٢) السيرة : ١٠ / ١٠ ، ألف ١٥١



والسخرية من وساوس إبليس تعد وظيفة من أهم وظائف الصوفية وينتقد ابن خفيف على معاصريه غفلتهم وإهمالهم ، وله قول في هذا الصدد ، اتخذ مكانه في كتب كثيرة وكان ذلك لأهميته يقول :  
 « عهدى بالصوفية يسخرون من الشيطان واليوم يسخر الشيطان منهم »<sup>(١)</sup>  
 وهو يقصد بقول « عهدى » التصوف القديم ، وفي ذلك الزمان في بداية القرن العاشر . ناقش الدراج الشيطان ، فأجاب عليه - حين قال له إن أهم مداخله للصوفية صحبة الأحداث - قائلا : لقد تركنا هذا ياملعون ، وبالرغم من ذلك فإن الشيطان أجاب على سب الصوفى له بكل ظفر » وهذا أيضاً لا يجمل بك فانؤمن لا يكون لعانا »<sup>(٢)</sup> ، وقد قام أبو الضحاك أحد أصدقاء الشيخ بمجادلة قاسية جدا مع الشيطان<sup>(٣)</sup> .

رحين نأتى إلى ابن خفيف نفسه ، من الطبيعى أن نجده مرفقاً في قتاله ضد الشيطان ، ومصادق ذلك حكاية المرأة التى رأت الشيطان في النوم ، فسألته بأى شئ تدفع عنها وساوسه ، فأجابها بأن تسأل ابن خفيف ، فذهبت إليه وأخذت نصيحته في هذا الأمر<sup>(٤)</sup> وبالرغم من أن هذه الحكاية تبدو مصطنعة إلى حد ما ، فإنها تظهر إلى أى مدى كانت عقيدة الناس في الشيخ الشيرازى الكبير .

وليست رؤية المسلمين للرسول صلى الله عليه وسلم في النوم بالشيء النادر ، فقد شرف ابن خفيف بهذا الأمر عدة مرات ، وإن لم تصل إلى

(١) السيرة : ١٢ / ٢ رسالة ٢٨ ، نكبة ٢ - ١٣٠ ، سبكي ١٥٤ / ٢ ، S76a

(٢) السيرة : ٢٠ / ٤ (٣) السيرة : ٣٨ / ٧ .

عدد المرات التي رآه فيها النوم أبو بكر الكتاني أى إلى ستائة مرة<sup>(١)</sup> .  
وقد تجاوز الشيخ الشيرازى - فى النوم - السماوات برفقة جبريل ،  
وبعد أن رأى الأنبياء والأولياء ، وصل إلى العرش الإلهى ، ولكنه لم  
يزد فقال : « ورأيت مارأيت »<sup>(٢)</sup> ولأبى عبد الله خاصة رؤيا مشهورة  
جدا عرفه خلالها الرسول ، بأن كل من يسلك طريقاً فيه نجاته ، ثم  
يرجع عنه يعذبه الله عذاباً شديداً ، وذلك مصداقاً للآية الكريمة  
« فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّى أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ »<sup>(٣)</sup>

وهناك رؤيا أخرى تبين بعض المداخل لمشاهير الذين ساروا فى  
الطريق الصوفى ، فقد رأى فى بعض ما رأى أبا يزيد البسطامى فى نور  
سماوى<sup>(٤)</sup> ، ومشاد الدينورى فى وجدده ومناجاته<sup>(٥)</sup> . ولا ينبغي أن  
ننسى رؤيا أبى إسحق الكازرونى ، التى اختار فيها الشيخ مرشداً له<sup>(٦)</sup>  
وفى بعض رؤاه تحدث بعد الأحداث العجيبة ، فى رؤيا رآها ابن  
خفيف عن عيسى عليه السلام : تعتمد على الآية الكريمة « وَأُنَبِّئُكُمْ  
بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فى بيوتكم »<sup>(٧)</sup> **سورة الزمزمية** **سورة الزمزمية** **سورة الزمزمية**  
أصدقائه المسيحيين<sup>(٨)</sup> من مأكل : وفى اليوم التالى طلب من صديقه  
هذا حين جاء لزيارته ما علم فى الليلة السابقة بوجوده فى منزله<sup>(٩)</sup> ،  
وحيره بشأن ذلك ، وهذه الحكاية فى رأينا ، لا تليق بمتصوف كبير .

(٢) السيرة : ٩ / ١

(٤) السيرة : ٩ / ٣

(٦) تذكرة : ٢ - ٢٩٢

(١) السيرة : ٤ / ١٤

(٣) المائدة : ١١٥

(٥) السيرة : ٩ / ٥

(٧) آل عمران : ٤٩

وبعض الرؤى الأخرى تبدو أكثر معقولة ، فبعد رؤيا رآها أحد أصدقائه شجع الشيخ على إكمال تصنيف كتابه « جامع الإرشاد »<sup>(١)</sup> وفي ظل رؤيا أخرى ، قرر أحد المريدين إكمال نسخ كتاب مرشده بعد أن كان قد مل منه<sup>(٢)</sup> ، وبالرغم من ذلك ، فإن مثل هذه الأشياء ، لا تلعب في الطريق الصوفي ، إلا دورا ثانويا ، وبالنسبة لآخر أهداف الصوفية وهو الفناء في الله ، فهو لا يبدو على جانب كبير من الأهمية ، فالرؤيا والكرامة وأمثالهما من مظاهر الدنيا الفانية ، والصوفي الحقيقي لا يبحث عن أمثال هذه الحوادث ، ويجاهد في الابتعاد عنها ، وللشيخ مرید رآه في رؤيا تطابق رغباته ، فقد أخبره الشيخ خلالها بأن الله قد غفر لكل من صلى عليه إلا أهل البدع وأهل الكتاب<sup>(٣)</sup> .

ونكتفي هنا بكلمات المؤرخين السبكي والكفوي ، الموثوق بهما ، والتي تدور حول ابن خفيف والاعتقاد فيه : « كان شيخا ترجى البركة من دعائه ، وتحصل على نعم سماوية جزيلة في ظل دعائه »<sup>(٤)</sup> .

---

(١) السيرة ٩ / ٦

(٢) السيرة : ٨ - ٩

(٣) السيرة : ١٣

(٤) أعلام : ١١٥ ب - والسبكي ٢ - ١٥٩

## سيرة الشيخ الكبير أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي مقدمة ابن الحنيد الشيرازي

[ص ١] الحمد والشكر لله جل جلاله ، الذي وهب النسيم  
النور على صفحات كماله ، والذي لا تصل كدورة العبارات إلى صفو  
جلاله ، ولم يكن لجياد الإشارات مركض في ميدان كماله ، احترق  
الجناح الذي طار من عش الدماغ في أوج هواء العقل من أجل  
إدراكه ، هو الراعي للحائرين في بادية الحيرة عن المستقيمين ،  
وهو المكرم للمبعدين الملهمين أفضل من كل المكرمين .

والسلام على خاتم الأنبياء وخاتم الأسخياء محمد المصطفى صلى  
الله عليه وسلم ، الذي عطر العالم بهبوط مقدمه المبارك ، وأقرت آذان  
الخلق (له) بحلقة العبودية ، وعلى عترته وصحابته الذين كانوا  
أنجما في ملك المساعي ، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين .

أما بعد ، اعلم أن الأتابك سعيد : المرحوم الشهيد . كان رجلا  
محمود السيرة ، يحب العلماء . ومن قبيل ذلك أنه كان دائما يتعرف  
على أحوال أولياء الله ، والسلف الصالح المتقدمين والسابقين ، ويطالع  
سيرهم وسلوكهم ، ويزين بها أيامه . وذلك لأنه علم ألا يتأني النفع  
دون زاد (ص ٢) ولا يمكن الصيد دون جواد ، ولا يمكن العثور على الجادة

دون معرفة سير الأولياء، فالتمس الرجل الذى سمع طرفا من سيرهم وسلوكهم. وطلب من الإمام العالم، المرحوم الخالد الذكر الشهيد ركن الدين يحيى ابن مولانا شيخ الشيوخ ، سلطان المشايخ المحققين ، برهان الأولياء المدققين ، معين الحق والشريعة والطريقة والدين ابن الجنيد . أيد الله ظلاله ، أن يترجم سيرة الشيخ الكبير قدس الله روحه العزيزة إلى اللغة الفارسية ، حتى يجد منها كل من لم يحصل قدرا من العربية حظا تاما، ثم إنه من أجل الاعتقاد الذى كان له فيه . والاستعداد الذى رآه فى نفسه، أجرى الخاطرة من كل جهة، وأمر الفكر كيف يضعه ، فامتشق قلم التحرير فى بيان التقرير ، واشتغل بترجمته ، وزينه بأفضل عبارة . وأعد دواء يعالج به نفسه كل من أصابهم مرض قلبي أو علة روحية ، ولا شك أنه يجد فيه شفاء . وكل من أراد أن يزاوِل العلم والتذكير ، يجعل منه رأس ماله ، حتى يصل كل شخص إلى مراده ومقصوده ، ويجد الطريقة إلى مشربه . « قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ <sup>(١)</sup>

شعر : لكل إنسان عمله . . وكل إنسان وزاده .

ويعلم الجوهري قيمة ديناره <sup>(٢)</sup> .

---

(١) سورة البقرة آية ٦٠ .

(٢) قال صاحب تاريخ كريدة عن هذه الأبيات « يتقوان لم ينظم شعرا فى حياته إلا هذا

البيت ، ص ٧٨٢ .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(ص ٣) الحمد والشكر لله جل جلاله ، الوجدانية نعت لجلاله ، والانفراد صفة لكماله ، والحمد والثناء للخالق الذى تنزهت ذاته عن الحلول فى المكان ، وتقدس صفاته عن الوقت والزمان ، العالم الذى يحيط علمه بأفلاك السموات وطبقات الأرض و «لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ» <sup>(١)</sup> ، القادر الذى سخرت الكائنات لقضائه وقدره ، وانقادت الموجودات لحكمه وأمره ، وظهرت آثار قدرته على مخلوقاته ، ولاحت على الشمس والقمر دلائل تساطعه ، «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ» <sup>(٢)</sup> ، والخير والشر بقضائه وقدره ، المرید الذى نیطت طاعة العباد ومعصيتهم بإرادته ، وارتبطت أعمال الخلائق بمشيئته ، «إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ» <sup>(٣)</sup> السميع ، الذى انتفت عنه الآفة والجراحة ، البصير ، الذى انتفت عنه البينة والجهة ، «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» <sup>(٤)</sup> ولتكن مثات الألوف ، من الصلوات الطيبات والتحيات الزاكيات ، على مقتدى الملة ، ودليل الأمة ، خاتم الأنبياء ، وسيد الأصفياء محمد المصطفى وعلى عترته وصحابته صلوات الله عليهم أجمعين .

(ص ٤) اعلم أيها الباحث عن طريق الحق ، أن لكل طائفة سيرة معلومة وشرعة مقسومة ، وأفضل السير قاطبة ، وأكثر الشرائع

(٢) انحل ١٢ .

(٤) الشورى ١١

(١) سبأ ٣ .

(٣) الحج ١٨

قبولا ، سيرة أولياء الله وشرعتهم ، وذلك لأن الولاية تلو النبوة ،  
وتوأم السنة ، وكما أن علوم الأنبياء صلوات الله عليهم لندية ،  
وليس للعمل والكسب مجال فيها ، ولا للتعلم والتأدب مدخل لها ،  
فعلزم الأولياء على نفس النسق ، فهي تحصل دون تعلم معلم  
بشرى ، وتسفر عن وجهها دون اجتهد مجتهد ، وذلك مصداقا  
لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبياء » <sup>(١)</sup> ،  
ومراده بما ذهب إليه ، والمراد هنا من إحلال العلماء محل  
الأولياء ، أن علم الوارث يجب أن يكون من جنس علم الموروث  
أى مادام علم الأنبياء يحصل دون سعيهم ونصبهم وكدهم ويصل  
ميراثهم إلى الوارث دون سعى أو مشيئة ، فإن حقيقة العلماء  
ورثة الأنبياء خليفة بالأولياء وواضحة ومبينة في نعتهم .

وإذا أمعنت النظر ، لرأيت أن مقام أولياء الله تعالى لا يقل عن  
مقام الملائكة ، ولا تقل قيمتهم عن قيمة المقدسين ، وذلك لأن أولياء  
الله يسبحون في بحار التسبيح والتهليل ويبحثون في رياض التمجيد  
والشهادة ، وقد ألقوا بالكدورات البشرية (ص ٥) عن أنفسهم ، وجعلوا الآية  
الكريمة « يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ » حلية أيامهم ، وهذا  
هو نفس حاصل أمر الملائكة .

(١) ورد هذا الحديث في الأسماء : العلماء العلماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء  
٤ - ٣٤٤ وورد بنصه : العلماء ورثة الأنبياء تحبهم أدل العباد وتدغفر لهم الحياتان في البحر  
رواه ابن النجار عن أنس . الجامع الصغير للسيوطي ٢ - ٥٩ . المترجم .

والآن فاعلم أن المشايخ قد اختلفوا في المقامات ، وتفاوتوا في الأحوال ، وقد غلب الحال بعضهم ، وفي استغراق الحال وغلبة السكر ، كانت تجرى على ألسنتهم بين الحين والحين بعض الغرائب . ويظهر منهم بعض ما يخالف الشريعة . وبعضهم كانوا يظهرون الاستقامة على جادة الشرع ، ويأخذون مددهم من مادة الدين ، حتى جمعوا بين علم الدين والشريعة واليقين ، والعمل أيضاً بظاهر الدين ، ولم يحيدوا قط عن جادة الشرع ، ولم يجوزوا التعدى على الملة الحنيفية ، وكان الشيخ الكبير أبو عبد الله محمد ابن خفيف . قدس الله روحه من هذه الطائفة ، وكان قد حصل العلم والعمل بأعلى درجاتهما ، وحاز قصب السبق على أقرانه في محاسن المذات وفضائل الصفات ، ولم أر في طبقات الشيوخ من دعى «شيخ المشايخ والشيخ الكبير» غيره ، وقد أورد عبد الرحمن السلمى في طبقاته : « كان أوحـد المشايخ في وقته حالا »<sup>(١)</sup> وقد تجاوزت تصانيفه في علوم الظاهر والباطن الثلاثين عدداً ، أما ما سمع عنه فقد جاوز الحد والحصر ، وقد لحق بشيوخ عديدين وغنم صحبتهم ، وزاول الرياضة إلى غير حد ، واستغرق أوقاته في الخيرات والطاعات ، بحيث كان يروى الأحاديث والناس يستمعون له وهو ( ص ٦ ) راقـد في مرض الموت واكتفى بهذا القدر من أوصاف هذا الفذ . فنعتـه بحر لا ساحل له وستذكر أوصافه بالتفصيل في ثنـايا الكتاب إن شاء الله تعالى .

(١) ترجم : « وكان عالماً بعلوم الظاهر وأحدثق ، أوحـد المشايخ في وقته حالا ، وعلمـا ونسقا » .



وبالرغم من أن أبا الحسن الديلمي مصنف السيرة . قد صنف كتابا مبوبا وطيبا ، إلا أنه لم يذكر فهرسا في مقدمة الكتاب ، وقد رأى - هذا الضعيف - من الصواب ، أن يذكر فهرسا في مقدمة الكتاب ، وأن يعدد أبوابه وفصوله حتى يقف القراء من البداية على مضمونه ، ويطلعوا على ما فيه من حصيلة .

وقد صنف هذا الكتاب في ثلاثة عشر بابا ، وفي كل باب عدة فصول في موضوعه :

الباب الأول : في ذكر مولد الشيخ ونشأته . ويحتوى على عدة فصول .

الباب الثانى : في ابتداء أحوال الشيخ وإرادته واجتهاده في العبادة ، وأول شيخ لقيه . وفيه أيضا عدة فصول .

الباب الثالث : في بيان رحلات الشيخ ، وفيه عدة فصول .  
الباب الرابع : في شرح أحوال عدد من المشايخ الذين لقيهم في مكة ، وهم عشر ، ويخصص فصل للحديث عن كل شيخ . ويختم هذا الباب بحكاية عن على بن عيسى الوزير .

الباب الخامس : في أحوال الشيخ حين كان في المدينة . وبيان الصعاب ، والمشقات التى لحقت به هناك .

الباب السادس : في ذكر عدد من المشايخ الذين لقيهم في العراق ، ويخصص فصل للحديث عن كل شيخ إن شاء الله تعالى .

الباب السابع : في ذكر عدد من المشايخ كانوا في فارس ،  
والتحق الشيخ بهم .

الباب الثامن : في ذكر عدد من الشيوخ الذين مروا على  
شيراز ، واغتنم الشيخ صحبتهم ، وفي  
هذا الباب يخصص فصل لكل شيخ بعددهم .  
الباب التاسع : في ذكر الرؤى التي رآها الشيخ ، والرؤى  
التي رآها الشيوخ الآخرون عنه ، وفيه أيضا  
عدة فصول .

الباب العاشر : في ذكر كرامات الشيخ . وفيه أيضا عدة فصول .  
الباب الحادي عشر : في بيان مشايخ الحديث الذين استمع إليهم .  
الباب الثاني عشر : في ذكر مصنفات الشيخ الكبير قدس  
الله روحه .

الباب الثالث عشر : في ذكر وفاة الشيخ رحمه الله . وبه ختم الكتاب .

---

## الثاني الأول

في ذكر مولانا الشيخ قدس الله سره العزيز ونشأته

[ ص ٨ ]

### فصل (١)

قال أبو الحسن علي بن محمد الديلمي مصنف هذه السيرة :  
سمعت من الشيخ رحمة الله عليه قال : « كانت كنييتي في زمن الطفولة  
أبا الحسين ، وبها عرفت » وكان أهل الشيخ من الديد . ونشأته  
في فارس . ومولده في شیراز .

أما صفته فهي أنه بذل المجهود في مقام « تخلقوا بأخلاق الله »<sup>(١)</sup>  
وحصل في رياضة النفس وتهذيبها على المرتبة العليا . ولم يغفل دقيقة  
قط في تتبع الأنبياء والافتداء بسيرهم . وكل من اتصفوا في زمانه  
بالعلم والدين ، واتسموا بالشرع واليقين . اعترفوا بكمال فضله  
وتقواه ، واتفقوا عليه : وأقروا بعمق ورعه وتقواه وفتواه .

ولا يتصف امرؤ قط بهذه الصفات الحميدة . والخصال  
المرضية إلا بإلهام رباني ، وإفهام سبحانه . لتكون مئات ألف من  
الرحمة ، ونثار المغفرة من حضرة ذي الجلال على تلك الذات الشريفة ،  
وعلى مرقدها المطهر .

---

(١) المترجم : الحديث الشريف « تخلقوا بأخلاق الله » ذكر في الأجزاء ٢ / ١٨ مسوقا  
بلفظ قيل وهذا يعني أنه ليس من الاحالات وإن ذكر في الكتب المتأخرة كحديث . كما ورد أيضا  
« تخلقوا بأخلاق » .

## فصل (٢)

[ ص ٩ ] لنعد إلى شرح نسب الشيخ : اعلم أن والده كان من ضمن قواد عمرو بن الليث . وكان عمرو بن<sup>١</sup> الليث هذا من الديلمية . يقول أبو الحسن الديلمي : سمعت من الشيخ أنه قال : كان أبي من كلاشم<sup>(١)</sup> . وهى إحدى مدن الديلم . وقال الشيخ أيضاً : نحن من بنى ضبة وكل الديلم من بنى ضبة . ويروى أبو الفتح عبد الرحيم بن أحمد وهو رجل كان له فى نقل حكايات الشيخ وأحواله قدم راسخ : سمعت من الشيخ أنه قال : كانت أمى من مدينة نيسابور من بنات الكرامية<sup>(٢)</sup> ، والسبب فى أن والدى خفيف تزوج منها أنه حينما نزل خراسان مع عمرو بن الليث ، تاب<sup>٣</sup> عن الجندية وعاد إلى الله تعالى : ونزل فى دار واحد من الكرامية ، وكان شيخا لهم . وحينما رأى فيه دلائل السداد والصلاح والرشاد زاد فى إكرامه ، ولم يغفل قط فى شرط من شروط الشفقة . وزوجه ابنته . وبعد ذلك عاد أبى خفيف إلى الجندية . واتجه إلى شيراز ، وكانت أمى قد حملت بى فولدت فى شيراز .

(١) لم ترد فى معجم البلدان ، ولا فى نزهة القلوب . ولا فى بهار الخلافة الشرقية للسترانج (المترجم)

(٢) الكرامية أصحاب أبى عبد الله بن كرام ، وهم إحدى فرق السنة التى غلبت فى التشبيه والتجسيم . وكانوا من ألد أعداء الحركات الشيعية فى عهد السامانيين ثم فى عهد الغزنويين انظر الملل والنحل بهامش الفصل ١ ص ١٤٤ وما بعدها (الطبعة الأولى بمصر) ، وانظر : تاريخ علوم عقل در تمدن اسلامى . ص ٢٦٥ . للشيخ الله صفا . المترجم .

وفي المرة الثانية التي عاد فيها عمرو إلى خراسان كان الشيخ في  
..شهر الثامن من عمره . روى عبدالرحيم : سمعت هذه الحكاية  
على هذا الوجه من والده الشيخ .  
[ص ١٠]

### فصل (٣)

روى أبو الحسن الديلمي : سمعت من الشيخ رواية عن أبيه  
أن عمر بن الليث<sup>(١)</sup> حينما نزل مدينة نيسابور : أمر بأن ينادى كل من  
يكتب إليه مظلمة : أو يقدم شكاة : تقطع يده ، وتعلق مظلمته  
في السوق حتى يعتبر الناس ولا يتظلمون . وحينما رأى الخلق هذا الحال  
وسمعوا هذا النداء ، اغتموا وعراهم من الهم الكثير وكل  
من كان يحق به ظلم : لم يكن يجد المجال لإظهاره ، أو الشكوى  
منه ، أو التحدث به مع آخر . فأجبروا على الصمت ، وكمأن  
ظلم الظلمة وجور الجائرين في أنفسهم .

وحينما مرت فترة على هذا الحال ، ركب عمرو بن الليث  
ذات يوم في عسكره ، وكان قواده ، يسرعون أمامه ، يفرقون  
القوم ويبعدونهم كمادة الملوك والولاطين . وفجأة نادى شخص  
صني باطنه عن كدورات الأحوال ، والانشغال بالأهل والأموال  
وقال : يا عمرو بن الليث توقف لحظة ، فأنا أريد (ص ١١) أن

---

(١) عمرو بن الليث الصفار : أخو يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الأمراء الصفارية  
التي فازعت الخلافة العباسية السلطة على المناطق الشرقية ردحا من الزمن . وبلغ الأمر إلى الحرب  
بين يعقوب والخليفة العباسي المعتمد على أبواب بغداد . وظل الصفاريون شوكة في ظهر الخلافة  
حتى سلب عليهم السامانيون فقتلوا عليهم . المترجم .

أتحدث معك ، فلموى عمرو بن الليث العنان ووقف لينظر مايقول ، فقال ذلك الشخص : ورب الناس . إن لم ترفع الظلم من بين الخلق ، وتقدم بحاجات الناس . لتوجهت إلى حضرة الله تعالى ، وحولت القلب عن مشاغل الدنيا ووساوسها ، ولتضرعت واستغثت حتى يسلب الله النور الباقي في عينيك . فأجاب عمرو : سمعاً وطاعة وأمرك من جملة الواجبات ، ثم أمر بأن ينادى في المدينة : لقد رفعت الظلم بين الخلق . وكفمت أيدي الظلمة عن المظلومين . فقال المقربون من عمرو له : لقد رأينا منك اليوم أمراً عجيباً ، فقد سلمت أذنك إلى ذلك الشخص : وأصغيت إلى كلامه . فقال عمرو : اصمتوا فقد خفت إن لم أنفذ إشارته أن تميد بي الأرض وأهلك .

( ص ١٢ )

## البَابُ الثَّانِي

في ابتداء أحوال الشيخ وإرادته ومجاهداته في العبادة

وأول من قابل من المشايخ . وفيه عدة فصول

### فصل (١)

(ص ١٢) كان أول من حضر عليهم الشيخ ، وتأدب على يدهم ونهذب أبا العباس أحمد بن يحيى . قال الشيخ : حينما أردت في زمن الطفولة أن أشرع في أحوال الآخرة ، وأن أجد نصيبا عن عالم المنكوت . كنت أتردد على أحمد بن يحيى ، فقال لى ذات يوم : اتبعنى ، فتبعته حتى وصلنا إلى دكان قصاب فقصد . أحمد الدكان . واشترى قطعة من اللحم وقال لى : احمل هذا اللحم بيديك ، واذهب به إلى منزلى ( ص ١٣ ) ثم عد إلى . فأخذت اللحم ، وذهبت إلى أحد المساجد . ووضعت اللحم أمامى وأخذت أفكر : هل أحمل هذا اللحم بنفسى . أو أكرى حمالا . وبينما كنت أفكر فى هذا الأمر تذكرت قول أحمد : احمل بيديك ، فرجحت إشارته على إرادتى ، وحملتة بنفسى ، وأوصلته بنفسى إلى منزله ، ثم عدت إليه ، وحدثته بما جرى ، فابتسم الشيخ وبشرنى قائلا : هذا دليل على ماسيكون لك من مقام عظيم عند الله تعالى .

وهذه واقعة حكاهما الشيخ مع أستاذه أحمد رحمهما الله<sup>(١)</sup>  
قال الشيخ : كان من عادتي ألا أتناول طعاما بعد المغرب ، حتى  
أنتهى من أورادي . وذات ليلة أتت أمي ببعض الرطب ، وكنت  
في الصلاة ، وخطر لي أن آكل آلا ثم أشتغل بالصلاة ، وفي اليوم  
التالي : نقلت هذا الأمر إلى شيعي أحمد بن يحيى أثناء المحادثة  
فضحك وهنأني قائلا : طوبى ( ص ١٤ ) لمن كانت هذه سيرته  
وطريقته ، وكانت هذه أول واقعة أسأل فيها الشيخ أحمد .

وقال الشيخ قدس الله روحه : خطر لي ذات يوم ، أن أشتغل  
فترة بدراسة الحديث . وأن أحصل على طرف من علم الأخبار  
والسنن . وفي ذلك العصر كان هناك اثنان مشهوران بعلم الحديث  
ونقل الأخبار ، أحدهما عبد الله بن أحمد الشارداني<sup>(٢)</sup> ، والآخر :  
عبد الله بن جعفر الأزركاني .

ورأيت أن مشاورة الشيخ أحمد بن يحيى في هذا الأمر واجبة ،  
كما رأيت أن أستعين بهمته . فأرسل الشيخ أحمد إليهما ، فاستدعاهما  
وأوصاهما بي خيرا ، حتى لا يبخلا على بمعروف ، ويبذلا الجهد  
المطلوب ، ثم أخذت أذهب إلى مجلسهما كل يوم ، استملى  
الحديث من فييهما ، وأقتبس من الفوائد الأخرى .

وذات يوم قال لي عبد الله الأزرقاني : يا أبا عبد الله . يلزمك  
اليوم أن تشاركنا في صلوات النوافل ، ونرجىء درس الحديث إلى

---

(١) هكذا في النص باللغة العربية .

(٢) لم أجد ترجمة له في السمعاني . المترجم .



يوم ( ص ١٥ ) آخر . فقلت : الأمر ما أراد الشيخ : وإلى أن  
حانت صلاة العصر ربما صليت ألف ركعة .

## فصل (٢)

قال الشيخ قدس الله روحه : كنت قد نظمت أوقاتي في زمان  
تفتولة من الصباح إلى المساء . ومن المساء إلى الصباح . بحيث  
لم أكن لأضيع لحظة واحدة .

ففي بداية النهار حينما يشرق الصباح ، كنت أقوم بصلاة  
الفرض ، واشتغل بقراءة القرآن . وذلك حتى ترتفع الشمس في  
السماء . ثم أصلي الضحى ، وأعمل بصناعة الأحقاق ، ولم أكن  
أعرف من الحرف مايزيد عنها ، وأقوم بهذا الأمر حتى صلاة الظهر ،  
فأقوم بفرضها وسننها ، وأقوم ببعض النوافل حتى صلاة العصر .  
فأقوم بها فرضا وسنة . وحينما أنتهى من صلاة العصر أذهب إلى  
سماح الحديث حتى المغرب ، وحينما أفرغ من فرض ( ص ١٦ )  
المغرب ، أتلو أورادى حتى صلاة العشاء ، وحينما أنتهى منها  
لا أترك أورادى ، ثم أذهب إلى منزلى وأفطر . وأقوم بعد ذلك بكتابة  
الأحاديث الأربعين للرسول صلى الله عليه وسلم . ثم أنام ساعة من  
الليل . وأستيقظ بعد ذلك ، فأصلى حتى الصباح .

وحقيقة أن المواظبة على العبادات . وتوزيع الأوقات على الطاعات  
تشبه بالملائكة إذ أنهم دائما يواظبون على التسبيح والتهليل ،

وهم ملازمون لتمجيد الحق تعالى وتعظيمه . ويذكر الحق صفتهم في القرآن الكريم قائلاً ؛ يَسْبَحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ <sup>(١)</sup> »

ومن جملة آداب الشيخ في خدمة أستاذة إبراهيم بن روزبه رحمه الله <sup>(٢)</sup> : روى الشيخ : كنت ذات يوم منصرفاً إلى الصلاة ، ركن قد سقط كثير من الثلج ، فرأيت في الطريق أحد المشايخ الذين كنت أقرأ عليهم الحديث . فجاذبني أطراف الحديث ، وكنت حافي القدمين ، ولم يلحظ هو حفائي . وطال الكلام ( ص ١٧ ) حتى أذن للعصر ، وحينما انتهى الحديث هممت بالعودة ، وحينما رفعت قدمي ، بقي جلده في الثلج وحينما رأى الشيخ ذلك اغتم ، وتألّم ضميره من أجلى ، فقلت من أجل أن أريح ضميره : كن مرتاح الضمير فلا بأس .

ثم عدت إلى المسجد وأديت صلاة العصر ، فبدأ أُلَم شديد . واشتد ظهوره حتى لم تعد لي طاقة على احتماله ، فعدت إلى المنزل وقصصت الأمر على والدتي ، ومن كثرة ماتوجعت في تلك الليلة ، أتى الجيران واستفسروا من والدتي على الأمر ، فقصصت لهم ما حدث فقالوا : إن علاج هذا الداء هو شحم الثور ، وأعطوا أمي بعض شحم الثور وقالوا لها : « ذوبيه على النار » . وادھني بها قدمه ، ولم يكن في منزلنا الحطب الكافي لإذابة ذلك القدر من الشحم ، وكان في المنزل طبق قديم ، كسرتة وأشعلنا فيه النار ، وغلينا شحم الثور ،

---

(١) الأنبياء : ٢٠ .

(٢) هكذا بالعربية في النص .

ودعنا به (ص ١٨) قدمي ، وظللت على هذا الألم أربعين يوما ،  
بحيث لم أكن أستطيع الوقوف على قدمي خلالها .

وبعدها أتاني مؤمل الجصاص رحمه الله ، وكان عنده زوج  
من الجوارب القصيرة ، فوضعها في قدمي وقال : يا ابن خفيف :  
لا تعرض العظماء بعد ذلك .

وكان ذلك إشارة من مؤمل إنني كنت قد تعهدت بأن أسير  
دائما حافي القدمين . ومعنى كلامه أنه لا ينبغي لمن هو في مقام البداية أن  
يعارض شخصا ربما وصل إلى نهاية الحال . وهذه قطرة من الشيخ  
مع أستاذه ومشايخه قدس الله سره .

### فصل (٣)

قال الشيخ قدس الله روحه : أخذت أتردد فترة في المزابل ،  
حتى جمعت بعض الخس... برك وغطستها وخطت منها قميصا<sup>(١)</sup> ،  
واشتريت رداء بثلاثة دراهم ، وكنت ألبسه بين الناس فوق  
ذلك القميص ، وذات يوم جاعني درويش ، كان لي معه حق الصحبة  
ذات سفر ، وكان يرتدي (ص ١٩) رداء خلقا باليا ، فأثرته بذلك  
الرداء العلوي وخلعته عليه ، وبقيت طيلة الشتاء في المنزل من شدة

---

(١) الذهبى : ١٢٢ ، السبكي ٢ - ١٥١ ، شذرات الذهب ٣ - ٧٧ .

ووردت على وجه آخر في الأحياء ؛ قال يحيى ابن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط  
تخرف من المزابل ويفسها ويلفقاها ويلبسها - فقلت : إنك تكسى خيرا من هذا فقال : ما  
ضرهم ما أصابهم من الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فأخذ يحيى بن معاذ يحدث بها ويبيكي .  
ح ٤٠ - ٢١٠ (المطبعة الأزهرية سنة ١٣٠٢هـ) . المترجم

العري ، وانقطع تردد المترددين على ولم تبق إرادة المريدين على حالها ، ونسبني الخلق تماما .

وبعد فترة هيأت قميصا ، وارتديته وخرجت . وكان قد انتشر بين الناس سؤال : لماذا أعرض عن الخلق ؟ وكان البعض يقول : إن السبب هو كمال درجته : أما البعض الآخر فكان يقول : هذا عقاب له ، ولانعلم ما سبب هذا العقاب ثم سألوني : ألم تدر قط لأي سبب كانت تلك العقوبة ؟ قلت : أعلم أن سببه أنني وهبت خرقتي لمن ليس أهلاً لها.

#### فصل (٤)

قال الشيخ رحمه الله : مرت أربعون سنة لم تجب على فيها زكاة فطر ، مع أنني كنت مقتدى الخلق ومقبولا لدى الخاص والعام (١) .

(ص ٢٠) وقال الشيخ رحمه الله : كنت ذات مرة في خدمة جماعة من المشايخ الكبار . وحينما حان وقت الإفطار ألحوا على كثيرا قائلين : شاركنا أيضا وأفطر فموافقة الإخوان من محاسن الأخلاق ، ولم أفطر . ثم غلبني البكاء بالرغم مني . وبكيت حتى تنفص وقتهم وكفوا أيديهم عن الطعام ، وكان جعفر الحذاء في هذا الجمع ، فقال : ردوا عليه حاله . فإني أخشى أن يسلط الله علينا عقابه . واتجه إلى قائلا : يابني داوم على هذا الحال حتى تجد المقصود ، ونصل إلى مرتبة العالم الباقي .

---

(١) انظر : الرسالة ص ١٦٤ (بولاق سنة ١٢٨٤) ، تذكرة الأولياء ٢ - ١٢٦ .  
ابن عساكر - ١٩٤ - الذهبي - ١١٤ - السبكي ١٥١٢ .

## فصل (٥)

(ص ٢١) قال الشيخ رحمه الله عليه : أول ما صنفت كان كتاب «شرف الفقير» وأخذه مني أحد الصحاب ويسمى أبو بكر بن يزيد . وقد أوصيته قائلا : لاتظهره لإنسان قط .

و ذات يوم اتفق لى أن حضرت حديث جماعة من المشايخ ، وكان أبو بكر يقرأ عليهم هذا الكتاب ، فاستحسنوه كثيرا وسألوه : من هو مصنف هذا الكتاب ؟ فأشار أبو بكر إلى . فتعجب الجميع وتحيروا . ثم حان وقت الصلاة فأشاروا إلى قائلين : أمنا . فقلت : إن الشيوخ ألق بالإمامة والقيادة . فقالوا جميعا : إن شخصا له هذا الكلام ، تقديمه وجعله مقتدى للمراء من جملة الواجبات .

قال الشيخ رحمه الله : صرت فى زمن البداية رئيسا لجملة من المشايخ ، وقائدا لجملة من الصحاب ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(ص ٢٢) قال الشيخ قدس الله روحه : اتفق لى ذات مرة أن جالست جماعة من المشايخ وقت الإفطار ، فآلحوا على كثيرا قائلين شاركنا : أيضا وافطر معنا ، فأفطرت إكراما لهم ، ثم ندمت بعد ذلك ، وانتحيت زاوية ، وتقيأت كل ما أكلت ، وفجأة رأيت رجلا يرتدى زى الصوفية ، وقد تأنق فى ملبسه ، وحينما أمعنت النظر ، وجدته أستاذى أباعبد الله الأزركانى رحمه الله ، الذى كنت أقرأ عليه الحديث ، فأسرعت إليه ، وحييته ، فقال لى : ماذا تصنع فى هذا الموضع ؟ فتقلت له ما جرى ، فأجاب : لاتتصرف مثل

هذا التصرف بعد ذلك ، وكان اليوم شديد البرودة . فقال ذلك الكلام ومضى ، فخطر لي : إلى أين يذهب الشيخ في هذه البرودة القارسة فالتفت إليّ وقال : إلى أين يذهب المجرمون والمذنبون<sup>(١)</sup> ؟ قال الشيخ : لقد أحدث في هذا الكلام أثرا لم أنسه بعد ذلك .

(ص ٢٣) قال الشيخ رحمه الله : في بداية رياضتي ، مر على أربعين يوما لم أكن أأطعم فيها إلا كف من الباقلاء كل ليلة ، ثم اقتصدت ذات يوم ، وكان الدم الذي خرج مني كأنه ماء لحم ، فغبت عن نفسي ، وأغمى علي .

وفجأة مر طبيب كان يعتقد في هذه الطائفة ، ورآني على هذا الحال ، فاغتم ، وغضب على الفساد غضبا شديدا ، وقال إلى هذا الحد لاتعلم أنه لا يوجد دم في أمثال هذا الرجل ، ثم حملني وأخذني إلى داره ، وأخذ يعالجني عدة أيام ، ويعطيني الأغذية المقوية . حتى عاد إلى الرمق ، واسترددت قليلا من القوة<sup>(٢)</sup> .

## فصل (٦)

قال الشيخ رحمه الله : كل طاعة أو عبادة أداها الرسول صلى الله عليه وسلم . (ص ٢٤) اجتهدت أن أقوم بها ، حتى بلغني أنه

---

(١) شذ الازار : ص ١١٦ : يا بني إلى أين يمشي المذنبون في هذا الوقت . . فاعلمت أنه يريد الوضوء والتجديد . المترجم : والاسم مضبوط : أبو عبد الرحمن عبد الله بن جعفر الأزرقاني . وورد في كتاب السمعاني الأزرقاني .

انظر حواشي التزويبي على الكتاب ١١٦ - ١١٧ طهران ١٣٢٨ هـ

(٢) ابن أبخوزي : مكبس ص ٢٠٩ (مصر سنة ١٩٢٨) ، ابن عساكر ١٩١ : الذهبي ١١٢ ، السبكي (٢ / ١٥١) وهذا في النص خطأ ١٥٥ فتحرير الفساد وقال : ما رأيت جسدا بلا

صلوات الله عليه ، قام ذات ليلة على أطراف أصابع قدمه ، وهذه الصلاة صعبة وشاقة للغاية . فجاهدت أيضا حتى قمت بها<sup>(١)</sup>

قال الشيخ رحمه الله : كان معظم المشايخ في أياى يشتغلون بالكسب . وكان قوتهم من كسب أيديهم ، فتعلمت أنا أيضا صناعة الفلكات ، وكنت أقيم أودى بها . وذات يوم رأيت أستاذى يقطع عظام بعير ميت ، كان عنده من هذه العظام بضع صناديق ممتلئة ، فقلت له : هل ستصنع فلكة من هذه العظام النجسة . قال بلى فنهضت وتببت عن هذه الصنعة . وظهرت يائى وثيابى . وقضيت صلواتى : وذهبت وتعلمت نحت المغازل . وزاولت هذه الحرفة فترة حتى جرحت منها ذات يوم . فتركتها أيضا ، ثم ذهبت إلى قصار ، وأخذت أدق الثياب طيلة نهار ، فسقطت من شدة الجوع ، وانكسرت ركبتي ، فتركتها أيضا .

ثم تشاورت في هذا الأمر مع المشايخ وسألتهم : أى عمل أقوم به أحصل منه على مايسد رمقى ، فقالوا : القصارة (ص ٢٥) حرفة صعبة ويصلح لها شخص ذو قوة ، يأكل طعاما كاملا ملائما ، والمصلحة أن تتعلم صناعة الأحقاق ، فذهبت إلى أبى محمد العتائدى ، وتعلمت منه هذه الحرفة . وكنت أكسب كل يوم درهمين فى المتوسط ، فأشترى أوراقا بجزء منها ، وأجعل الباقي لنفقتى أنا ووالدتى .

---

(١) شد / ٤٤ ، تذكرة ٢ / ١٢٨ (وهنا ١٢٧) ويضيف ( وحينما صلى ركعة على أطراف أصابعه ، لم يستطع أن يصلى الثانية ، فرأى الرسول فى النوم قد دخل من الخراب وقال : هذه صلاة خاصة بى فلا تقم بها ) .

الذم ١١٢ ابن عساکم / ١٩١ ، السكر ٢ / ١٥١ .

يقول أبو أحمد الصغير : قضيت في خدمة الشيخ خمسا وثلاثين سنة ، ولم أرقط أنه أكل في يوم بليلة نصف من<sup>(١)</sup> من الطعام ، ولا اختلاف في أن يكون صائما أولا يكون ، فلم يأكل في كل أوقاته أكثر من نصف من الطعام . ويقول عبد الرحيم : قضيت في خدمة الشيخ عشرين سنة ولم أره قط أكل أكثر من نصف رطل من الطعام .  
(ص ٢٦)

### فصل (٧)

قال إسماعيل المزين : ذهبت في صحبة الشيخ إلى وليدة ، وكما يفعل الخدم وقفت على قدمي . وأخذت أخدم الصحاب . وكان الشيخ قد جلس على رأس المائدة ، وكان يضع في فمه القليل من كل طبق ، ويتعلل به . ويتحدث مع الصحاب ، وبعد الطعام وضعوا طبقا من اللوز . فأخذ الشيخ واحدة ووضعها في فمه . قال إسماعيل المزين : ورأيت الدم فجأة وقد سال من فم الشيخ . فأخرج الشيخ منشفة من جيبه . ومسح فمه . ثم قام وغسل فمه وغسل المنشفة .

وحينما خرجنا وتفرق الصحاب . سألت الشيخ : ما حدث لك ؟ قال رحمة الله عليه : وضعت اللوزة في فمي ، فوجدت لها لذة عظيمة ، ووسوست لي نفسي : خذ واحدة أخرى فهي لذيدة جدا ( ص ٢٧ ) ، فأبطأت المضغ خلافا لنفسي ، ومضغت لساني . حتى انعدمت اللذة ، ورددت نفسي عنها ، حتى لا تطلب المراد فيما بعد . وتتيقن من أنني

(١) المذ : وزن فارسي يساوي رطلين ونصف : المترجم .



لن أسير على هواها . وأننى سوف أسلك طريق المجاهدة والرياضة  
وكسر الشهوات .

### فصل (٨)

يقول عبد الرحيم : كان الشيخ يناجى الله تعالى ذات يوم . وكان  
يقول هذه العبارة « طوبى لمن لم يزد أنسه بك إلا وقارا<sup>(١)</sup> » : أى  
ما أسعد ذلك الشيخ الذى لا يزيده الأنس بالحق إلا وقارا وعظمة ،  
وتفسير هذه العبارة أن المرء حينما يكون فى مقام الأنس تسفر له الهبات  
عن وجهها لحظة بلحظة ، وتزداد عظمته وهيبته نفسا بنفس .  
[ ص ٢٨ ]

### فصل (٩)

قال الشيخ رحمه الله : ربما كنت أقرأ فى زمان طفولتى سورة  
الأخلاص ألف مرة فى الركعة الواحدة . وفى وقت ما ربما كنت أصلى  
حتى صلاة الظهر ألف ركعة<sup>(٢)</sup> .

وقال الشيخ قدس الله روحه : قال لى أحد الصحاب : كذا جلوسا  
حول أحمد بن يحيى : ومررت أنت يا أبا عبد الله . فقال أحمد  
بن يحيى : فى رأى أن التصوف ختم بابن خفيف<sup>(٣)</sup> وقال جعفر الحذاء  
رحمه الله : انتهى التصوف من فارس بمحمد بن خفيف .

---

(١) هكذا فى النص باللغة العربية .

(٢) شد/ ٤٤ : ربما كنت أقرأ فى ابتداء عمرى (هنا أمرى) فى ركعة واحدة عشرة آلاف مرة  
” قل هو الله أحد “ وربما كنت أقرأ فى ركعة واحدة القرآن كله وربما كنت أصلى من الغداة  
إلى العصر ألف ركعة . رسالة ٣٨ ، تذكرة ٢ - ١٢٥ ، الذهى ١١٤ ، السبكى  
٢ - ١٥١ فارسنامه ٢ - ١٤٢

(٣) شد - ٤٠ : المترجم : والنص ( يذهب المتصوف من فارس مع هذا الغلام ) ، ابن  
عساكر ١٩٠ ، ما رأى التصوف إلا ويختم بابن خفيف . الذهى - ١١٢ .

## فصل (١٠)

وقال الشيخ رحمه الله : واصل أحمد بن يحيى الأيام العشر من ذى الحجة ، وقال لى ليلة العيد : أقبل إلى ، فذهبت إليه ، فلوى لسانه كقطعة من الجلد ، وقال : اجذبه ( ص ٢٩ ) فعرضت الماء عليه مرتين فلم يقبل ، وحينما عرضته عليه المرة الثالثة أخذته وقربه من فيه ، ثم وضعه جانبا ، ولم يشربه . واشتغل بأوراده . وحينما انتهى منها : نام حتى الصباح ثم نهض ، وأقام صلاة الصبح .

ويقول أحمد الصغير : حينما رأى الشيخ أبو عبد الله رحمه الله هذا الأمر من شيخه واصل عشر ذى الحجة فى غاية الحر : ونادانى ليلة العيد . ولوى لسانه وقال : اجذبه فهكذا فعل الشيخ أحمد بن يحيى ، وكل من اقتدى بشيخه وصل إلى المقصود . وكل من وزن أحواله وأعماله بميزان شبخه بلغ المراد .

وقال أحمد الصغير أيضا : حدث أن كنت أحمل عشر زبيبات إلى الشيخ ( ص ٣٠ ) ، وكان الشيخ ينظر عليها . فأخذتنى به شفقة ذات ليلة ، فأضفت إليها خمسا ، فغضب على الشيخ رحمه الله وقال : أى شىء دفعك إلى هذا ؟ وألقى جانبا بتلك الحبات الخمس التى كنت قد زدتها ، وأكل الحبات العشر كعادته

---

(١) رسالة ٨٩ ، المبكى ٢ / ١٥١ ، ابن عساكر ١٩٢ ، ابن الجوزى : تلبيس ٢٠٩ ويضيف وأما تقليل ابن خفيف ففعل قبيح لا يستحسن . وما يورد هذه الأخبار عنهم إيراد مستحسن لها إلا جاهل بأصول الشرع ص ٢١٢ ، وفى تذكرة الأولياء « وسمى بالخفيف لأن ضامه كلى ليلة وقت الإفطار كان سبع زبيبات لا تزيد ، فكان خفيف الحمل ؛ خفيف الروح ، خفيف الحساب فى الآخرة . وذات ليلة وضع خادمه ثمان زبيبات ، ولم يدر الشيخ فأكلها فلم يجد حلاوة الطاعة مثلها كل ليلة فاستدعى الخادم وسأله عن ذلك الأمر فقال : لقد أعطيتك الليلة ، ثمان زبيبات قال الشيخ : ولم ؟ قال : رأيته ضميما فرق قلبى فقلت : حتى أقويك قال الشيخ إذن لم تكن صديق بل كنت خصما لى إذ لو كنت صديق لأعطينى سنا لا ثمان وطرده من خدمته . استخدمه آخر . تذكرة ٢ / ١٢٥ وانظر تامة دانشوران / ٢ / ٥٢٨ .

قال أبو الحسن الديلمي : إن مارأيته من الشيخ من الأحوال الشريفة والمقامات العظيمة . لا يبعد ولا يحصى ، ومن صفاته التي مارأيته قد غضب قط أو أغلظ في القول لأحد إلا ثلاث مرات : المرة الأولى : حينما أمر سلطان الوقت بقتل كل الكلاب في المدينة . فأخذ الناس يطاردون الكلاب . ويقتلونهم . فأسرع كلب ودخل على الشيخ في المسجد ، ودخل شخص وراءه إلى المسجد في طلبه . فغضب الشيخ وقال له : ارجعوا عن هذه الفعلة . وإلا سجدت سجدة بإخلاص ، لا يبقى منكم بعدها أحد . فدخل الخوف ذلك الرجل ، وانكب على قدم الشيخ ، وكان جنديا فتاب وصار صوفيا . وارتدى المرقع ، وذهب إلى مكة ، ولم يعلم أحد إلا ما صار حاله .

والمرة الثانية : حينما قالوا ذات مرة أمام الشيخ رحمة الله عليه أن أبا ميمون ( ص ٣١ ) الفقيه قد أطال لسانه ، في الصوفية فغضب الشيخ قدس الله روحه . وقال بضع كلمات .

والمرة الثالثة : حين سئل الشيخ : ما معنى قول أبي يزيد البسطامي أنني أخرج من جلدي كما تخرج النحبة من جلدها<sup>(١)</sup> ؟ فقال : لهذا الكلام غور فأمهلني حتى أفكر فيه ، قال السائل : إني أسأل هذا السؤال ، لأن بعضهم استفسر من أبي الحسن بن بندار فأجاب : ! أن أبا يزيد كافر بهذا الكلام ، فغضب الشيخ وتغوه ببضع كلمات من غضبه .

---

(١) تذكرة ١ / ١٥٧ ف بعدها ( هـ ١٦٠ ) وردت في الجزء الشهير بمراجع أبي يزيد المترجم .

يقول أبو الحسن الديلمي : من مكارم أخلاق الشيخ أن كل من كان يذهب إليه محزوناً كان يخرج من عنده سعيداً فرحاً ، وإذا وقعت خصومة بين رجلين ثم يحضران بمجلس الشيخ ، تنتهي العداوة بينهما ، ويخرج الحقد من قلوبهما . ويسيران كما لو كانا قرينين وإلّفين . ولا ينفر أحدهما من الآخر .

ومن مكارم أخلاقه أنه كان يجازى بالإحسان والجميل كل من قدم إليه إساءة ويتجاوز عن أذى كل من يلحق به أذى . ويجاهد في نصرته . (٣٢) فكان مثل ذلك الشخص يخرج من مجلسه بمراة .

وأعلم أن الشيخ في محاسن الأخلاق كان يقوم بالسلوك النبوي . وفي كمال الصفات كان يجاهد جهاد ملك . وكان يجاهد في أن يعطى لكل هذا مكاناً في نفسه .

وروى جماعة ممن غنموا مجلسه وصحبته : حينما كان الشيخ يجلس معنا ، كان يمزح كالأطفال وكان طيب المعشر بشوشاً ، وحينما كان يعنّ وأرد له من الحق . كانت المهابة والوقار والعظمة تنضح منه . بحيث كان يؤثر في الحاضرين ، فلا تستطيعون القيام بحركة أو إشارة . ومكارم أخلاقه : أكثر من أن يوردها قلم . أو تحيط بها عبارة :

أساميا لم نرده معرفة وإنما لذة ذكرناها

ولكن هذه الطرف نموذج من أوصافه الحميدة رحمة الله عليه حتى تكون تنبيهاً للمبتدئين في طريق التصوف و تذكيراً للمنتهين .

## فصل (١١)

قال أبو أحمد الصغير : خطر للشيخ رحمة الله عليه ألا يذهب إلى وليمة قط . وأن يفطر كل ثلاثة أيام ، وأعد له أحد المريدين وليمة ، وألح<sup>١</sup> كثيراً حتى وافق الشيخ ، وحضر إكراماً له ، وحينما ( ص ٣٣ ) وضعوا المائدة ، نهض أبو أحمد الصغير ليعلم الصحاب ، فأشار له الشيخ بالجلوس . وكررها ثلاث مرات حتى يجلس ويشاركهم ، ولكنه لم يقبل فقال الشيخ : يا أبا أحمد ، إن الحصول على رضا الأخوان وإرضاءهم . ومشاركة الدراويش طعامهم : وإسعاد قلوبهم . أفضل من صوم السنة .

ويقول عبد الرحيم كان من عادة الشيخ أن يدعو يوم الجمعة . ويأمر لى بشئ مما رزقه الله . ثم يأمرنى قائلاً : أنفقه على الدراويش ، ويتوضأ ويذهب للصلاة . وكان من عادته أيضاً أن يهب ملابسه في أول العام للشيخ . ولا يحتفظ لنفسه بأكثر من رداء واحد (١) .

وقال عبد الرحيم كان من عادة الشيخ . حين بوضع الطعام أمامه ألا يمد يده إليه حتى يكثّر من السؤال عن الأخوان والجيران : هل أكلوا شيئاً أولاً ؟ فإذا قيل له : قد أكلوا أكل وإلا آثرهم بطعامه .

---

(١) ابن عساكر / ١٩٢ ، السبكي - ٢ / ١٥١ . « وكان إذا أراد أن يخرج إلى صلاة الجمعة يفرق كل ما عنده من ذهب وفضة وغير ذلك ، ويخرج في كل سنة جميع ما عنده ، ويخرج من الثياب حتى لا يبقى عنده ما يخرج به إلى الناس » المترجمه .

وقال الشيخ رحمه الله عليه : في ابتداء أمرى ، ومنذ أن ولدت حتى نهاية عمرى ، وفقت في جميع أحوالى ، واختلطت البكرة من الميدان في كل أمر . وحينما كنت طفلا . كان أبى ثلثا ذات يوم . وكنت أصلى ، ولما رأى ذلك منى تعجب ( ص ٣٤ ) وأوصى أُمى قائلا : حينما يأتى ندمائى إلى ، فاحملى هذا الطفل من أماننا ، وذات يوم أتى ندماءؤه وسألوه عن أحوالى ، فقال : ليس ولدى باللائق لهذا المجلس . وقد جاوز هذه المرتبة ، وإلا كنت أحضره إليكم

وكان الشيخ يقول : لقد حزت بحمد الله ومنه - قصب السبق على أقرانى في جميع المقامات إلا بشأن طول العمر . فتمد مضى عنى أقرانى وعمرت بعدهم .

ويقول عبدالرحيم : ذهبت ذات يوم إلى مجلس الشيخ . ولم يكن ندى سراويل . فأتطرق الشيخ ساعة . ثم التفت إلى وقال : هل غرضك من عدم ارتداء السراويل ، هو أن يعلم الناس أنك درويش . وأن تظهر لله تعالى أنه يفقرك ، أم أن غرضك شيء آخر ؟ إذذهب واطلب سراولا قديما ، والبسه .

وهذه الحكاية دليل على أن الشيخ كان يميل أيضا إلى التجميل الظاهرى وأنه كان يحترز التكلف .

## فصل (١٢)

قال الشيخ : مادام حب الشهوة واللذة قد بقى في نفس المرء ،

فأشبهه . . . أهله . . . واليه . . .

[ص ٣٥] وقال عبد الرحيم : ذات يوم كنت في صحبة الشيخ وقت  
الظهيرة فدخل درويش فسأله الشيخ : من أين أنت قادم في هذا الحر ؟  
فأجاب الدرويش : من الوضوء ، وقد غلبت على الوسوسة في مكان  
الطهارة ، فأجاب الشيخ رحمه الله : الصوفي هو الذي يسخر من  
الشیطان ولا يسخر الشيطان منه <sup>(١)</sup>

وقول الشيخ : كل إشارة أو رمز لهذه الطائفة من الصوفية .  
أخرجته أنا من الشريعة . أي أن كلام هذه الطائفة لا يخالف الشريعة  
على الإطلاق .

وقال عبد الرحيم : رآني الشيخ الكبير ذات يوم أكتب شيئاً  
فقال : ماذا تكتب ؟ قلت : كتاب كذا ، قال : ينبغي عليك  
أن تشتغل بطلب العلم ، وأن تقرأ شيئاً ، وألا تغتر بكلام الصوفية ،  
فإني كنت أضع المحبرة في جيبى . وأخفى الورق في حجرة سراويلي  
وكنت أذهب إلى درس الحديث ، وأتقى الصوفية الظاهرين ، لأنهم  
كانوا يشتمونني حينما يعلمون أنني ذاهب إلى درس الحديث . وبعد ذلك  
احتاجوا جميعاً إلى ، وكانوا يقصدونني في كل ما أشكل عليهم من  
حديث <sup>(٢)</sup> .

(١) رسالة : ٣٨ ، السبكي : ٢ - ١٥٤ : عهدي بالصوفية يسخرون بالشیطان فلاآن  
الشیطان يسخر بهم ، تذكرة : ٢ - ١٣٠ قال أبو أحمد الصنبر للشيخ : ان الشيطان يضايقي  
... الخ « المترجم : وردت في التلبیس أن السائل كان أنا حامد الشيرازی : (تلبیس  
ص ١٧٤) .

(٢) ابن الجوزي : ص ٣٢٩ ، الذهبي : ١١٤ ، ابن عساكر - ١٩١ : انظر أبو عبد  
الله بن خفيف إلى ابن مكيوم وجماعة من أصحابه يكتبون شيئاً فقال : ما هذا ؟ قالوا : نكتب  
كذا وكذا فقال : اشتغلوا بتعلم شيء ، ولا يغرنكم كلام الصوفية ، فإني كنت أخبى محبرتي (هنا عبرتي  
في جيب مرقعتي في والكاغد ، حجرة سراويلي ، وكنت أذهب إلى أهل العلم فإذا علموا بـ  
شأنهم ... الخ

[ص ٣٦] كان الشيخ يقول دائما : قيمة كل امرئ بما يعلمه<sup>(١)</sup>

وكل زاهد لا يروى شجرة زهده بماء العلم ، سرعان ما ينمحي زهده ، وكل عارف لا يزن معرفته بالشرعية ويقابلها بها . سرعان ما تتلاشى معرفته .

### فصل (١٣)

يقول عبد الرحيم : سمعت من الشيخ الكبير رحمه الله أنه قال لدرويش : لا تكن على ذلك الحال : كلما جعت بعت مرقعتك .

وقال عبد الرحيم أيضا : كنت حاضرا في مجلس الشيخ : وقال الشيخ رحمه الله : لو أبدى لماذا وصل ذلك الشخص الذي وصل إلى الله ، ولأى سبب تخلف ذلك الذي تخلف ؟ وأخذ يكرر هذه الكلمات : ويبكى حتى أبكنا جميعا .

وقال الشيخ رحمه الله : كنت ذات يوم في المسجد الجامع أتحدث عن مقامات الأولياء ، وكان قد مر على أسبوع لم أذق طعاما : وفجأة حصرني البول حتى لم تعد بي على الجلوس طاقة ، فغادرت المسجد ، وحينما وصلت إلى سوق الحوزية : نزل البول مني غصبا ، فغلبني البكاء ، فبكيت كثيرا ، وأنبت نفسي ووبختها قائلا : تتحدث عن مقامات الأولياء ولم تتخلص بعد من خصال الأطفال .

---

(١) وقيمة المرء ما تد كان يحسنه \* . وأخاهلون لأهل العلم أعداء

من الأبيات المنسوبة إلى الإمام علي كرم الله وجهه . « المترجمه » .



## فصل (١٤)

يقول عبدالرحيم : كان الشيخ يروى هذه الحكاية ويبكى ، وبكى معه أبو الحسن بن أبي توبة الذي كان من عظماء عصره ، وحينما هدأ الشيخ قال : إذا لم تكن هذه الآية قد نزلت في حق الصوفية ، فلا أدري في حق أي طائفة نزلت وهي « وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ »<sup>(١)</sup> « فطوبى لمن ينتصف من نفسه في كل الأحوال ، ولا يقوى النفس الأمارة في كل الأوقات .

## فصل (١٥)

يقول أبو النصر الطوسي : توفي للشيخ رحمه الله ابن كان اسمه عبد السلام . وحضر جنازته كل الأئمة والشيوخ ، ومن كثرة مهابة الشيخ ووقاره لم يجرأوا على تعزيتة<sup>(٢)</sup>

ويقول الشيخ الكبير : اقتدوا بخمسة من بين الشيوخ : العارث المحسبي ، وأبي القاسم الجنيد ، وأبي محمد رويم ، وأبي العباس بن عطاء ، وعمرو بن عثمان ، وذلك لأنهم جمعوا بين العلم والحقائق<sup>(٣)</sup> . أما الشيوخ الآخرون فكانوا أرباب حال ، وأصحاب مقامات ومكاشفات . وقد صدر عنهم في حال الاستغراق بعض كلمات [ ص ٣٨ ] لا تستقيم بميزان الشرع ، وحينما كانوا يعودون إلى

(١) هود - ١٨ . (هنا خطأ آية ٢١) .

(٢) شد : ٤٨ ، ٤٩ : حصل العلم والمعرفة وتوفي أبان (هنا أيم) شبابه في حياة الشيخ

(٣) رسالة : ١٥ ولأنهم جمعوا بين العلم والحقائق : المبكى ٢ - ٣٧ ، شد ٤٤ :

المترجم : والباقيون كانوا أرباب أحوال وأصحاب غلبات .

وعيههم ، كانوا يتوبون عن هذه الكلمات ، ويعودون ويرون الاستغفار واجبا .

يقول أبو النصر الطوسي : كنت جالسا يوم الجمعة في المسجد الجامع مع الشيخ فمر رجل عجوز حمن الصورة يتكفف الناس . فقال الشيخ : لو أن هذا الرجل في شبابه قام بأوامر الله واجتنب نواهيه ، لما ابتلى في شيخوخته بالسؤال <sup>(١)</sup> .

ويقول الشيخ رحمة الله عليه : كل من لا يبذل المجهود هذا الأمر من بدايته ، ويلقى عن نفسه هوى النفس . ولا يختار الفقر ولا يرضى بالقناعة ، جعله الله في خاتمته محتاجا للخلق . وحول حاجاته إلى الناس .

## فصل (١٦)

أتى ذات يوم ، أحد الدراويش إلى الشيخ الكبير رحمة الله عليه رقص عليه أن ثمة تغيرا طرأ على حاله ، وأنه لم يعد كسيرته الأولى ودائما ما يبكي وينوح .

فقال الشيخ : قد كانت له ألفة ومحبة ، وفي شبابه كانت له طاقة [ ص ٣٩ ] على البلاء والمحنة ، وحينما بلغ سن الشيخوخة لم تبق له قوة تحمله الأولى ، فلا جرم أن صار بلا قرار ، ولذا يبكي .

قيل للشيخ : إن فلا نا يشغل نفسه بالشطحيات . ويغلب عليه البسط حيناً ، والقبض والتفكر حيناً آخر .

---

(١) ليست موجودة في المص . ( المذموم ) .

فقال الشيخ : لتكن كل أقواله في النار ، إذ يستهزئ بالدين  
ولشريعة ولا شك أن يجد جزاءه في الدنيا والاخرة .

قال أبو العباس : حينئذ وصل الشيخ رحمه الله إلى مرحلة  
شيخوخة ، أخذ يقول ذات يوم : أنا الآن ضعيف ، ولا أستطيع  
أن أقوم بالصلاة واقفاً ، وقد بلغني حديث فحواه أن كل من يصلي  
قعداً : فله نصف أجر القائم . فضاعف ركعاته ، ليعوض القعود<sup>(١)</sup> .

### فصل (١٧)

يقول الشيخ الكبير رحمة الله عليه : كنت جالسا ذات يوم في  
مسجد البصرة . فقدم علي جمع من الإخوان ، وكان معي دينار  
ذهبي ، فبعثت به إلى السوق ، حتى يحضرون طعاماً من أجلهم ، وحينما  
احضروا الطعام : رأيت فجأة شخصا أعور قد وقف وأخذ يتساءل :  
'يكم ابن خفيف ؟' فأشار القوم إلى أن ( ص ٤٠ ) هذا ابن  
خفيف ، فاتجه إلى وقال : هل تأذن لي في أن أسألك سؤالا ؟ قلت  
لا قال : ولم ؟ قلت : ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، اعتاد  
حين يخير بين أمرين ، أن يختار أيسرهما ، والأيسر ألا تكن ،  
سؤالا وأكون مسئولا ، فأجاب ذلك الرجل : لن أَرْضَى بهذا القدر ،  
فقال الشيخ قدس الله سره : سل ما تريد .

---

(١) رسالة : ٣٨ ، شد ٤٤ ، ابن عساكر : ١٩١ ، السبكي ٢ - ١٥١ : سمعت  
أبا العباس الكرخي يقول : سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول : ضعفت عن القيام بالنوازل  
وحديث بدل كل ركعة من ردي ركعتين للحديث المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
: صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم وانظر .

وهذه الحكاية تدل على حسن خلق الشيخ من عدة وجوه . قال <sup>(١)</sup> :  
أولا على متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القول والفعل . وثانيا :  
سخاء طبع الشيخ والثالث : رعاية الحقوق ، والرابع : العفو عن  
المسيئين .

وكان الشيخ رحمة الله عليه ، يبلغ بالكلام في كشف أحوال  
المشايع ، وبيان مقاماتهم إلى غايته . وفي تعليم المريدين ، وتربيتهم  
كان ينمق الكلام ويعطيه حقه ، بحيث لم يكن ليبقى إشكال ، وكان  
دائما ما يقول : لقد وصل عمرى إلى نهايته ، فاحفظوا كلماتى ،  
واغتنموا صحبتى ، وقد اختلت كل قواه في آخر عمره إلا عقله . فقد  
بلغ غاية الكمال .

يقول عبد الرحيم : كان الشيخ في النزاع ، وكانت جماعة ( ص ٤١ )  
تسمع منه الأحاديث وهو على هذا الحال ، وكان يغيب ساعة عن وعيه ،  
ويعود إليه ساعة ، ويردد : « لا إله إلا الله » .

### فصل ( ١٨ )

حدث أن أقبل قوم إلى مجلس الشيخ . وكانت بينهم خصومة .  
فأنهى الشيخ الخصومة وصنى قلوبهم ، وأعطاهم بضعة دراهم . وقال :  
اشتروا بها شاة وهيئوا طعاما . قال : الدراويش : لا نرغب في أن يكون  
حضورنا مؤونة على الشيخ ، فقال الشيخ قدس الله روحه : ليس هذا  
تكليفا على أو مؤونة ، ذلك أنى ما جئت إلى المنزل قط وكان معى شيء ،  
أو فى المنزل شيء إلا أنفقته . وأخليت باطنى .

---

(١) المقصود هنا أبو الحسن الدينى .

وقال الشيخ ذات يوم : منذ خمسين عاما ، وإنا على علم بمكنون  
 قلب كل من يمر على بوابة اصطخر هذه . وبما تخفى سريرته ، رحم الله  
 من هذه السريرة الصافية . وغفر الله لذلك الباطن الطاهر ، واللهم  
 احشرنا في زمرة الأبرار ، وألحقنا درجات الأخيار .  
 [ ص ٤٢ ] .

### فصل (١٩)

سأل قاسم الاصطخرى الشيخ الكبير ذات يوم : إن فلانا من  
 المشايخ حينما يسأل . أو يستفسر عن مسألة في التصوف . لا يتوقف  
 عن الجواب بعد الاستماع ، ويجيب على الفور . وحينما نسأل جنابكم  
 في مسألة : لا نجيب دون توقف أو تفكير ، فقال الشيخ رحمه الله  
 عليه : لقد حظ عليه التصوف رخيصة ، فهو يبيعه رخيصة<sup>(١)</sup> .

وذات يوم سأله أحدهم سؤالا . وقال : أجب على سؤالي هذا  
 بكلام الصوفية . فأجاب الشيخ : منذ خمسين سنة لم أتحدث بكلام  
 الصوفية ، إنما أقول لك كلاما فيه نفعك وفائدتك . فما نفع أمثالك  
 من كلام الصوفية .

سأل أبو أحمد الصغير الشيخ الكبير : إذا لم يجد درويش طعاما  
 لمدة ثلاثة أيام ، أيجوز له بعد هذه الأيام الثلاثة ، أن يسأل الناس  
 . يسد به رمقه ؟ وهل إن فعل يستحق العقاب أم لا ؟ فقال الشيخ  
 رحمه الله : إن سأل يقال له شحاذ لا درويش .

(١) السبكي ٢ - ١٥٣ قيل لأبي عبد الله بن خفيف إن فلانا تكلم في التصوف  
 بكلام عال فقال : إنه قام عليه التصوف رخيصة فهو يبيعه رخيصة . (المترجم : م أجد هذا  
 عند السبكي) .

فقال أبو أحمد : فأصابتنى الدهشة من هذا الكلام [ ص ٤٣ ] .  
وقلت فى نفسى : سبحان الله شخص ربما وصل إلى درجة الاضطراب ،  
ويسأل ما يسد به رمقه ، لا يسقط من مرتبة الفقر ، ولا يسقط من  
مرتبة العقاب ، فعلم الشيخ الكبير ما يدور فى خلدى ، فقال يا أبا  
أحمد : امض واشكر واقنع بما تملك ، فلو دخل عليكم فقير صادق من  
الباب لفضحكم جميعا <sup>(١)</sup> .

---

(١) رسالة : ١٦٤ ، السبكي ٢-١٥١ : يقال نه مكذتم قال : كلوا واسكنوا . . .  
تأكرة ٢-١٣١ . . . يقال له كذاب ، كلوا شيئا . . . شيرازمه ٩٩

## البَابُ الثَّالِثُ

### في بيان رحلات الشيخ رحمة الله عليه

وفيه عدة فصول

[ ص ٤٤ ]

كان الشيخ قدس الله روحه قد قام بعدة رحلات ، وعانى كثيراً من  
لشقات ، وقد قال : راهقت البلوغ في رحلتي ، وكنت راكباً سفينة .

#### فصل ( ١ )

قال الشيخ قدس الله روحه : كان من جيرتي نساج عظيم الاعتقاد  
و ، وذات يوم دعاني إلى الطعام ، وقدم لي قطعة من اللحم القديم  
( ص ٤٥ ) مطبوخة بكشك . فمددت يدي إلى اللحم في البداية ، وكان  
قد أصابه تغير عظيم ، فتركنه وأخذت أمسح على خرقتي ، ولم يكن ذلك  
النساج يدرى بتغير اللحم ، فأشار إلى قائلاً : كل اللحم ، فمددت  
يدي إلى اللحم مرة أخرى إكراماً له ، ووضعت منه لقمة في فمي . ولم  
أستطع ابتلاعها ، فأدرك ذلك الشخص ، وخجل ، ومن شدة خجله نهض  
وخرج ، وخرجت أنا أيضاً .

وعزمت على السفر إلى مكة ، وأرسلت رسولا إلى أمي أقول لها :  
بني عزمت على السفر إلى الكعبة ، فإذا كنت تريدين وداعي فإلى  
من بوابة ... <sup>(١)</sup> : وأحضري مرقعتي معك . فأنت أمي وأحضرت مرقعتي  
وودعتني ومضت .

(١) المترجم : هذا بياض ولعلها بوابة «ياغ نو» كما وردت في حاشية النص .

وحيثما بلغت أبواب بغداد ، لم أَدْخُل المدينة من عجالتى ، وحيثما وصلت الكوفة . كان هناك جماعة من خراسان قد عزموا على السفر إلى مكة ، وحيثما رأوني قالوا : اصطحبنا . فلم أنتظر القافلة إكراماً لهم وصرت معهم إلى البادية ، فصللنا الطريق . وأخذنا لبضعة أيام نسير على غير هدى . وتناقص الماء والزاد ، ثم نفذ ولم يبق منه شئ . ووقفنا بالصدفة على حى من أحياء العرب ، فاشتري رفاقي كلباً ببضعة دنانير وذبحوه وشووه وأعطوني نصيبى منه .

وحيثما تذكرت ذلك الفقير النساج ، ( ص ٤٦ ) ورحمه القديد المتغير ، وعلمت أن هذه هى عقوبة ذلك <sup>(١)</sup> طوبى لمن يكون عارفاً بحاله ولا يكون غافلاً عن أعماله .

## فصل (٢)

قال الشيخ رحمة الله عليه : حيثما كنت ذاهباً إلى الحج فى المرة الثالثة ، تبت أيضاً بضعة أيام فى البادية ، وأصابنى من العطش والنصب

---

(١) تذكرة ٢ - ١٢٦ ، ١٢٧ ، رسالة : ١٧٣ : كنت فى حال حدائق استقبلى بعض الفقراء فرأى فى آثار الفقر والجوع فأدخلنى داره . . . فدلونا على الطريق ومضيت فوجدت فم رجعت معتذراً إلى الفقير . شد ٢٢٣ : أبو زرعة : وجرى بينه وبين الشيخ الكبير معنى وهو ما روى أن الشيخ الكبير عزم على سفر فأتاه ليودعه ، فأحضر أبو زرعة لحماً مطبوخاً قد تغير فغافد الشيخ الكبير ولم يأكل ، فلما خرج إلى البر غلطوا فى طريقهم فجاءوا أربعة أيام لا يجدون طعاماً ، فقال لأصحابه : اطلبوا ما نتصيده فرأوا كلباً فاحتالوا فى صيده ، فذبحوه على مذهب الإمام مالك ، واقتسموه فيما بينهم وجعلوا رأسه نصيب الشيخ فأكل كلهم وبقي الشيخ متفكراً فى أكله حتى مضى الليل ، فلما كان السحر تكلم رأس الكلب بإذن الله فقال : هذا جزاء من لم يأكل اللحم المتغير من سفرة أبى زرعة فقام الشيخ وأيقظ أصحابه وقال : تعالوا بنا نمضى إلى أبى زرعة فنستحل منه فرجع إلى شيراز واعتذر إليه ثم خرج . نفحات : ٣١٩ - ٣٢٠ المترجم : عن أبى زرعة الأردبيلي عن طبعة طهران سنة ١٣٢٦ هـ . ش بتحقيق مهدي توحيد بور .



وخرج ما أسقط ثمانية من أسناني . وبعد ذلك وصلت إلى « فيد »  
ومكنت هناك بضعة أيام حتى شفاني الله تعالى بفضله وكرمه . ورد لي  
فوي . ثم خرجت<sup>(١)</sup> . وفي الرحلة الرابعة حين قصدت البادية بنية  
الحج أخذت أمي معي .

قال الشيخ أبو أحمد : ما أعلمه يقينا أن الشيخ أدى فريضة الحج  
أربع مرات .

ويقول عبد الرحيم : أغلب ظني أنه حج ست مرات . وبرواية  
أخرى عن أبي أحمد أنه قال : سألت الشيخ كم مرة حججت ، فأجاب :  
حجتي لا عدد له . وقد أجاب الشيخ بذلك على سبيل المزاح ، فلم  
يكن يريد أن يحدد العدد .

[ ص ٤٧ ] .

### فصل (٣)

قال الشيخ رحمه الله : وصلت ذات مرة إلى مدينة من مدن الشام ؛  
وكنت أفضي الليلة في المسجد ، ولم يكن معي في هذا المسجد أحد .  
إلا شخص مريض بعللة البطن ، وكان لصباغ دكان بجوار المسجد .  
وفي تلك الليلة حدث أن دخل لص دكانه ، وسرق بعض الملابس  
وفي اليوم التالي أخذوا يبحثون ؛ وجاءوا إلى المسجد ، وسألوا ذلك  
مريض : من الذي كان نائما في هذا المسجد الليلة الماضية ؟ فقال  
المريض : أنا وذلك الغريب ، فأقبلوا وقبضوا علي ، وحملوني إلى دار

(١) ابن الجوزي : نفي ٣٠٠ : خرجت من شيراز فتهت في البادية وحدي وأصابني  
مرض . ما أسقط من أسناني ثمانية ، وانتثر شعري كله ؛ قال المصنف : قلت هذا قد حكى عن  
عبد الله ظاهره طلب المدح على ما فعل والزم لا حق به . النذري - ١١٣ ب . السبكي ٢ - ١٥٣ .

الشرطة ، ورفعوا قدمي ، وضربوني عددا من العصي ، فاعتقدت التسليم ، وآثرت السكوت . ثم حملوني إلى دكان الصبغ . وكانت آثار أقدام اللص ظاهرة على التراب ، فقالوا لي : ضع قدمك عليها . فوضعت قدمي ، فكأنها كانت قالباً لقدمي . ( ص ٤٨ ) فإزداد شكهم في أنني اللص ، فعزموا على قطع يدي ، وأحضروا الزيت ووضعوه أمامي على النار . وحضر الحاكم وخلق كثير . فراجعت سرى . فوجدته ساكناً ، ومرر بخاضري أن أقول : إذا لم يكن بد من القطع . فاقطعوا يدي اليسرى ، حتى لا أعجز عن كتابة التفسير والحديث . ثم اتجه إلى ذلك الحاكم ووجهه إلى التهديد والتخويف . فنظرت وعرفته ، وكان في وقت ما غلاماً لائي ، فأخذ يتحدث إلى بالعربية . وأنا أتحدث إليه بالفارسية . فنظر إلى متشككاً فتذكرني وقال أيها الغريب أأنت أبا الحسين بن خفيف ؟ قلت : بلى أنا أبو الحسين ابن خفيف وابتسمت : وكان أبي قد كناني في طفولتي بأبي الحسين وحينما عرفني الحاكم نهض وانكب على قدمي ، وبكى . وأكثر من الاعتذار<sup>(١)</sup> ، وألح كثيراً في أن أقبل منه شيئاً ولم أفعل . ثم نهضت من ذلك الموضع . وكان جسدي كله مجروحاً دامياً

(١) السبكي : ٢ - ١٥٣ ثم زرت القدس . . . . . فعرفني فأخذ يسطم رأسه ووجهه واشتغل الناس به وإذا بضعية (صحتها ضجة) عظيمة وأن اللص قد مسك ثم أخذ الأمير يبالغ في الاعتذار ، وجهدي أن أقبل شيئاً فأبيت وهربت . الذهبي : ١٢٣ ب : ثم مضيت إلى بيت المقدس . . . . . وأن السوس قد مسكوا فذهبت والناس ورائي ، وأنا ملطخ بالدماء جايح لي أيام لم آكل فرأيت امرأة عجوز فقيرة فتألت : أدخل إلينا فدخلت ولم يرني الناس ، وغسلت وجهي ويدي فإذا الأمير قد أقبل يطلبني فدخل ومعه جماعة وجرمن من منطقته سكيناً وحلف بالله : وقال إن أمسكني إنسان لأقتلن نفسي وضرب بيده رأسه ووجهه مائة صفحة ، حتى منعه أنا ثم اعتذر ، وجهدي أن أقبل شيئاً فأبيت فما دخلت بلدا فيه فقراء إلا قصدتهم.

فأشرت إلى امرأة عجوز قاتلة : تعال إلى منزلي ساعة حتى أغسل ملابسك ، وتستطيع الصلاة . فذهبت إلى منزلها ، فأمرت بغسل ملابسها ، وأعدت لي الحمام . ثم خرجت من ذلك المكان ، وذهبت إلى أحد مشايخ الشام ، ورويت له قصتي ، ( ص ٤٩ ) فقال : هذا جزاؤك لأنك تسير وحدك ، ولا تختلط بالفقراء والدرابيش وتجالسهم ، وتبحث عن فراقهم .

وبعد ذلك لم أسر وحدي ، واخترت مجالسة الفقراء والاختلاط بهم . وغنمت صحبتهم ، وسبحان الله الذي يزيد بلاء كل من كان أكثر إخلاصا على بابه ، ويزيد عقابا كل من هو أكثر تقي ، مصداقا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشد الناس بلاء الأنبياء فالأولياء ثم الأمثل فالأمثل »<sup>(١)</sup> .

## فصل (٤)

قال الشيخ الكبير رحمة الله عليه : كنت ذات مرة على سفر ، وصحبتى قرداتي ، فمرض في الطريق ، ولم يستطع حمل حاجياته ، فقلت لنفسي : لقد وجب علي حق الصحبة له ، ولزمت رعايته ، فحملت حاجياته ووضعتها على كتفي ، حتى بلغنا منزلا ، فسلمته إليها وانصرفت .

---

(١) الحديث الشريف : ورد منه في الجامع الصغير ، رواه الطبراني عن أخت حذيفة

جامع ٢ - ٥٩ . المترجم .

## - ١٢٠ - فصل (٥)

كان الشيخ قدس بالله روحه . يروى ذات يوم واقعة القرامطة<sup>(١)</sup> التي حدثت في القادسية . قال : كنت بين المشاة في أول القافلة ( ص ٥٠ ) فقد كان من عادة المشاة أن يسيروا أمام القافلة . وكنت مع رفيق أسره القرامطة . وأودعوه أهل القادسية ، حتى هزم عسكر ابن أبي السلاح . وعرفني أهل القادسية . فأكرموني كثيرا وأحسنوا إليّ . فتحينت فرصة . وخرجت في وقت كانوا مشغولين فيه .

## فصل (٦)

قال الشيخ رحمه الله : حدث أنني كنت قد ارتديت صوفاً مصرياً ، واعممت بعمامة جميلة ، وقصدت جماعة من الدراويش ، وحينما وصلت إلى مجلسهم . كانوا يتناولون الطعام ، فمددت يدي حتى أشاركهم ، فقال أحدهم : أتلبس ملابس الأغنياء وتأكل طعام الفقراء ؟ فقلت : لا أعلم أن للفقراء طعاماً وإلا ما أكلته . وكففت يدي .

فبلغ هذا الكلام شيخهم ، فاستحسنه ، ووبخ ذلك الدراويش ، وأرسله أمامي ليعتذر ، فقلت له : أيها الأخ : ليس لخبز الدراويش صاحب ، ولا سبيل للاعتراض على من يأكله ، فكل من استمسك به . استغنى عن ملك هذه الدنيا ، وكل من اعتصم به ، غنى واستغنى عن الحاجة والاحتياج .

---

(١) انظر : الكامل لابن الأثير : بداية حوادث القرامطة في الشام ٧ / ص ١٨٦ . المترجم .

## الباب الرابع

### في شرح أحوال عدد من المشايخ

نقيم الشيخ رحمه الله في مكة ، وهم تسعة ، ويخص كل شيخ منهم  
بفصل ، ويختتم هذا الباب بحكاية عن أحوال علي بن عيسى الوزير .

#### فصل (١)

كان الشيخ الأول : أبا الحسن المزين .

كان الشيخ رحمه الله عليه : روى أبو الحسن المزين : مرض  
أبو يعقوب الأقطع ، وأردت أن أذهب لعيادته ، وحينما ذهبت . كان  
جماعة من الإخوان في حضرته ، فأجلسوني على فراشه . وقالوا لي :  
حينما يفتح عينيه لقنه كلمة الشهادة . وحينما فتح عينيه لقنته إياها .  
فأتجه إلى الأقطع وقال : هل تلقنني ؟ قلت : بلى فابتسم وقال : بعزة  
ذلك الإله الذي لا يموت ، لم يبق بيني وبينه إلا حجاب العزة . قالها  
وأسلم الروح <sup>(١)</sup> .

(١) الأنصارى : (من طبعة كابل سنة ١٣٤١ ص ٢٧٦) : كان الشيخ أبو عبد الله ابن  
خفيف يقول : إن الرجل كان يتعرق في الأنوذية ، وأنى خلف حجاب العزة ، وكانوا  
يعرضون عليه الشهادة . الديلمي : ١٥١ أ : حكى شيخنا أبو عبد الله قال : لما دخلت مكة ،  
وحضرت مع أبي الحسن المزين وحضر (١٥١ ب) جماعة من الفقهاء فقال . . . . .  
قال الشيخ : كان أبو الحسن إذا حكى هذه الحكاية يأخذ بلسنته ويقول : حجاما مثل يلقي  
أولياء الله الشهادة . كذا في الرسالة : ١٨٢ ولكن عن البرجوري بدلا من الأقطع ، تذكرة  
٢ - ١١١ (هذا ١١٠) ، ومكان الأقطع على بن سهل الأصمغني .

والعباد المخلصون حاضرون في كل الأوقات ، وذاكرون في كل المقامات : اللهم احشرونا في زمرةم ، واجعلنا من جملتهم .

( ص ٥٢ ) وكان أبو الحسن المزين ، يبكي كلما روى هذه الحكاية ، ويصك وجهه ، ويقول : كيف يجوز لحجاء أن يلقيه ؟ قال الشيخ رحمه الله عليه : كانت محبة الله تعالى ، قد أحرقتة وأفنته ، لدرجة أن لم يبق من بين الحجب أمامه ، إلا حجاب العزة . وكل من وصل إلى هذا المقام ، ووجد هذا القرب . لم يحتج إلى تلقين كلمة الشهادة ، واستغنى عن التحريض على العبادة .

## فصل (٢)

قال الشيخ قدس الله روحه : قال لي أبو الحسن المزين ذات يوم : اذهب وأبلغ فلاناً الدرويش مني السلام ، فعندى حكاية مقبولة عنه ، أقصها عليك حين تعود . فذهبت وأبلغت السلام ، فرأيت رجلاً قد جمع أوقاته . وطهر من فساد الدنيا باطنه . فعدت وقصصت هذا الأمر على أبي الحسن ، قال أبو الحسن : لحقت بصحبته حيناً ، ووجدت أحواله مستحسنة جداً ، وكان قد أرسل لي في ذلك الوقت قدراً من الذهب من مصر ، أنفقته على الفقراء ( ص ٥٣ ) ، وبقي منه عشرة دنانير ، فأخذتها وحماتها إليه .

وحينما رأيته نهض وأجلسني مكانه : فأخذت أتحدث إليه ساعة ، واستحسنيت أوقاته . ولما أردت العودة ، وضعت هذا الذهب أمامه ، وقلت : اقبل هذا تبركاً ، حتى يستطيع هؤلاء الدراويش الذين حولك الإنفاق ، ويتنعمون : فأخذ الذهب وقبله ثم رده إلى وقال : الله الله

لا تكدر حالى على . ولا تفسد أوقاتي . فقد بذلت مائة ألف دينار ، حتى وجدت هذا الوقت : فخجلت ونهضت من مجلسه وأنا شديد الخجل وعدت .

وكل من كان له مع الله وقت . فلا قدر عنده للدرهم واندنانير ، وكل من يجد جذبا من قبل الله تعالى ، لا وزن لحطام الدنيا عنده .

### فصل (٣)

قال الشيخ رحمه الله : جرت مجادلة ذات يوم . بين أبي الحسن المزين وأحد الدراويش . فأحضر ذلك الدراويش آلات الحجامة غاضبا ، ووضعها أمام أبي الحسن : وقال : قم وامض إلى عملك ، واترك الفقر للفقراء . فهم يريدو أبي الحسن بإيذاء الدراويش وتأديبه : فنهاهم أبو الحسن وقال : ينبغي على كل من يجالس الدراويش ألا يتأذى من كلامهم .

( ص ٥٤ ) روى الشيخ الكبير حكاية عن أبي الحسن أنه قال : التقيت ذات سفر بالحسين ابن منصور الحلّاج فقلت له : إلى أين ذاهب ؟ وأين مقصدك ؟ قال : إلى الهند حتى أتعلم السحر . ثم أدعو الناس بعد ذلك إلى الله <sup>(١)</sup> .

### فصل (٤)

روى الشيخ أبو الحسن : ذهبت إلى بئر في بادية تبوك لأخذ بعض الماء : فزلت قدمي . فقلت في نفسي : وأسفاه ! لقد عكرت ماء البئر

على الناس ، فرأيت في ركن من البئر حفرة ، فألقيت بنفسى من بين الماء في هذه الحفرة ، فأبصرت حية عظيمة قد تقدمت منى فراجعت مرى ، ووجدته ساكنا .

ثم حملتنى تلك الحية وألقت بى خارج البئر ، بحيث لم يلحقنى أذى ، ثم انفصلت عنى .

وفى كل آن ينقاد فيه الإنسان إلى الحق تعالى ، تنقاد له كل الحيوانات ، وكل من يمثل لأمر الله ، تمثل الوحوش والسباع لأوامره ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا دنيا : أخدمى من خدمنى <sup>(١)</sup> . ( ص ٥٥ )

## فصل (٥)

روى الشيخ الكبير رحمة الله عليه عن أبى الحسن أنه قال : ذهبت يوماً مع إبراهيم الخواص إلى مسجد الرصافة ، فدخل درويشان المسجد ، وقال إبراهيم : من أين أتى هذان الطائران ؟ قلت : لا أدرى ، قال : اذهب واسألهما . وأشرلهما أن يتوقفا لحظة . ثم عد إلى . فذهبت وسألتهما ، ثم عدت إليه . وكان قد وضع إلى جوار إبراهيم عدة دنان ، فدخل إبراهيم فى واحد منها ، وخلع ثوبه وأعطانى إياه وقال : اذهب إلى السوق ، وبعه ، واشتر طعاما من أجلهما ، وأحمله إليهما ، ففعلت ما أمر به

---

(١) رواه الديلمى : انظر : كنوز الحقائق لمحمد بن عبد الله بن المنصور ، ص ١٠١ من الجامع الصغير ٢ - ١٧٨ . المترجم .



وبعد ذلك دخل أحد الناس المسجد وقال للسقائين : لماذا لا تملأون هذه الدنان بالماء ؟ قالوا : لا يعطينا أحد شيئاً ، فقال : أملأوها وأنا أعطيكم أجركم . فذهب سقاء إلى أحد الدنان . فأبصر رجلاً قابعا فيه ، فرفع صوته قائلاً : أحد الناس قد جلس في هذا الدن . فأً ذلك الرجل لينظر . فرفع إبراهيم صوته قائلاً : لا تنظر فأنا عريان . فعلم من صوته أنه إبراهيم ، فخلع ثوبه وعمامته ووضعهما على حافة الدن فأخذهما إبراهيم ، وارتداهما . وخرج من الدن ( ص ٥٦ ) .

قال أبو الحسن ، قال لي إبراهيم أخذ هذه العمامة إلى السوق وبعها ، واسترد خرقتي ، فذهبت وفعلت . وحين عدت إليه ورددت له خرقته ارتداها ، وأعطاني الثوب أيضاً ، وقال : اذهب فبعه فإخواننا قد جلسوا جوعى في « الشونيزيه » فذهبت وبعته وعدت بثمنه إلى إبراهيم فقال : خذه واحمله إلى إخواننا في ( الشونيزية ) . فنهضت وذهبت .

وحينما وصلت إلى « الشونيزيه » ، رأيت رويما قدس الله روحه ، فاقترب مني وبدون أن أقول له شيئاً قال : هات مامعك . فسلمت إليه تلك النقود . فأرسل إلى السوق في الحال ، وأحضروا قدراً من الخبز وحملين مشويين وبعض الرياحين ، ومدوا المائدة ، وقنع كل امرئ بلقمة أو لقمتين ، وآثروا الدراويش بالباقي .

فكل من يتكفل بمصالح الخلق ، يتكفل الحق في كل الأحوال بمصالحه . وكل من ييسر مقصود أخ له . ييسر الحق تعالى مصالحه في الدارين .

## فصل (٦)

قال الشيخ رحمه الله : سمعت من الحكيمى <sup>(١)</sup> : كنت مع تلك الجماعة ، وبعد فترة ذهبت إلى بغداد ، ولم أر أحداً من هؤلاء القوم بعد ذلك ، إلا أحد الدراويش ( ص ٥٧ ) . كان قد انزوى في ركن ، وحينذاك سألت القوم : لقد وجدت هنا جماعة لهم أحوال ومسالك شريفة ، فأين ذهبوا ؟ فأجابوا : هذا الدراويش من هؤلاء القوم ، إن وجد شيئاً يؤثر به ، وإن لم يجد يزاول الرياضة .

## فصل (٧)

قال الشيخ رحمه الله : سمعت من أبي الحسن المزين قال : كنا جلوساً ذات يوم مع «إبراهيم الخواص» في مسجد الرصافة ، وهطل المطر ، فتفرق الناس أجمعين ، وحينما نظرت وجدت أن المطر كان لا يهطل على إبراهيم ، فنظرت إلى السماء ، فرأيتها ملبدة بالسحب ، إلا في مقابلة رأس إبراهيم ، فلم يكن ثمة سحاب بقدر هذه الرأس ، فتعجبت من هذه الحالة ، فأمسك إبراهيم بجيبي وقال : انهض أيها الضعيف ، هذا الحال إلى جوار كرامات الشيوخ وأحوالهم قطرة من بحر .

## فصل (٨)

روى الشيخ أبو الحسن : كنت ذات مرة في النهر الأيسر ، وكان هناك رجل يقال له اعتقاد في حق سالكي طريق الله تعالى .

---

(١) لعله أبو الحسن الحكيمى وسيرد ذكره فيما بعد انظر ترجمته في النفحات تحت اسم أبى الحسن ٢٥٣ . المترجم .

و ذات يوم كنت أسير بجوار الشاطئ ، فرأيت خرقة ملقاة ، فعلمت أنها لدرويش : فحملت تلك الخرقة ، وسمعت صوتا من بين الشاطئ ، ( ص ٥٨ ) .

وحينما نظرت كان أبو الحسين النورى قد ألقى بنفسه فى الماء ، وأخذ يغوص بين الماء والطين . وحينما رآنى قال : يا أبا الحسن أترى كيف يعاملنى الله تعالى ، كل يوم يسلط على العديد من صنوف البلاء ، ويلحق بى ألوان المكاره ، ثم يقول فى النهاية : كل ما قدرته لجملة الخلائق ، وكتبته على البشر ، سوف يكون لك زيادة عنه ، ولا رجحان لك على الآخرين ولا تخصيص . وأخذ يردد هذه الكلمات ويبكى . فخلصت جسده من طين الشاطئ برفق ، وأخذت أغسله من الوحل ، ثم ألبسته ثوبا . وحملته إلى ذلك الدرويش البقال .

وحينما ( ص ٥٩ ) حل الغروب ، أغلق الخلق بجملتهم الأبواب ، وصعدوا إلى السطوح ، وحملنا ذلك البقال إلى السطح وقال : إن السباع تهاجم هذه القرية كل ليلة ويصعد الناس خوفا منها إلى السطوح . وكان حول القرية أجمة . كانت مأوى للوحوش .

وحينما سمع أبو الحسين هذا الكلام — ألقى بنفسه حافى القدم فى هذه الأجمة ، وأخذ يتجول فيها إلى الصباح وهو يتحدث إلى السباع . وحينما رأيناه على هذا النحو . قلنا لبعضنا : لن ينجو أبو الحسين من هذه الأجمة . وفى اليوم التالى رأيناه يخرج من الأجمة سالما ، وهو يترنم هامسا . وحين اقترب منا : ألقى بنفسه ، وكان قدماه قد

جرحا من قصب الأجمة الذى كان قد قلم ، فطلبنا ملقاطا ، وأخذنا  
نخرج قطع القصب من قدمه . وكانت قد جرححت بحيث ظل أربعين  
يوما بلياليها لا يستطيع الوقوف <sup>(١)</sup> .

يقول أبو الحسن المزين : سألت أبا الحسين النورى : أى حال  
كان هذا ؟ أجاب حينما سمعت أن أسدا فى هذه الأجمة ، رأيت نفسى  
قد هلعت . فألقيت بنفسى فى تلك الأجمة كسرا لها . وربما ضحى  
أولياء الله تعالى بالجسم والروح فداء طريق الحق ، حتى يصلوا بذلك  
إلى جنة النعيم : ويظفروا بقاء البارى تعالى . كما قال الله تعالى :  
« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ » <sup>(٢)</sup>  
( عن ٦٠ )

## فصل (٩)

وكان الشيخ الثانى أبا على الروزبارى .

ويروى الشيخ الكبير عنه : كنت جالسا معه فى مكة ذات يوم ،  
فدخل أحد الدروايش ، وأخذ أبو على يسأله عن أحوال المشايخ ،  
والدرويش يتحدث عن أحوالهم ، فأنشد أبو على هذا البيت :  
رمى الحق بالفتيان حتى كأنهم بأطراف آفاق انبلاذ نجوم

(١) ابن باكوية Recueil W5 N.S ابن الجوزى : ٣٥٦ : أخبرنا ابن حبيب . حدثنا  
ابن أبى صادق حدثنا ابن باكوية ، قال : سمعت أبا أحمد الصغير ، سمعت أبا عبد الله بن خفيف ،  
سمعت أبا الحسن المدائنى يقول خرجت مرة من بغداد إلى نهر الناشرية قال : لما ذكر السبع  
وجدت نفسى فزعا فقلت لأطرحك إلى ما تفرعين منه . قلت : لا يخفى على عاقل  
تخييط هذا الرجل قبل أن يقع فى الماء والطين وكيف يجوز للإنسان أن يلقى بنفسه  
فى ماء وطين هل هذا إلا من فعل المجانين ، وأين أهية التعظم من قوله ترى ما يفعل فى  
وما وجه هذا الانبساط وينبغى أن تحف الألسن فى أفواهها هيبة . ثم ما الذى يريده غير الذكر ولقد  
خرج من الشريعة بخروجه إلى السبع ومشيه على القصب المقطوع هل يجوز فى الشرع أن يلقى  
الإنسان بنفسه إلى السبع . أترى أراد منها أن يغير ما طبعت عليه نفسه من خوف السباع ،  
ليس هذا فى طلوفها ولا طلبه الشرع منها .

(٢) التوبة اية !!! ( هنا ١١٥ )

ويعنى بالبيت : أن الحق تعالى قد اصطفى عددا من عباده ، وألقى عنهم بعلائق الدنيا . وجعلهم محرومين من لذاتها وشهواتها ، بحيث بلغوا مرتبة رجحوا بها على نجوم السموات ، وزادوا قدرا عن الشمس والقمر ، حتى يجد الخلق هدايتهم الطريق في كل آن .

### فصل ( ١٠ )

يقول الشيخ الكبير : كنت جالسا مع أبي علي ، فدخل أحد الدراويش . وتحدث بكلام معه : فأنشد أبو علي هذا البيت جوابا عليه :

تنح عن القبيح ولا ترده ومن أوليته حسنا فزده

( ص ٦١ ) ومعناه : انفصل عن القبيح ، وانف عن نفسك ما نبى عنه الشرع ، وكل من تحسن إليه . يجب أن تعتبر زيادة هذا الإحسان من جملة الواجبات .

### فصل ( ١١ )

قال الشيخ رحمه الله عليه : جلس أبو علي وأبو يعقوب النهرجورى يوما في مواجهة الكعبة ، وأخذا يتحدثان في البقاء والفناء ، وكان أبو يعقوب يتحدث على مذهب البصريين وأبو علي على مذهب البغداديين وجرت بينهما محاوراة طويلة .

ثم نهض أبو علي وزين نفسه بالملابس المرقعة ، وغاب عنا ، وأخذ يتردد على بطحاء مكة .

وبعد ساعة عاد إلينا ، وقد ارتدى خرقة قديمة خلقة ، وانشغل بالطواف حول الكعبة ، وحينما رأى أبو يعقوب ذلك قال : والله لقد غلبنا أبو علي في التصوف ، وزاد علينا في التقوى . واستفدنا عن أحواله من الناس ، قالوا حينما غادر المسجد ، عاد إلينا وقد عراه جماعة ، فقال لهم : ألا تخجلون وأنتم تقومون بتمريني في الكعبة . وكان ية قول هذا ويضحك .

( ص ٦٢ ) .

## فصل (١٢)

قال الشيخ رحمه الله عليه كان أبو علي مشهورا بالحلم . ولم يرق قط وقد غلبه الغضب . وذات يوم حضر جمع من الفقهاء وقائوا : تعالوا نخبره أهو راسخ القدم في مقام الحلم أم لا ؟ وكان من عادة المشايخ أن يقوم كل واحد منهم بخدمة الجماعة يوما . وحينما حلت نوبة أبي علي . ثم يفعل شيئا قط من شروط الخدمة ، بحيث أنهم أيقظوه في الليل قرابة سبعين مرة . وكلما كان يستيقظ كان يعجب : لبيكم يا سادتي ، ولم يظهر عليه ضجر أو ملل ، وخدم المشايخ على هذا النمط ثلاثة أيام بلياليها . فلم يسترح في نهار أو ليل .

وحيث انتهت نوبة خدمته ، ولم يجد إليه الملل طريقا ، قال القوم لبعضهم : ليس هذا التصرف الذي قمنا به مقبولا ، وهو بعيد عن الطريقة .

وحينما وقف أبو علي على تفكيرهم قال : أي تفكير وظن هذا تدعون طريقه إليكم ، فقصوا عليه الأمر قائلين : لقد كنا نختبرك ، هل تمل أو تغضب من تلك الأحكام ، التي كنا نجريها عليك أم لا ؟ قال أبو علي : لو كنت أعلم أن هذا مرادكم لغضبت منذ البداية ، ولأظهرت اللل ، حتى يتم مرادكم . ثم قال : ضيَبُوا نَفْسًا . وأخذ يمزح ، ويسعد أوقاتهم . ( ص ٦٣ ) .

### فصل (١٣)

قال الشيخ رحمة الله عليه : ذات يوم أقيمت في مكة مأدبة ، وحضرها الشيوخ جميعا وكان من بين المشايخ درويش من خراسان ، ولم يكن أبو علي يعرفه .

وحينما ملأوا السماط نهض أبو علي وكعادة أهل التصوف . حمل إبريق الماء ، وأخذ يستقي القوم وهو يمزح ، وكما كان يمزح مع المشايخ . أخذ يمزح أيضا مع ذلك الدرويش . فغضب الدرويش وأخذ الإبريق من يداي أبي علي . وضربه به على رأسه فشجها . وسال الدم ، وهم يريدوا أبي علي بضربه ، فقال أبو علي : الله الله . لا تؤلموه ، ولا تؤذوا خاطره . فخجل الدرويش . وندم على ما فعل ، وحينما رأى أبو علي خجله قال : يا أخي هون عليك فقد كنت أريد أن أقتصد بعض الدم إذ غلبت على الحموة . والآن استغنيت عن القصد والحجامة فقد نضب دمي تماما ، وهكذا أخذ يمزح مع الدرويش ، حتى ذهب الخجل عنه . .

وهكذا كانت مزايا المشايخ الكبار ومكارم أخلاقهم ، من أجل رضا الأخوان ، كانوا يجيزون ألف طحنة وجراحه على أرواحهم وأجسادهم ، وكانوا يفضلونهم على أنفسهم . اللهم ارزقنا بركاتهم ، ولا تحرمنا درجاتهم .

( ص ٦٤ )

### فصل ( ١٤ )

وكان الشيخ الثالث هو : أبا بكر الكتاني رحمة الله عليه .

قال الشيخ قدس الله روحه : سألتني الدروايش أن أستفسر من أبي بكر الكتاني ، كم مرة رأى الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم ، قلت : استفسرت منه فأجاب : رأيته كثيرا ، قلت : مائة مرة ؟ قال : أكثر ، قلت : مائتين ؟ قال : أكثر ، قلت : ثلاثمائة ؟ قال : أكثر . قلت : أربعمائة مرة ؟ قال : أكثر ، قلت : خمسمائة مرة ؟ قال : أكثر ، وبلغت الستمائة فقال : أكثر .

ثم قال : من بين رؤياه عليه السلام في النوم رأيته بالأمس . وقال : حينما ذهب في النوم ، رأيته الرسول صلى الله عليه وسلم قد دخل منزلي . وكان معه جمع من الصحابة والسابقين ، فسلم علي قائلا : السلام عليك يا أبا بكر قلت : وعليكم السلام يا رسول الله قال : أتعرف هذا الرجل ؟ قلت بلى يا رسول الله هو أبو بكر الصديق ، قال وهذا الآخر ، قلت : عمر بن الخطاب ، قال : وهذا ( ص ٦٥ ) الثالث قلت : علي بن أبي طالب .



ثم قلت : يا رسول الله ما تقول في هذه الفتن التي وقعت بين صحابتك ؟ قال : كف عليك لسانك .

ثم أخذني أمير المؤمنين علي عليه السلام من يدي ، وحملني إلى جبل الصفا ، وقضيت برهة معه . ثم قمت من النوم . وهذا جانب من أحلام الأولياء . والحقيقة أن أحلامهم نوع من الإلهام والمكاشفة .<sup>(١)</sup>

### فصل (١٥)

يقول الشيخ رحمة الله عليه : كان لأبي بكر الكتاني خادم يسمى موبى ، وكان قد جمل ظاهره وباطنه بالصفات الحميدة ، يقول أبو بكر كنما جاهدت في أن أجعله مقبولا لدى باطنى لم يجد فتىلا . ولم يكن يقبئه ، وانقضت فترة وأنا أرقب أحواله وأرصدها ولم أكن أرى خلا قط . في أفعاله وأقواله وحرركاته وسكناته . وذات يوم أخذت بيده ، وذهبت به إلى مكان خال . ووضعت خدى على الثرى وقلت له . انفض قدميك على وجهى ولم يمتثل للأمر ، فألححت كثيرا حتى فهل ، فذهب هذا الإنكار من قلبى .

وسئل الشيخ أبو عبد الله رحمة الله عليه : ( ص ٦٦ ) لآى سبب كان هذا التصرف ؟ قال : لقد رأى أبو بكر استقامة أحواله ، ولم ير فيها خلا ، وحينذاك صار منتقادا له . ومحمتملا لأوامره ، حتى ذهب ذلك الإنكار من قلبه .

(١) كلاباذى : التعرف باب ٧٠ ص ٢٥٧ من طبعة آربرى ، حلية : ١٠ - ٣٤٣  
تذكرة : ٢ - ١٢٢ . المترجم وهى مختلفة رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم  
إحدى وخمسين مرة فى النوم ثم حكايته مختلفا تماما .

## فصل (١٦)

وكان الشيخ الرابع هو أبو علي الوارجي :

يقول الشيخ رحمة الله عليه : ذهبت إلى مكة ، وكان أبو علي الوارجي قد جاء من مصر وذات يوم كنت جالسا مع جماعة من المشايخ وكان أبو سعيد الأعرابي حاضرا ، فوجه رجل إلى أبي علي سؤالا ، وأخذ أبو علي يسوق كلاما كثيرا فيه . ثم أخذ يكرر هذه العبارة : حينما يصل العارف إلى درجة الكمال ، لا يضره وجود المعلوم . فبالنسبة إلى أحوال العارف يستوى الموجود والمعدوم . وكان المشايخ حاضرين جميعاً ، ولم يعترض أحد . ( ص ٦٧ ) .

قال الشيخ رحمة الله عليه : فبدأ في خاطري معارضة هذا الكلام ، وأخذت أقول : ياسيدي إذا كنت قد شاهدت هذا المعنى في واقعة ، أو تقوله على سبيل المكاشفة . فهو مسلم لك ، ولا جدال فيه ، وأما إذا كنت تقوله على سبيل الشريعة . فيلزمك لهذا الكلام دليل من الكتاب أو السنة ، أو كلام أهل السلف .

وكان المشايخ يريدون مني أن أتجاوز عن كلامه ، فأنشأت إلى أبو سعيد الأعرابي قائلا : استمر وأنتم كلامك ، .

وقال للمشايخ : اتركوا ابن خفيف على حاله ، حتى يتم كلامه ، وكأما أوردت دليلا من الكتاب أو من السنة ، كان أبو علي يقول : هذا الحديث وارد في حق الأمة ، وكنت أقول : أأست من الأمة ؟

حتى ذكرنا حديث بلال الذي فيه « أرحنى منها »<sup>(١)</sup> فقلت : إذا كان بلال حال قوله هذا الكلام فارغاً من الدنيا ، فقد أخبر عن غير الحق ، ولا يجوز عليه الكذب ، وإذا كان ما أخبرته حقاً ، فهذا الحق أولى بالآخرين .

قال أبو علي : يا ابن خفيف : إن التجاوز عن الإخوان في المجادلة من قبيل الأحرار ، فقلت : لا يجوز التساهل في الشريعة ، وحينذاك نهض ووضع يده على كتفي وقال : قتلتني يا أبو عبد الله وتصبب عرقاً من دمه حرجه . ( ص ٦٨ ) .

### فصل (١٧)

وكان الشيخ الخامس أبا الحسين الدراج<sup>(٢)</sup> :

قال الشيخ رحمه الله عليه : سمعت منه قال : كان من عاداتي كل عام أن أخرج إلى البادية مع جمع من الفقراء ، ثم طراً على ملل من كثرة الصحبة والمرافقة ، وأحببت السير وحدي ، فقصدت البادية وحيدا ذات عام .

وحينما وصلت إلى القادسية . رأيت شخصاً مجذوما يعوذ بالله من البرص والجزام — قد جلس في زاوية المسجد ، فقال لي : أعازم على الخروج إلى البادية ؟ قلت : بلى قال : إن صحبتي جديرة بك قلت : لا . وحدثت نفسي : لقد فررت من صحبة الأصحاء ، واخترت

---

(١) أرحنى منها : لم أعثر على أصل لها ولعلها تعريف عن قول الرسول عليه السلام لبلال رضي الله عنه : أرحنى بها أي الصلاة وهو شهر  
(٢) المترجم : في النسخات الدراج انظر ص ٣٠٠ .

فراقهم ، فكيف إذن أصبح مجنوما ، فالتفت إلى ذلك المجنوم وقال :  
يا أبا الحسين إن الله يحفظ الضعفاء في قبة حفظه ، ويرعى العاجزين  
في حرم رعايته ، حتى ليعجب من ذلك الأقوياء ، ويحسد لهم عليه  
الأصحاء<sup>(١)</sup> .

قال أبو الحسين فعزمت على الطريق . وفي الصباح بلغت منزلا ،  
وحينما نظرت وجدت ذلك الرجل المجنوم قد جلس في المنزل ، والتفت  
إلى ، وكبر نفس الكلام الذي قاله لي قبل ذلك ، فتعجبت ( ص ٦٩ ) ،  
ثم اتخذت طريق . وحينما وصلت إلى منزل آخر وقت صلاة العصر ،  
رأيت الرجل المجنوم وقد نزل بذلك المنزل ، والتفت إلى وردد نفس  
الكلام . فزاد عجبى ، وداخلى الشك في حالى ، وقلت : ربما أرى  
هذا الحال في النوم . والخلاصة : حل بى حال ، فانكبت على قدمه ،  
وقدمت له كثيرا من الأعذار . فقال : ماذا تريد ؟ قلت : صحبتك  
قال : لقد اتخذت مع الله عهدا . ألا تصحب أحدا ولا ترافق مخلوقا ،  
ولا أريد أن تنكث بعهداك ، قلت : ما دمت لم تسمح بالصحبة . فلا  
تحجب نفسك عني ، فقال : أما نفسى هذه فلك ما تريد .

قال أبو الحسين : فلم تعدنى همة إلا أن أصل إلى منزل ، وأغتني  
صحبتة لحظة ، ثم غاب عني ، ولم أره ثانية إلا في مكة ، وقصصت  
ما جرى على المشايخ ، فقالوا : هذا الشخص يسمى أبو جعفر المجنوم ،  
ولنا ثلاثون سنة في طلبه . ولا ندركه ، فإذا رأيته ثانية ، فأخبرنا ،  
حتى نأق ونراه ، وينال كل من حظه منه .

---

(١) المترجم : بالعربية من النسخات : يصنع الله سبحانه بالضعيف حتى يتعجب القوي

والخلاصة : لم نره حتى وصلنا إلى منى ، وحينما انشغلنا برمي  
نجمار ، ارتكن شخص خلفي بيده على . وحينما نظرت رأيته ، فداخلتني  
هيبة منه بحيث غبت عن وعي ( ص ٧٠ ) وتجمع الخلق حولى ،  
وحملوني وذهبوا بي إلى مسجد الخيف : ورشوا وجهى بالماء . حتى  
عدت إلى وعي .

وحينما أفقت قال المشايخ : ما حدث لك ؟ فقلت لهم ما جرى ،  
قالوا لم تنجز أمرا فى المرة الأولى ولا فى المرة الثانية . ثم رأيته مرة أخرى  
فى طواف الوداع ، فالتفت إلى وقال ألا تريد أن تجمع الخلق حولى  
وتشهرنى ؟ قلت : لا ، ولكن لى منك رجاء ، وهو دعاء أرجو أن  
تدعولى به حتى أصل إلى المقصود ببركة دعائك ، قال : ادع أنت  
وأنا أو من . قال أبو الحسين : فإخذت أدعو وطلبت من الله ثلاث  
حاجات : وكان يؤمن<sup>(١)</sup> .

### فصل ( ١٨ )

قال الشيخ أبو عبد الله رحمة الله عليه : سألت الشيخ أبا الحسين :  
ماذا كانت هذه الحاجات الثلاث ؟

قال : كانت أولاها « اللهم حبب لى الفقر » وكانت الثانية :  
« اللهم لاتجعل لى رغيفا أذخره لغد » . وكانت الثالثة : اللهم مادمت  
قد خصصت أوليائك وأصفياك برؤية وجهك الكريم يوم القيامة  
فاجعلنى من زمرةم .

---

(١) أنصارى : ٣٥٥ - ٣٥٧ ، حلية : ١٠ - ١٣٣ نفعات ١٧١ - ١٧٢ ألف ليلة وليلة

يقول أبو الحسين : لقد استجاب الله لدعائى الأول والثانى وأرجو  
أن يستجاب الثالث أيضا .

( ص ٧١ )

### فصل (١٩)

قال الشيخ رحمة الله عليه : سمعت من أبي الحسين الدراج قال :  
ذهبت يوما مع جماعة من المشايخ إلى بستان على سبيل النزهة ،  
وأرادوا أن ينضجوا طعاما ، فأشاروا إلى قائلين : كن أنت الطباخ ،  
فوضعت القدر على النار ، ولم أضع عليه غطاءه ، وكان القوم جميعا  
صائمين .

وحينما دخل المغرب أردت أن أغرف الطعام ، فجاء طائر يقال له  
الحدأة ، وقصد أن يلقي بنفسه فى القدر ، وأخذت أدفعه فلم يتيسر لى  
ذلك ، فانضم إلى الإخوان ، فلم يبتعد مهما فعلنا ، حتى انتصر فى النهاية  
وألقي بنفسه فى القدر ، ومات فى الحال ، فأهرقنا ما فى القدر ،  
فرأينا أفعى كانت فى ذلك القدر مطبوخة ومهترئة ، فتعجب المشايخ  
جميعا ، وظهرت لهم أحوال ورقائق ، ثم رأوا من الصواب أن يكفنوا  
الطويثر المسكين ، ويصلوا عليه ويدفنوه ، وكذلك فعلوا .

### فصل (٢٠)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أبي الحسين أنه قال : كنت ذات  
يوم أسير فى غور الأردن ، فرأيت إبليس على صورة عيار ، فتقدم  
منى ووقف ، قلت : أترى كيف أننا معشر المشايخ ( ص ٧٢ )

قد أغلقنا أرامك لطريق الضلال ، فليس لك علينا سلطان ، قال :  
ما تقول حقاً ، ولكنى تركت بينكم خصلة هى حجابكم فى طريق  
الآخرة قلت : وماهى ؟ قال : النظر إلى الغلمان ، قلت : اذهب أيها  
الملعون فقد تركنا هذه أيضاً ، قال : لم تحسن فى هذه أيضاً لأن المؤمن  
لا يكون أعاناً<sup>(١)</sup> .

### فصل ( ٢١ )

وكان الشيخ السادس أباً يعقوب النهر جورى :

روى الشيخ رحمه الله عليه حكاية عن أبى يعقوب : جاء الحسين  
ابن منصور إلى مكة ، وكان معه أربعمائة من المشايخ ، مع كل واحد  
منهم إبريق وعصا ، واستضاف قوم كل واحد من هؤلاء المشايخ  
فى دورهم<sup>٢</sup> ، وبقي الحسين وحيداً ، فاستضافته فى منزلى ، فقدمت له  
ما حضر ، وقال الحسين : أرغب فى الذهاب إلى جبل أبى تبيس ،  
فأخذنا طعاماً وقدرنا من الرطب ، وذهبنا ( ص ٧٣ ) إلى هناك .

وحينما انتهينا من أكل الطعام والرطب ، قال الحسين : أريد  
شيئاً حلواً ، قلت : ألم نأكل الآن رطباً ؟ أريد شيئاً حلواً مطهواً أى  
حلوى ، ثم نهض ، وأخذ ركوته وغاب عن عيني ، وماهى إلا ساعة  
حتى عاد وقد ملأ الركوة بالحلوى وأكلناها مشاركة مع الرفاق .

---

(١) المترجم : لعله مأخوذ من الحديث : لا تلاعنوا بلسنة الله ولا بغضبه ولا بأثار .  
رواه الترمذى انظر ركوز الحقائق للمناوى بهامش الجامع الصغير ٢ - ١٥٣ . والحكاية نسبت  
لأخراز فى الرسالة القشيرية ص ٣٠ .

قال أبو يعقوب : فتعجبت من ذلك ، واقتطعت قطعة من هذه الحلوى ، ونزلت من الجبل وعرضتها على صناع الحلوى في مكة ، وسألتهم : هل قمتم بصناعة هذه الحلوى ؟ فقالوا : لا ، وقال واحد منهم : هذه الحلوى تصنع في زبيد أي في اليمن ، ولا تصنع في مكان آخر قط ، قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليس بوسعي إلا أن أخرج من مكة ، فقد عاد الحسين إلى حرفته أي السحر <sup>(١)</sup> .

(ص ٧٤)

## فصل (٢٢)

أ وكان الشيخ السابع أبا يعقوب الأقطع :

أ يقول الشيخ أبو عبد الله : كان أبو يعقوب يعجني كثيراً ، ويغمرني بعطفه ، بحيث كان يوصيني كل يوم قائلاً : اذهب ، وتردد على ما تشاء من أماكن ، ولكن يجب أن تأتي لي ليلاً .

وحينما كنت أذهب إليه كل ليلة ، كان يعد لي فراشاً ، ثم ينشغل بالصلاة حتى بزوغ الصبح الصادق ، حتى أنني كلما كنت أستيقظ من النوم ، أراه قائماً في الصلاة .

ومن جملة إكرامه لي أنني كلما كنت أذهب إليه كان يقول : يا أبا عبد الله هل أكلت شيئاً ؟ فإذا قلت لا ، مد يده إلى صندوق

---

(١) ابن باكويه : Quatre Textes N.11 ، تاريخ بغداد ٨ - ١٢٥ . ابن باكويه : فذهبت إلى حاج زبيد وكان له فيه صديق . وأريته الحلوى ففرحها وقال : يعمل هذا عبد الله وأنه لا يمكن حمله فلا أدري كيف حسن ، وأمرت حتى حمل إليه الخدم ، وكشفت لي تعرف الخبر بزبيد . هن صنع لأحد من اخلاويين جام علامته كذا وكذا ، فرجع الزبيدي إلى زبيد وإذا به قد حمل من دكان إنسان حلوى فصح عندي أن اترجل مخدوم .



وأحضر شيئاً لي ، وإذا لم يكن شيء أرسل خادمه إلي السوق ليحضر شيئاً ، وحكاية وفاته هي تلك التي رواها أبو الحسن المزين وقد مرت .

### فصل (٢٣)

كان الشيخ الثامن أباً عمرو الزجاجي :

يقول الشيخ قدس الله روحه : أخذت أُمي معي في آخر رحلة قمت بها إلى مكة ، وكانت عن طريق البحر ، وحينما وصلت إلى مكة ، قصدت أباً عمرو ، ولما وصلت إليه قضينا ساعة طيبة ( ص ٧٥ ) ، وجرت محادثة طويلة بيني وبينه ، ثم سألتني : أتملك شيئاً من الدنيا ؟ قلت : يامولاي ، حينما يجري الحديث عن مناقب الأولياء ، وتذكر مناخرهم ومآثرهم ، يكون ذكر الدنيا من الهواجس ، التي تسبب الفساد ، قال : ربما جعلت ما تملك باسم أماء ، قلت يامولاي حينما يجري ذكر رجال الله لا يليق ذكر النساء .

وكان أبو عمرو رجلاً متسرعاً غضوباً في غاية الحدة ، بحيث ترك محافظة المشايخ ومجالستهم ، وهجرهم ، وحينما رأى أنني لم أكن بالعاجز عن الرد على أسئلته ألقى ببعض الكلام ، قلت : يا مولاي أنعني بهذا الكلام فلانا ؟ قال : بلى قلت : تركته في شيراز ، فتكرم واكتب هذا الكلام في رقعة وأرسله إليه <sup>(١)</sup> ، وحينما قلت هذا الكلام ضاق مني ، وحمل سجادته على كتفه ومضى ، فقمت

---

(١) A (1136) - ١٧٢ : قال أبو عبد الله بن خفيف : دخلت مكة فقصدت أباعمر بن جرجن وسلمت عليه وجلست وجرى كلام فأخذ في تمزيق فلما أكره قلت : أنعني بهذا كله بن خفيف قال : بلى قلت تركته بشيراز فتبسم .

للصلاة في نفس الموضع ، ففوجئت بعودته فتوقف حتى أتممت الصلاة ، ( ص ٧٦ ) ، ثم واصل الكلام ، ولكنه كان يتحدث هذه المرة برفق . ثم قال : هل أكلت شيئاً يا أبا عبد الله ؟ قلت : لو كنت أحضرت شيئاً لأأكلت ، فأخذني إلى منزله ، وقدم لي ألواناً من الطعام ، وقال ابعث بشيء منه إلى أمك ، ففعلت . ثم قال يا أبا عبد الله منذ اثني عشر عاماً لم أسلم على هذه الطائفة من المشايخ ، قلت : ما دام الأمر كذلك فقد ضاع سفري وسعيي ، ولو كنت أعلم ماجئت في الموسم ، ولعدت مع القافلة ، وحينما قلت هذا الكلام ، قال : طب خاطراً ، فسألى غداً وأتباحث مع المشايخ .

وفي اليوم التالي ذهبت في صحبة أبي الحسن المزين إلى المشايخ ، فرأيت أبا عمرو قادماً ، قال أبو الحسن : لقد أتى بإشارتك ، قلت : حذار أن تظهر هذا الكلام . إذ جاء في طلب صحبتكم ، ثم دخل أبو عمرو وسلم ، فنهض كل المشايخ وأبدوا له الاحترام ، فتحدث قائلاً : ألتمس أن تأتوا جميعاً هكذا إلى مأدبتي غداً ، فأجاب المشايخ جميعاً ، ولبينا دعوته في اليوم التالي . وبعد ذلك أخذ كل واحد يقيم مأدبة يوماً بالتناوب .

قال الشيخ : وبعد ذلك بدأت بيني وبين أبي عمرو محبة وألفة . زائدتان ، فلم يأكل لقمة دوني قط . ( ص ٧٧ )

## فصل ( ٢٤ )

قال الشيخ رحمه الله عليه : كان قوت أبي عمرو في بداية حاله من زوى البلح ، وكان يطوف بالمساجد ، ويعظ الناس .

و ذات يوم كان يمر في شارع من شوارع نيسابور ، فرأى عياراً قد وقع في غلام ، وأخذ يعجره إلى السلطان ، فاقترب رجل وقال للعيار : ولدة هذا الغلام تبغك السلام ، وتقول لك : ولدى لم يرقط مثل هذه البرقعة ، فما يكون لو أطلقته لوجه الله ، فسمع العيار هذا الكلام ، فرق قلبه وأطلق الغلام .

وبعد ذلك أقبل عدد من الجنود وقبضوا على ذلك العيار وأخذوه وسجنوه . وكان لهذا العيار أيضاً أم ، فجاءت وجلست في مواجهة ابنها ، وأخذت تبكي ، فقال العيار لأمه : اذهبي إلى ذلك الغلام وقولي له إنني سجين من أجله ، وسوف يضربونني بالعصى الآن ، فذهبت أم العيار إلى ذلك الغلام ، وأدت رسالة ابنها وعادت ، وكان السلطان حاضراً بالصدفة ، فسأل العيار أمه : هل أبلغت الرسالة ؟ فهزت رأسها ، وفهم السلطان أن هذه الرسالة شيء آخر ، فغضب وأمر أن يضربوا العيار عدداً من العصى . ثم علم السلطان أن الأمر لم يكن كما فهمه ، فندم ، وأمر بأن يطلقوه ، وأكثر من الاعتذار له ، وأمر بعلاجه .

قال أبو عمرو : فذهبت في أثر العيار وسألته : لماذا تركت كل هذه البلايا والمشقات ؟ قال : من أجل أن أكون قريباً ( ص ٧٨ ) من السلطان . وكان هذا الكلام تنبيهاً لي . وفي نفس اللحظة أحرمت وخرجت .

وحينما وصلت إلى بغسداد ، قصدت الجنيد ، وقلت له :  
الآن أنا في مكة ، فأعطاني دهماً ، أخذته ثم

فعقدته في ثوبي ، ولم أنفقه ، وكنت أقنع بما يرزقني به الله تعالى ، حتى ذهبت ثم عدت إلى بغداد ، وذهبت ثانيه إلى الجنيد ، فقال لي في أول اللقاء هات ذلك الدرهم ، فأعطيته إياه ، فقال : كيف كان السفر ؟ قلت : كل من كانت همته معه ، يحصل على كل حاجته <sup>(١)</sup>

قال الشيخ رحمه الله عليه : كان أبو عمرو يقول مباحيا دائما : ثلاثون سنة وأنا أنظف خللاء الجنيد بيدي ، وقال هذا الكلام عدة مرات ، فقلت له ذات يوم : ماتقول في أنني أعتقد في أن الجنيد نفسه لم يكن له خللاء ، وحينما سمع مني ذلك قام غاضبا ، وأخذ يسمير وهو يقول : لانتأني منكم إلا الدعوى .

## فصل (٢٥)

وكان الشيخ التاسع أبا بكر الفوطي :

روى الشيخ رحمه الله عليه : قصدت البادية ذات مرة بقدم عارية ، وحينما وصلت إلى مكة ، كانت أقدامى قد جرحتا ، ومن نددة الألم نمت ساعة : فتقدم مني رجل يقال له أبو بكر الفوطي وسألني : الرجاء والخوف ضدان أم غيران ، فقلت : (ص ٧٩) أين وقعت على هذه المسألة ؟ قال : منذ عدة أيام وهذه المسألة واقعة بين المشايخ ، يتجادلون فيها قلت : هما من ناحية الامم غير أن

فلفظ الرجاء غير لفظ الخوف ، ومن ناحية المعنى ضدان ، وذلك  
لأنهما لا يجتمعان في شخص واحد في زمان واحد . ولكن  
مجتمعان في محل التوحيد :

وأعني أن من يكون في مقام التوحيد يستطيع هذان العنيان  
أن يجتمعا عنده ، « مفترقان في محل الأحوال <sup>(١)</sup> » أي إنه بالنسبة  
للأحوال الخوف غير حال الرجاء فذلك الذي يستغرق باطنه  
في الرجاء متى يتوافق مع الخوف ؟ وحين قلت هذا الجواب ،  
طلب شمعا وكتبه .

وفي اليوم التالي حينما وصلت إلى المشايخ ، رأيتهم قد وضعوا  
هذه الرقعة بينهم ، وأخذوا يناقشونها . وأشاروا إلى قائلين :  
هذا الكلام محتاج إلى شرح ، فشرحته لهم بحيث لم يبق لهم  
إشكال ، فسلموا به جميعا واستحسنوه .

## فصل (٢٦)

وكان الشيخ العاشر على بن عيسى الوزير الذي ذهب إلى  
مكة ، وجاور هناك . حين عزل من الوزارة <sup>(٢)</sup>

كان هناك رجلان أحدهما يسمى الماذراني ، والآخر يسمى  
ابن الزنبور ، فقال على بن عيسى لهما : إني أنوي المجاورة ،  
فاصطحباني إن كنتما ترغبان في ذلك .

---

(١) ما بين الأقواس - باللغة العربية في الأصل .

(٢) عزل على بن عيسى من الوزارة سنة ٣١٠ هـ وتولى بدلا منه أبو علي بن مقله . انظر  
تكملة لابن الأثير ٨ - ٦٢ . المترجم .

فقال الماذراني : إني لأستطيع تحمل آحر مكة ؛ وقال ابن الزنبور : أنا آتى معك . واشتغل على بن عيسى بالرياضيات والمجاهدات .

قال ابن الزنبور (ص ٨٠) : كان على بن عيسى قائما بالصلاة ذات يوم ، فدخل شيخ وسلم وقال : من هذا الذى يصلى ؟ فقلت لى بن عيسى الوزير . قال : ليس فى هذه الطاعة والصلاة إخلاص . فداخلى إنكار عظيم من هذا الشيخ . حين قال ذلك فقلت : لايجمل مثل هذا القول فى حق امرى يشغل ليله ونهاره بالطاعات .

وبعد مدة كنت ذات يوم أفره بالطواف مع لى بن عيسى ، ورأيت نفس الشيخ ، فكرر على السؤال : من يكون هذا الشخص فقلت : أألم أقل لك مرّة ؟ فردد نفس الكلام . فداخلى الإنكار مرة ثانية .

وحينما قمنا بصلاة المغرب . انشغلنا بتناول الإفطار ، فتذكرت كلام الشيخ ، وضحكت فقال لى بن عيسى : لماذا تضحك ، فرويت له حكاية الشيخ من أولها إلى آخرها ، قال : إذا رأيته مرة ثانية فسله : إذا لم تكن طاعته بإخلاص فلازم تؤول عاقبة أمره ؟ واتفق أن رأيته للمرة الثالثة ، فسألته فاجاب : يصل إلى حاجته ولا يبارك الله فيها .

قال ابن الزنبور : فأعدت هذا الأمر على مسمع على بن عيسى فقال : يا فلان لقد رأيت الخضر ثلاث مرات ولم تعرفه .

وبعد فترة قصيرة ، وصل حجاب الخليفة ، وأحضروا له  
الأمر بالوزارة ، كما أحضروا خمسمائة خلعة ، وحملوا على بن عيسى  
إلى بغداد ، في كامل الأبهة ، ولم يره شخص قط ثانية في المسجد .

وكل عبادة لا تكون بإخلاص ، لاجزاء لها إلا حطام الدنيا ،  
ولاثواب لصاحبها في الآخرة كما قال تعالى : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ  
حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ . وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا  
نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَالُهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ <sup>(١)</sup> » .

## الباب الخامس

في أحوال الشيخ وما حدث له في المدينة  
وبيان الآلام والمشاق والمصائب التي حاقت به

### حكاية ( ١ )

(ص ٨١) روى الشيخ رحمه الله عليه : حينما ذهبت إلى المدينة \* أصابتنى مشاق لا نهاية لها . فذهبت لزيارة المصطفى صلى الله عليه وعلى آله . وسمتطت أمام الروضة الشريفة ، وقلت يا رسول الله إننى جائع ، وحينما قلت هذا ندمت فى الحال ، وفى ذلك اليوم جىء لى بباطعمة من عدة أماكن : فلم أقبلها من شدة ندمى على ذلك الكلام .

### حكاية ( ٢ )

روى الشيخ قدس الله روحه : كنت ألبس فى المدينة صوفة مهترئة وخلقة جدا ، وكنت فى النهار أختفى عن أعين الناس بقدر ما أستطيع ، حتى لا يرانى أحد . وذات يوم رآنى طاهر العلوى ، فأشار إلى قائل : لى كلام معك : فتبعته ، فأعطانى عمامتين مصريتين ، واعتذر لى كثيرا ، فذهبت إلى الصحاب ، وبعثت العمامتين ، واشتريت ملابس الإحرام ، وخرجت من المدينة .

( ص ٨٢ ) .



### حكاية (٣)

١١ روى الشيخ : خرجت ذات عام إلى البادية دون زاد أو مؤونة . وكان الوقت صيفاً ، وفعلت في رياح السموم والظمأ فعملهما ، فسقطت فاقد الوعي . وحين انقضت ساعة عدت إلى وعي ، ونظرت فوجدت بعض الماء والرطب قد وضعاً أمامي ففرحت وقلت لنفسى : هذا دليل إخلاص عملك ، وشربت الماء وأكلت الرطب ووجدت في نفسى قوة فنهضت وسرت في طريقى .

وحينما وصلت إلى المدينة كنت جالسا ذات يوم في روضة السيد صلوات الله عليه . فدخل عربيان بدويان إلى المسجد ، وأحدهما يقول للآخر : أتعرف هذا الشخص ؟ إنه ذلك الذى فعلت فيه روح السموم فعلها في البادية ، وسقط مغشياً عليه ، وأخذنا نوقظه فلم يستيقظ . فوضعنا الماء والرطب إلى جواره ، وسرنا .

قال الشيخ : ففقت لنفسى : لم يكن هذا الصيد إذن من شباكى . وكان يقول في بعض الأحيان : هذه واحدة من كراماتى .

### حكاية (٤)

روى الشيخ رحمة الله عليه : من الآلام التى أصابتنى في المدينة ، أننى كنت أسير ذات يوم في الطريق وأنا في غاية الجوع ، واتفق أن رأيت رأس سمكة في الطريق ، ومن شدة جوعى التقطتها ، وذهبت إلى دكان خباز ، وقلت له : الق برأس السمكة هذه في التنور ،

واشبوها لى ، فلم يقبل ، فألقىتها بنفسى فى التنور ، فغضب الخباز ، وأخرجها من التنور ، وألقى بها إلى ، فسمطت على قدى ، وأذته ، ووجه لى كثيراً ن الشتائم ، ومن شدة جوعى النقطتها ( ص ٨٣ ) أيضاً ، وأكلت الجزء الذى أصابته النيران ، ورميت الباقى .

ثم ذهبت إلى عين ماء ، فأخذت بعض الطين ، حتى أزيل به ما علق بيدي من دفارة السمك ، وحينما غسلت يدي ، أتى جمع من النسوة بقرهن إلى تلك العين ليحملن الماء ، وحينما رأين أننى أغسل يدي بماء العين وطينها ، وأن الماء تعكر قليلا ، حملن القرب ، وتوجهن إلى ، وأخذن يضربن بها وجهى ورأسى ، حتى فقدت وعيى ، وانتفخ وجهى ورأسى وتورما ، بحيث لم أعد أبصر بعينى ، وسال الدم من أنفى ، وكان الوضع من أصعب الأمور على ، إذ عجزت عنه .

ثم ذهبت لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومسحت وجهى وعينى بجدار الروضة الشريفة وقلت : يارسول الله : هذه العقوبة فى مقابل أى جرم ؟ وبقدرة البارئ تعالى ، سكن هذا الورم فى الحال ، وعاد وجهى ورأسى إلى حالهما ، وتفتحت عيناى .

### حكاية (٥)

قال الشيخ قدس الله روحه : وقع لى رفيق فى المدينة ، كانت له نفس كاملة ، ومرت علينا عدة أيام دون أن نأكل شيئا ، واتفق أن دخل نصر القشورى المسجد ، وقام بزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام ، وكان ممة غلام ، حمل عدة بدرات ، وأخذ يغترف منها ويوزع على الدراويش ، فقالت له مختبرا : انهض فنصر القشورى

يوزع الذهب ، فخذ أنت أيضاً شيئاً ، فظن الرفيق أننى ( ص ٨٤ )  
أقول جداً ، فنهض وأخذ منه الغضب ، وقال : إذا كان قد كسى  
نفسه من قمة رأسه إلى أخمص قدميه ، ولم ألتفت إليه ولا إلى ذهبه ،  
فكيف أطلب منه شيئاً ؟ .

وكل من ألقى عن نفسه بعلائق هذه الدنيا . جعل عبادة المولى  
قوته وغذائه ، فلا وزن عنده للدرهم والدينار . ولا قدر للدنيا بمرمتها  
فى باطنه .

## الْبَابُ السَّابِعُونَ

في نعت عدد من المشايخ الذين لقيهم الشيخ في العراق

[ ص ٨٥ ]

### فصل (١)

يقول الشيخ : كان أول شيخ لقيته في العراق هو أبا محمد رويم ، وقال لي أول مرة رآني : يا أبا عبد الله ، اعلم أنه ربما منعك المشايخ من رؤيتي ، وربما قالوا لك : إن رويما قد أعرض عن الآخرة ، واتجه إلى الدنيا ، فهي قبلته . ومقصود باطنه حطامها . قلت : بلى سمعت أقوالا من هذا القبيل ، فنأدى ، ودعا صبية وأجلسها بجواره ، وكانت ترتدي ثوبا أحمر ، وقال : يا أبا عبد الله يريد إخواني أن أجلس على التوكل ، وأترك مثل هذه الطفلة على يد التوكل ، وأعرض عن رعايتها وتربيتها . وبحق ذلك الإله الذي لا يجوز الموت عليه أن لو أحداً ( ص ٨٦ ) يتكفل مؤمنتها ، ويحمل شغل قلبي بها ، لقلت أية أحوال شريفة مرت على طيلة خمسين سنة ، وأية مقامات سامية وهبها لي الله تعالى <sup>(١)</sup> .

---

(١) (S) ٥٨ ب ، ٥٩ أ : قال أبو عبد الله بن خفيف ، لما دخلت بغداد قصدت رويما وقد تول القضاء فلما دخلت عليه رحب وأدنانى وقال : من أين أنت ؟ قلت : من فارس فقال : لمن صحبت ؟ قلت : لمضر هذا ، قال : مات قول الصوفية في ؟ قلت لا شيء قال : بلى تقول إنه رجع إلى الدنيا في الدنيا هو يحدثني إذ جاء طفل صغير فقعد في حجره ، فقال : لو كنت أرى فيهم يعنى الصوفية من يكفيني مثونة هذا الطفل ما تعلق بهذا الأمر ولا بشيء من أسباب الدنيا ولكن شغل قلبي بهذا أوقعني فها أنا فيه .

## فصل (٢)

قال عبد الرحيم : سمعت من الشيخ قدس الله روحه : كنت ذات يوم جالسا مع رويم فدخل درويش وقال : يبلغك الأصحاب السلام ويقولون : الوقت سيف . وما من أحد يعنى بأمرنا ، ويرى أن من واجبه رعاية أحوالنا : فأجاب رويم : هذه الجماعة التي أنت رسولها ليست من جملة أصحابي .

## فصل (٣)

روى الشيخ رحمة الله عليه : كنت جالسا مع رفيق في مجلس رويم فروي :

ذات يوم ذهبت مع عبد الرحيم الأصطخري إلى جبل لبنان ، فرأينا رجلا حسن السميت ، محمود السيرة ، ليس له من حطام الدنيا إلا منزلا صغيرا ، كان محرابه أيضا . وكان يفطر كل ليلة ببعض الأعشاب المطبوخة . ويقنع بها حتى الليلة التالية ، فاقتدينا به أيضا ، واعتبرنا هذا المعنى غنيمة لأيماننا ، وحينما كان ينتهي من إفطاره ، كان يذهب إلى محرابه ، ويبكى كثيرا ، ويشغل بالعبادة حتى طلوع النهار :

وفي الليلة التالية كان يفطر على بعض الأعشاب المطبوخة كعادته تلك : ويذهب إلى محرابه ( ص ٨٧ ) ، إلا أنه كان يبدل البكاء بالضحك . فسأل الرفيق رويم : أليس الضحك في الصلاة غير واجب شرعاً ؟ فانقطعت أفكار رويم من هذا الحديث ونهض وهم يقول لنفسه : نحن أيضا نتحدث فيما يجيز الشرع !! فبدأت في لوم

رفيقي ، وقمت أنا أيضا من جوارده ، وانتحيت مكانا آخر ، وقطعت  
صلتي بذلك الرفيق ثم نهضت وذهبت إلى منزل رويم ، فخرج رويم  
وقال : أنت أيضا قد توقفت ؟ قلت : نعم ، قال : أين صاحبك ؟  
قلت : قطعت ما بيني وبينه من صلة قال : حين تأتي إلى لا تحضره  
معك ، قلت الحكم لك . ثم قلت : من المتوقع أن تكمل حكاية ذلك  
الشيخ . قال :

كان أمام الشيخ جوال مملوء بالدراهم ، وكنا نتعجب من رياضاته  
تلك ومن الدراهم أمامه ، وسألته : ما سبب وضعك لهذه الدراهم  
أمامك ؟ وما سبب هذه الرياضة التي تقوم بها ؟ قال : كان لي  
صاحب ومعين في أحوال الآخرة ، ووقع الفراق بيني وبينه ، وذات  
يوم أرسل إلى خطابا من مكة ، كما أرسل إلى هذه الدراهم ، وكتب  
في خطابه : منذ أن افترقنا ، وسع على الحق تعالى في الدنيا ، وهذا  
نصيبيك . والآن ليس بي إليه حاجة ، وأريد أن أذهب وأرد إليه  
هذا المال .

قال رويم : ثم ذهبنا في صحبته إلى مكة . ولم ننفق من هذه  
الدراهم ، وحينما وصلنا إلى مكة ، سألنا عن أخبار هذا الرجل . فقيل  
لنا : لقد توفي ولكنه خلف ابنا ، فطلبنا ابنه ، ( ص ٨٨ ) وأعطينا  
تلك الدراهم فلم يقبلها ، وقال : لقد وهبها أبي لك . وليس لي بها  
حاجة . ولم يقبل الشيخ منه هذا القول ، ووقعت الخصومة بينهما  
ولما رأى الشيخ أن الابن لن يقبل المال منه ، وهبه جملة للدراويش ،  
ولم يترك شيئا منه لنفقتنا .

ثم سألت الشيخ : أى معنى لهذا البكاء والضحك فى الصلاة ؟  
قال : أما البكاء فكان سببه : لماذا قبلت هذه الدراهم ؟ أما الضحك  
فكان لأن هذه الدراهم والحصى عندى سيان <sup>(١)</sup> .

والآن حان الوقت لنشتغل بالمذاكرة فى العلم زمانا . ثم بدأوا  
بمسألة المحبة ، وكان كل شخص يتحدث بكلام بقدر مقامه ، وكان  
عمرو بن عثمان المكى حاضرا ، وروى : حصرنى البول ( ص ٨٩ )  
فنهضت لأخرج ، وحينما وصلت إلى صحن الدار ، وجدت قطعة من  
الرق . مكتوب فيها : المكارون يدعون المحبة ، فطاب وقى وعدت ،  
وأتيت المشايخ وقلت : أصمتوا فقد حصلت على مسألة من الغيب ،  
وألقيت هذا الرق أمامهم ، وحينما نظروا ورأوا ما فيها . صاحوا جميعا  
ونهبوا وتفرقوا ، وأحرم بعضهم من ذلك الموضع . وكان اجتماعهم  
فى الموقف <sup>(٢)</sup> .

(١) أغلب الظن أن هنا جزءا ساقطا من النص الفارسى . فقد انتهت حكاية الشيخ عند  
هذا المقام . وبدأت حكاية أخرى دون مقدمات . فنهاية حكاية الشيخ كانت فى مكة ولا شك  
أن موضع حدوث الحكاية الثانية مختلف . كما أن أبطالها مختلفون . وفى نهايتها يذكر الراوى أن  
الحاضرين أحرموا فى مكانهم . فلا شك أنه كان بعيدا عن مكة . ولعل إشارة ابن الجوزى  
إلى الحكاية تفسر ذلك . المترجم .

(٢) ابن الجوزى : ص ٣٣٤ - ص ٣٣٥ : وقد رويت لنا حكايات عن بعضهم فيما يتعلق  
بالمكر إى لأشعر من ذكرها ، لكنى أنه بذكره على قبح ما يتخيله هؤلاء الجهلاء . أخبرنا أبو بكر  
ابن حبيب ، حدثنا أبو سعد بن أبى صادق ، حدثنا عبد الله بن باكوية قال : أخبرنا أبو عبد الله  
ابن خفيف قال سمعت رويما يقول : اجتمع ليلة بالشام جماعة من المشايخ فقالوا : ما شهدنا  
مثل هذه الليلة وطيبها ، فقالوا نتذكر مسألة لثلاث تذهب ليلتنا . فقالوا نتكلم فى المحبة  
فإنها عمدة القوم ، فتكلم كل واحد من حيث هو . وكان فى القوم عمرو بن عثمان المكى فوقع  
عليه البول ولم يكن من عادته فقام وخرج إلى صحن الدار فإذا ليلة مقمرة فوجد قطعة رق  
مكتوب عليها فأخذه وحمله إليهم وقال : يا قوم اسكتوا فإن هذا جوابكم . انظروا ما فى هذه  
رسالة فإذا فيها : مكار مكار وكلكم تدعون حبه ، وأحرم البعض وأتروا فما جمعهم إلا الموسم .  
قال المصنف رحمه الله فقلت : هذه بعيدة العسحة وابن خفيف لا يؤثق به وإن صحت فإن  
شيطانا ألقى ذلك الرق . وإن كانوا قد ظنوا أنها مسألة من الله بظنونهم الفاسدة ، وقد بينا أن  
معز المكر من المجازاة على المكر فأما أن يقال عنه مكار فنور الجهل وفوق الحماقة .

### فصل (٤)

قال الشيخ رحمه الله : سمعت من رويم أنه قال : كنت وسادتي في الشونيزيه قطعة آجر طيلة اثني عشر عاما، ثم فارقته ذلك الموضع عشرين يوما، وعدت إليه ذات يوم ، فوجدت قطعة الآجر ملقاة في مكانها المعهود فرفعتها وألقيتها على الأرض حتى صارت إلى قطع صغيرة . وقلت : منذ ذلك التاريخ الذي فارقتك فيه مت عدة مرات وحييت ، ولم يجر عليك تغير قط . فأخذ كل واحد من دراويش الشونيزيه قطعة منها تبركا .

قال الشيخ أبو عبد الله : في ذلك اليوم الذي قابلت فيه رويما سألتني عن أخبار عبد الرحيم قلت : مات في العام أو العامين الأخيرين قال : يرحمه الله إذ كان من رفاق في جبل لبنان ، ولم أر من هو أكثر صبرا منه .

### فصل (٥)

قال الشيخ : حين كنت أودع رويما قلت : أوصني : فقال : ماذا كنا نفعل إذن كل هذه الأيام ؟ قلت : بي حجة في الوصية (ص ٩٠) قال : يابني لقد وضع أساس هذا الأمر على بذل الروح فإن قدرت فيها ونعمت ، وإلا فلا تشغل نفسك بترهات الصوفية وكان دائما يقول : إياكم وهوى النفس ، فهو مضل للغاية ، وأخلاقها دائما ضلال .

(١) الأنصارى : ص ٢١٩ : حينما أراد أبو عبد الله الخفيف أن يذهب من عنده ، كان بالقرب منه مكان على مرتفع ، فنزل من هناك ، ووضع رويم يده في كفه وقال : يابني هو بذل الروح وإلا فلا تشغل بترهات الصوفية . ، رسالة ٢٧ ، ابن الجوزي : يابني ١٨٨ ، تذكرة : ٢ - ٦٧ ، نفحات ٩٦ ، شيراز نامه ٧٦ : قال ابن خفيف : هذا التصوف طريقة أهل الله أن قدرت عليه على بذل الروح وإلا فلا تلتفت إلى ترهات الصوفية ، شرافي ٨٧ - ١ (طبعة بمصر) حلية ١٠ - ٢٩٧ ، سلمى طبقات ص ١٨٣ من طبعة مصر .



## فصل (٦)

روى الشيخ عن رويم أنه قال : ذهبت ذات يوم لرؤية قاضى  
قضاة بغداد ، وكان ابن سريج حاضرا ، وكان يتحدث بكلام عن  
الأخلاص .

وحينما أبصرونى قالوا : جاء شيخ الأخلاص ، قلت : ما شأنكم  
بالإخلاص ومن أين وقفتم على هذا الكلام ؟ قال ابن سريج : إنك  
تدعى الأخلاص وترك الدنيا ، وأنت تملك الآن من أسباب الدنيا  
ما أملكه فما وجه تخصيصك وتمييزك ؟ فقلت له : توقف لحظة حتى  
أجيبك على هذا ، ثم نهضت ، وذهبت إلى المنزل ، وأخذت السرج  
من الحصان ، وألقيت عليه بقطعة من التيل ، وأخرجت المقود من  
فمه (ص ٩١) ووضعت بدلا منه قطعة من الجبال ، وخلعت العمامة  
والجبة ، وارتديت مرقعة قديمة ، ولففت رأسى بقطعة من الجوخ ،  
وذهبت إليهم .

وحينما رأونى على هذا الحال قالوا : الأخلاص مسلم لك ولا  
نستطيع أن نجاريك فى هذا المقام ، فأمر قاضى القضاة أن  
يرفعوا ذلك التيل عن ظهر الحصان ، ويضعوا عليه سرجا ، وأن  
يلبسونى جبة وعمامة ، فقلت : هذا الإكرام الذى أبديته نحوى ،  
هو ببركة الاخلاص .

## فصل (٧)

وكان الشيخ الثاني أبا العباس بن سطاء :

قال الشيخ رحمه الله : حينما وصلت إلى مجلسه ، كان أبو حمد الجريري جالسا معه . وقد اعترضت عليه مرتين ، مرة في موضوع الفراسة . والثانية في رواية حديث أورده أبو العباس لا على وجه الصحيح .

قال أبو العباس : قل ما وصلك من كلام غنى ، ليس ع نهج الشريعة ، ولا يوافق السنة . قلت : أوله الحديث الذى ترويه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : يخاطب الله تعالى يوم القيامة الأغنياء قائلا : أى حق قمتم به فيما أعطيتكم من الدنيا ؟ فيجيبون : امتثلنا لأوامرك واجتنبنا نواهيك ، وقمنا بطاعتك ، ويصدقهم الله تعالى ، وليس هناك مقام أعلى من أن يصدق الله أحدا .

قال أبو العباس وأى اعتراض لك على هذا يابنى ؟ قلت : إن هذا الحديث مروي في حق الفقراء وأنت ترويه في حق الأغنياء (ص ٩٢) .

قال أبو العباس : إرو إذن الحديث الذى ورد في حق الفقراء ، قلت : الحديث يحشر الفقراء يوم القيامة وهم على أمثال الحمائم ، وينادى الحق تعالى : أوقفوهم ليحاسبوا وليعرضوا سيئاتهم ، فيجيبون لم يصدر منا جرم واحد حتى تحاسبنا عليه ، أو تعاقبنا من أجله ، وحين ذاك ينادى صدق عبيدى اتركوهم فيذهبون إلى الجنة (١) .

قال أبو العباس : سمعت هذا الاعتراض ، فما هو الاعتراض  
الذى هو فى موضوع الفراسة ، قلت : لقد أوردت دليلا على  
الفراسة هذه الآية (وَأَوْزَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَماهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ  
وَلَحْنِ الْقَوْلِ) <sup>(٢)</sup> وهذه الآية لاتدل على أَنَّ الفراسة بلا سبب ،  
وطالت المناقشة فى هذا الموضوع بينى وبينه ، وحينما رأى أبو محمد  
الجريرى أَنَّ أبا العباس سيتغلب على ، التقط الكلام من فمى ،  
ودخل فى المناظرة معه . ووصل بهم الكلام إلى درجه لم أعد أفهمه .

وحينما انتهت المناقشة بينهما ، أخذنى أبو العباس إلى منزله ،  
وحضر لى طعاما ، فأكلت وجاهد كثيرا أن يلبسنى خرقة ولم أقبل ،  
فقال : لماذا لاتقبل ، قلت : هذه الخرقة التى معى ألْبستنى أُمى  
إياها ، ولا يستطيع غيرها أن يخلعها عنى ، وحينما سمع أبو العباس  
هذا الكلام توجه إلى أصحابه وقال : انظروا كيف يراعى الأصول ،  
وكيف يحفظ جميل أمه ؟ .

وبعد ذلك جاهد كثيرا حتى أقبل منه شيئا ، ولم أفعل ، فدعا  
لى وقال : طوبى لأولئك الذين غنمت صحبتهم ، وتنعمت بمجالستهم ،  
فت : لى التماس من جنابكم ، أن تكتب بخطك هذه الكلمات  
النبارة التى جرى بها لسانك ، وتعطينى إياها ، إذ أنى أفضلها على  
الندى بأجمعها ، فقبل وكتبها وأعطاه لى .

## فصل (٨)

وكان الشيخ الثالث أبا محمد الجبري .

قال الشيخ رحمه الله عليه : أوقع القرامطة فتنة<sup>(١)</sup> ذات سنة وكانوا يقتلون الناس ، وذات يوم كان أبو محمد متكئا في دعة ، وأخذ الناس يلتمسون منه : ادع لنا حتى يحمد الله هذه الفتنة ، فقال أبو محمد : هذه ساعة الرضا والتسليم وليست ساعة الدعاء<sup>(٢)</sup> ، قال الشيخ : كنت أعد أبا محمد من جملة الأولياء . وكل من رأى سيرته وسلوكه لا يشك في ولايته .

## فصل (٩)

كان الشيخ الرابع هو الحسين بن منصور الحلاج .

قال الشيخ رحمه الله : حينما عدت من الحج . (ص ٩٤) ووصلت إلى بغداد ، أردت أن أرى الحسين بن منصور . وكان نصر القشوري قد بالغ في أمره كثيرا ، وبني من أجله قصرا ، وسجنه في ذلك القصر ، كما لم يكن يسمح لأحد بزيارته ، ففكرت بيني وبين نفسي ، بأي وسيلة أستطيع أن أراه ، وكيف أحتال لذلك ، وأتفق أن كان لي معرفة مع أحد القواد ، فقدمت له الأمر ، قال أحقق لك مرادك هذا ، وحملني إلى قصره .

---

(١) هنا فتنة «هيب» ولعلها هجر نسبة إلى أبي طالب الهجري وهو الشاعر قريظي الذي هاجم العراق سنة ٣١٥ هـ . انظر : لابن الأثير ص ٨ وما بعدها : المترجم

(٢) كلا بآذ : باب ٦٦ من طبعة آبري ، صفحات ١٤٠ . المترجم : وهي مختلفة إذا ان أبا محمد من الذين أصابهم فتنة القرامطة ، وكان بين الجرجي وهي أنسب لأن الرضا والتسليم لا يكرهان إلا عند اللزوم .

وحينما وصلنا إلى منزله ، قام ذلك الأمير الذى كان الحسين فى قبضته للقائد ، وأكرمه كثيرا ، وقال : ما وراءك ؟ فقال القائد : أريد أن أرى الحسين ، فأجاب : إلتاس خطير ، فقال له القائد : لا ضرر يلحقك فى أن يراه هذا الصوفى ، ولا مراد له أكثر من الرؤية ، فقال ليكن ، عد أنت وسوف أحمله إليك ، فعاد القائد ، وحملنى ذلك الأمير إلى منزله ، وقال : الحسين فى هذا المنزل ، فرأيت دارا شديدة الإحكام ، ولم أر أحدا اللهم إلا شاب كان قد جلس على باب الدار ، فسألته : أين الشيخ ؟ ، قال : ذهب يتوضأ ، قلت : متى وأنت فى خدمته ؟ ص (٩٥) قال ثمانية عشر يوما قلت : وبماذا يشتغل الشيخ ؟ قال : كل باب تراه باب سجن ، وراءه سجناء ، ويذهب الشيخ كل آن فيعظهم ويعود ، فقلت : ومن أين يأكل ؟ قال : كل يوم يحمل إليه طعام من أماكن عديدة ، فينظر فيه ، ولا يأكل منه شيئا ويقول : احمלוه .

وبينما نحن فى الحديث ، دخل وكان رجلا حسن السميت مهيب الطلعة ، قد ارتدى صوفة بيضاء ، ووضع فى قدمه نعالا منية ، وكان الوقار والهيبة ينضمجان من وجهه ، فأنى وجلس بجوار الصفة ، وتوجه إلى قائلا : من أين أنت ؟ قلت : من فارس قال : من أى فارس ؟ قلت : من شيراز ، قال : كيف وجدت الطريق ؟ قلت : بشراعة أحد القواد .

ثم سأل عن أحوال المشايخ ، فأجبت عن أحوال كل واحد منهم حتى وصل إلى الكلام عن أبى العباس فقال : أبلغه منى السلام وقال له احفظ نفسك من هذه الواقعة ، وكنا فى الحديث إذ دخل

أمير السجن ، وقبل الأرض بين يديه ، وحياه ، وكان يرتعد كالصفصاف ، فقال له الحسين ما وقع لك ؟ ( ص ٩٦ ) ، قال : دس لي بعض الناس عند أمير المؤمنين بسبب أمير كان سجيناً وهرب ، فقال : لاتخف فلن يحقق بك مكروه قط . والله حافظك فذهب .

وقام الحسين ، وجاء إلى صحن الدار : وجلس على ركبتيه ، وكان يشير إلى السماء بسبابته ويردد : يارب يارب ، والدمع يسيل من عينيه ، بحيث كان يتقاطر على الأرض ، ثم غاب عن نفسه ، ووضع وجهه على الأرض ، وأخذ يصيح ويصرخ ، ولم يرفع رأسه حتى عاد ذلك الأمير ، فرفع الحسين رأسه من سجده وقال : كيف الحال ، قال ياشيخ ختمها الله تعالى بالخير ببركة همتك فعاد الحسين إلى مكانه ، وجلس ، وقال للأمير : قص على ما جرى ، فقال : حملوني إلى أمير المؤمنين ، فقالى : كيف تهمل إلى هذا الحد ؟ قلت : يامولانا هذا كذب تقوله على الحاسدون . قال : كنا قد دعونا لهلاكك ، والآن رجحنا العفو على الانتقام ، ووهبناك لله تعالى ، فتيقظ بعد ذلك في الأمور . ( ص ٩٧ ) .

قال الشيخ أبو عبد الله قدس الله روحه : حينما عاد الحسين بن منصور من الوضوء ، جلس بجوار الصفة ، وهى عشرون ذراعاً ، وكانت هناك منشفة فى هذه الصفة ، فأشار الحسين ورأيت المنشفة فى يده فأخذ يجفف بها وجهه ، ولم أدر أطالت يده ، أم أن المنشفة قد انتقلت إليه .

قال الشيخ : حين رأيت هذا الأمر قلت في نفسي : هذه أيضا من جنس مايتقولون به عليه - أي السحر - لأنه نسب للسحر من أجل أشياء تشبه هذه الأشياء .

قال الشيخ أبو عبد الله : ثم غادرته : وذهبت لرؤية أبي العباس بن عطاء ، وأدبت رسالة الحسين ، وحكيت له القصة من أولها إلى آخرها ، وحينما وصلت إلى ذكر « الواقعة » قال : لا أتجاوز كلامه إذا تركوني في حال<sup>(١)</sup>

### فصل (١٠)

قال الشيخ : جاء الحسين بن منصور إلى مكة ، وجلس عاما في مواجهة الكعبة ، ولم يكن يخرج من هناك إلا للوضوء (ص ٩٨) وكان قد جعل صحن المسجد ذاك مقاما له صيفا وشتاء ، وكان يظهر باطنه من كدورات الدنيا . ويجلو ضميره وسره من أقدارها ، وكان يوضع أمامه كل ليلة قرصا من الخبز وقدر ماء ، فكان يقضم أطراف الرغيف ويترك الباقي . فكان يحمل قدر الماء وقرص الخبز من أمامه .

فمتى يحتاج إلى أكل الخبز كل من يحمل محبة الله تعالى قوتاً له<sup>(٢)</sup> !!!

---

(١) ابن باكويه : ١٢ ، الأنصارى ٣٢٢ ، أخبار الحلاج : ٦٨ ، نفحات ١٥٣-١٥٤

(٢) ابن باكويه : 37 Quatre سمعت أبا عبد الله انحسين بن محمد المزاوي يقول :

سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول دخل . . . ، تاريخ . بغداد ٨ - ١١٨<sup>١</sup>

## فصل (١١)

روى الشيخ رحمة الله عليه : قدم الحسين بن منصور إلى أصفهان وكان فيها على بن سهل : فصعد الحسين بن منصور إلى المنبر وقال لعل بن سهل : أيها الموقى لِمَ تتحدث في المعرفة وأنا حي ، وبين الصحو والإضطلام سبعمائة درجة ، لم تشم خبراً عن واحدة منها .

والصحو والإضطلام من اصطلاحات الصوفية : والإضطلام أن يصير المرء مستغرقاً في عالم الغيب : والصحو هو أن يعود إلى وعيه من هذا الاستغراق .

فأجاب على بن سهل (ص ٩٩) ينبغي ألا يجمع لشكك بدخول المدينة التي يعيش فيها مسلمون . وكان يقول هذا الكلام بنفارسية ولم يفهم الحسين : لأنه لم يكن يفهم الفارسية : فنزل من على المنبر ومضى .  
وحينما سمع عوام أصفهان هذا الكلام من على بن سهل . بيتوا قتل الحسين . فأخبر أحد الناس الحسين بالأمر وقال : مضى عن هذه المدينة بأسرع ما تستطيع : فعوامها على جهل عظيم . وهم في غاية الاعتقاد في على بن سهل والخوف أن يقتلوك فخرج الحسين في الحال من المدينة ، وصاح : إني ذاهب إلى شیراز ، ثم ذهب من طريق آذربيجان<sup>(١)</sup>

---

(١) ابن باكويه ١٣ = Quatre 42 شد ١٠ ، ذيل في باب على بن سهل من كتاب تحفة العرفان في ذكر سيد الأقطاب روزبهان تأليف شرف الدين إبراهيم حفيد ابن الشيخ روزبهان . . . . . وذهب إلى آذربيجان وسمعت في رواية أخرى أنهم قالوا له : أخرج حتى لا يقتلوك ، أو اذهب إلى موضع كذا حتى لا يروك فقال : الأعصم من عند الله بغير الله شك في أنه .



## فصل (١٢)

يقول الشيخ أبو عبد الله : سمعت من ابن خفي الاضطرابي، حكاية عن أبيه قال : أرسلني المعتضد إلى الهند واليا ، (ص ١٠٠) فركبت سفينة ، وصحبنى رجل كان يقال له الحسين بن منصور الحلاج ، وكان حسن الخلق ، وحين وصلنا إلى البر ، وغادرنا السفينة رأينا عجوزا قد بنى منزلا على الساحل : فسأله الحسين : هل هنا أحد عنده علم بالسحر ؟ وكان مع هذا العجوز جبل ، فألقى به في الهواء ، ووضع طرف الجبل في يد الحسين . فصار هذا الجبل مرنا ، فأمسك به الرجل ، وأخذ يتسلقه . وقال للحسين : أتريد من هذا النوع قال : نعم : اذهب فهذه المدينة غاصة بالعالمين في هذا العلم ، وحدثت بيننا فرقة طويلة ، وبعد ذلك حينما ذهبت إلى بغداد سمعت أن الحسين يدعى أمورا عجيبة<sup>(١)</sup>

## فصل (١٣)

سأل أحد الناس الشيخ : ماذا تعتقد في الحسين بن منصور ؟ قال : اعتقادي أنه رجل موحد ، فقال السائل : إنما أسأل هذا السؤال لأنهم قد كفروه (ص ١٠١) فقال الشيخ : إذا لم يكن مارأيته منه توحيد فمن الموحّد في الدنيا ؟<sup>(٢)</sup>

( ١ ) ابن باكويه ١٤ = O.T. 42 سمعت أبا الحسين ابن أبي توبة يقول : سمعت علي ابن أحمد الحاجب قال : سمعت والذي يقول : وجهي المعتضد . . . إرشاد الأريب بنفس الإسناد ص ١٠٣ ، تاريخ بغداد ٨-١٢٤ بنفس الإسناد .

( ٢ ) ابن باكويه ١٠ = Q.T. 42 سمعت عيسى بن يزول القزويني وقد سأل أبا عبد الله ابن خفيث يقول : ما تعتقد في الحسين بن منصور ، قال : أعتقد فيه أنه رجل من المسلمين فقط فقال له : قد كفروه المشايخ وأغلب المسلمين ، فقال : إن كان الذي كفروه يرى ما رأيته منه أنا =

فسأله هذا الرجل ثانية: لقد قال كلاما في اللاهوت والناسوت ،  
قال الشيخ : أتقصد هذين البيتين :

سبحان من أظهر ناسوته      سترنا من لاهوته الثاقب<sup>(١)</sup>  
ثم بدا في خلقه ظاهرا      في صورة الآكل والشارب

قال : نعم ، فأجاب الشيخ : لعنة الله على من قال هذا ،  
ومن يعتقد في هذا ، وعلى ذلك الذي يقول مثل هذا ويعتقد  
مثل هذا<sup>(٢)</sup>

### فصل (١٤)

(ص ١٠٢) قال الشيخ رحمه الله عليه : ذهبت في زمهرير الشتاء  
إلى واسط ، وكان الكرى قد أخذ مني كل مأخذ ، وحين دخل الليل ،  
ذهبت إلى دكان خباز ونمت. وفي اليوم التالي حيث فرغت من الصلاة  
والأوراد المعتادة ذهبت ناحية الشاطيء وجلست ، فرأيت شيخا عليه  
سمات الخير : فسلمت عليه ، فأجاب قلت : أريد رغيقين ورمانتين  
وعنقودي عنب ، قال : الأمر ماتريد ، قلت : أريد خبزاً حواريا

---

== في الحبس لم يكن توحيدا ، فليس في الدنيا توحيد ، قال الذهبي : قلت : قول ابن خفيف لا يدل  
على شيء فإنه لا يلزم أن المبطل لا يعمل بالحق ، بل قد يكون سائر علمه حق ويكفر بكلمة  
واحدة أو بكلمة تحبط عمله .

( ١ ) الأبيات في النص بالعربية . والشرطة الثانية فيها خطأ ( سترنا ) المأرجم .

( ٢ ) ابن ياكويه ١٨ = Q.1. : سمعت عيسى بن يزول القرظي وقد سأل أبا عبد الله  
ابن خفيف عن معنى هذه الأبيات . . . حتى لقد غايته خلقه كلمحة الحاجب بالحاجب قال الشيخ :  
على قائلها لعنة الله ، فقال عيسى بن يزول : هذا لحسين بن منصور فقال : إن كان هذا اعتقاده  
فهو كافر إلا أنه ربما يكون مقولا عليه . أخبار الخلاص : ٦٢ ، تاريخ بغداد ٨-١٢٩ ،

ابن الجوزي : ١٧١

قال : أنى أعد طلبك غنيمة ، بشرط ألا تقبل هذه الهبة دون أن  
تبرن ، قلت : لك ماتريد ، فذهب وأحضر الرمان والعنب ، فأكلت  
معها وتركت الباقي ، وغسلت يدي وذهبت إلى الجامع ، فرأيت  
جمعة من لابسى المرقعات يتحدثون فى مسألة ويتباحثون فيها ،  
رجعت بنفسى بينهم وأخذت أوضح هذه المسألة .

ودخل ذلك الشيخ الذى كنت قد طلبت منه الطعام إلى المسجد ،  
وهضر الجميع ، وأبدوا له الاحترام والتجلة ، فأدركت من ،  
وبيته أنه (ص ١٠٣) شيخ القوم ، وحين جلس عدت الكلام  
حتى أتممت الحديث فى المسألة .

وحينما سمع كلامى قال : من أين أنت ؟ قلت : من شيراز  
قال : ما اسمك ؟ قلت : ابن خفيف ، فسأل عن أحوال المشايخ  
وكثير من الاعتذار . فذكرته بما كنت قد قلته له بالأمس . فضحك .  
ثم أخذنا فى المباحثة حتى وصلنا إلى الحسين بن منصور :  
قال : حينما حدثت تلك الواقعة للحسين بن منصور رأيت  
الله تعالى فى النوم فقلت : يا إلهى لقد رفض عبدك الحسين بن  
منصور يده من الدنيا . ولم يستمسك إلا بتوحيده وتقديسك ،  
فما الحكمة فى هذا البلاء الذى صيبته عليه ؟ فقال البارى تعالى  
لقد كشفت له عن سر من أسرارى ، فدعا الخلق إليه فلا جرم  
أن سلطنا عليه ، هذا البلاء<sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) صفحات : ١٥٢ والكلام على لسان ابن فذلك : أنصارى : ص ٣١٨ والكلام على  
سر ابن فذلك أيضاً . المأرجم

قال الشيخ : سألت أهل واسط ما اسم هذا الشيخ ؟ قالوا : اسمه أبو الألهام وهو شيخ الواسطيين ومقتداهم <sup>(١)</sup> .

## فصل (١٥)

وكان الشيخ الخامس أبابكر الشبلي :

روى الشيخ رحمة الله عليه : حدث في بغداد قحط عظيم في إحدى السنوات ، فأصاب الناس منه نصب شديد ، حتى تفرق أغلب أهل بغداد وقبع كل امرئ في زاوية ؟ وزاول الشبلي في تلك السنة رياضات لاحد لها ، بسبب كثرة العيال (ص ١٠٤) فأرسلت إليه مائة درهم وكليهما ، فأخذ الشبلي يلوم أصحابه ذات يوم ويقول ألا تخجلون من أنفسكم ؟ واحد في شيراز يحمل همي وأنتم لا تهتمون .

وقال الشيخ ذات يوم : حينما عدت من رحلتى إلى الشام ، ذهبت لزيارة الشبلي فروى لى : بالأمس اقترضت درهما ، أعطيت نصفه لرجل <sup>(٢)</sup> سداد الدين صغير ، وخطر لى أن أستأجر بالنصف الباقي دابة ، وآتى لزيارتك ، والآن تفضلت بالسبق ، فقلت : روج الله سوقك بهذا النصف الباقي : فأعطاني إياه .

---

(١) بقل : شطحيات قاضى عسكر ، ١٥ ب .

(٢) في النص الفارسي : بمذى ولعلها بمردى الراة مساقطة . المترجم .

## فصل (١٦)

وكان الشيخ السادس هو ابن زيزى<sup>(١)</sup> :

روى الشيخ رحمة الله عليه : كنت وابن زيزى فى السماع ،  
ونعنى القوال بهذا البيت :

لو أسندت ميتا إلى حجرها عاش ولم ينقل إلى القبر  
(ص ١٠٥) وهذا البيت منقول فى السيرة هكذا ، وهو من قصيدة  
للأعشى ، وصحته :

عاش ولم ينقل إلى قابر

لقصة : طاب وقت ابن زيزى ، وأخذ القوال يردد هذا البيت  
واستغرق ابن زيزى ، حتى إن الدم كان يتدفق من عينيه بدلا  
من الدمع ، وكأنه شخص يفصد ، وبلغ به الأمر درجة أن الدم  
لم يتوقف ، حتى ربطوا عينيه بخرقه ربطا محكما<sup>(٢)</sup> .

## فصل (١٧)

روى الشيخ قدس الله سره : جرت مناقشة بين ابن زيزى  
وإبراهيم الخواص ، فقال ابن زيزى لإبراهيم : حتام تقول خرجت  
إلى البادية على التوكل ثم عدت ، إن هذه الثياب المرقعة تنوب  
عنك فى سؤال الناس ، فنهض إبراهيم غاضبا وخرج .

فحمل ابن زيزى مشرا أبيض ورداء وقدرا زجاجيا وذهب فى  
شر إبراهيم ، فلحقه فى القادسية وقال : اخلع عنك هذا المرقع ،

---

(١) أبو يعقوب بن زيزى : نفحات ١٣٢ ، ١٣٣ المترجم (٢) نفحات : ١٣٢

وارتد هذا الثوب الأبيض . واترك الركوة ، وخذ هذا القدر الزجاجي (ص ١٠٦) وأخرج إلى البادية الآن فيعطيك توكلتك طعاما . فخرج إبراهيم إلى الطريق بهذا الحال وذهب ، وحين عاد ذهب ابن زيزى لاستقباله ، وقد حمل مرقعته وركوته وقال لإبراهيم الآن ارتد ماتريد وكان شعر إبراهيم قد تساقط كله من كثرة مارأى من عناء ، فتوجه إلى ابن زيزى وقال : كافأك الله تعالى فمقد قتلتني <sup>(١)</sup>

### فصل (١٨)

قال الشيخ : جرت مناقشة بين أبي طالب الخزرجي وابن زيزى حول الإخلاص .

وقال أبو طالب : اعتماد ابن زيزى أن يأتيني ليلا ، وكنت أجيء على سؤال له ، كان يقول : الليلة بيننا ، ولم أكن أفهم مراده من هذا الكلام ، وحين نهضت قال ابن زيزى : حين يحضر الطعام ، لاتنتظروني واحفظوا لي نصيبي . ولما حضر الطعام أكلنا واحتفظنا له بنصيبه . وانقضى شطر من الليل ، فذهب إلى المسقى ، وظننا أنه يتطهر وكان معه على خلاف ماظننا دف كان يخفيه . ( ص ١٠٧ ) وحينما هدأ الليل ، أخرج ذلك الدف وأخذ يضرب عليه فتجمع جيرانه ، فقال لهم : ربما يمزح معكم أبو طالب هكذا ، وهو شيخنا

(١) نفعات : ١٣٢ ، ١٣٣ وفي النص أبداك الله ٣١ . المترجم .

ونحن نتعلم منه الأدب . وكان يقول هذا الكلام مازحا ، وفي اليوم التالي التفت إلى قائلها : هل ثبت عن ذكر الإخلاص ؟ وحين سمعت هذا الكلام منه رأيت فراقه واجبا ، وأقمت في حي آخر <sup>(١)</sup>

## فصل (١٩)

كان الشيخ السابع هو عمر بن شلويه

قال الشيخ رحمه الله عليه : مضى عليه ستون سنة من العمر ولم يره أحد أكل طعاما أو تفل ، أو مد ساقيه ، وهذه هي الحقيقة ، كما أن هذه أيضا هي صفات الملائكة . وهي تدل على أن الإنسان يستطيع أن يصل إلى مرتبة الملائكة <sup>(٢)</sup> .

قال الشيخ برويت حكاية الحسين بن منصور في محضر عمر ابن شلويه فقال : هل تريد أن ترى ابنته ؟ قلت : بلى ، فصاح ونادى الابنة ، فقال عمر : لانهجي وجهك فهذا الرجل عمك (ص ١٠٨) ويدعى عبدالله بن خفيف

ثم روى : كانت هذه البنت في الرابعة من عمرها حينما أودعني أبوها إياها ، فربيتها ، وزوجتها .

قال الشيخ : كنت قد جلست ذات يوم إلى عمر بن شلويه ، فجاء أحد إخواننا وقال : لقد أعددت طعاما ، فلو أكرمتهموني بشرف الزيارة . لكان هذا زيادة في الإكرام . وقال الشيخ : فقلت لعمر :

---

( ١ ) صفحات ١٣٣ المترجم : وحين أتى الصباح قلت : لقد ثبت توبة نصوحا عن ذلك الأخلاص

( ٢ ) صفحات : ٢٤٤ على بن شلويه .

قم واصطحبنا وقلت في نفسي : ربما أراه اليوم يأكل طعاما  
وحين حضر الطعام قلت : كل لقمة ، فقال : ومتى أكل عمر  
طعاما ؟

وهذا الكلام إشارة إلى أن الإنسان حينما يستغرق في عالم الغيب ،  
لا يحتاج إلى طعام أو شراب ، قال الشيخ : حينما قال عمر هذا  
الكلام ، تنغص الطعام على ، فاعتذرت وخرجت .  
( ص ١٠٩ )

### فصل (٢١)

قال الشيخ : كان لي صديق ، يسمى الأشناني ( ١ ) وقال  
لي ذات يوم : أريد أن أستمع إلى حديث عمر بن شلويه ، فنقلت  
هذه الرغبة إلى عمر .

فقال : هل يغلب عليه الخوف أو الرجاء ؟ قلت : الخوف .  
فنهض عمر وانتحى زاوية من المسجد وجلس وكان الهيبة  
أوالوقار يقطران منه ، بحيث عجب الحاضرون من غاية سكونه  
ووقاره ، وأخذ يصف قيام الساعة : حتى أجهش الأشناني ، والحاضرون  
بالبكاء وبدا للأشناني حال عظيم .

### فصل (٢٢)

قال الشيخ : كنت وعمر بن شلويه راكبين سفينة في البصرة :  
وكنا نتذاكر فرأينا أبا الحسن الأشعري قد مر بنا ، ثم جاء في اليوم

---

( ١ ) لعله أبو بكر الأشناني : نفحات ١٩٨ - ١٩٩ المترجم .



نذلى وقال : مررت بالأمس عليكما وكنتما تنذاكران ، وفهمت  
تفظكما ، ولكنى لم أدرك لها معنى ، وأريد الآن أن تكررآ على هذه  
لأعظ .

قال الشيخ : فيم ( ص ١١٠ ) كنا نتحدث ، قال أبو الحسن :  
في سؤال إبراهيم عليه السلام « أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى » <sup>(١)</sup>  
وفي سؤال موسى عليه السلام : « أَرِنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ » <sup>(٢)</sup> وأجاب  
شيخ : سؤال إبراهيم ، سؤال من هو في مقام الشوق والوجد ،  
فلا شك أن سؤاله كان تعريضا ، وسؤال موسى كان تصريحاً ،  
لأترى أن إبراهيم سأل بطريق الإشارة « رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى »  
أى يا إلهى ليس لدى شك فى البعث والإحياء ، وأنا مقر بسلطانك ،  
ولكنى أريد أن أعرف كيفية الإحياء ، ولما كان سؤال إبراهيم  
بطريق الإشارة ، فقد أجاب الحق تعالى على سؤاله برفق ، وقال  
له : « خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ » <sup>(٣)</sup> أى أن هذه علامة على  
كيفية الإحياء ، حتى تعلم أننى قادر على كل شئ ، وآخر الآية  
« وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » إشارة إلى هذه القدرة .

وحينما استمع أبو الحسن إلى هذا الكلام ، اعترف بفضله  
الشيخ وقال : هذا كلام فى غاية الجودة ، فقال الشيخ : أريد  
أن أستمع إلى كلامك أيضا ، فقال أبو الحسن : غدا .

---

( ١ ) وإذ قال إبراهيم رب أه فف كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطعنن  
فلى بقرة : - ٢٦٠ .

( ٢ ) الأعراف - ١٤٣ .

( ٣ ) بقرة - ٢٦٠ .

قال الشيخ : وجاء اليوم التالى . فصدق بابى . وأخذنى إلى داره .  
وجاء تلاميذه وتحلقوا حوله . قلت : سلهم . قال : ترجيه  
السؤال إليهم بدعة ، قلت : لماذا تناقضتهم (ص ١١١) وتعلمهم .  
قال : إنهم يسألون إنكارا ويجادلون فى الباطل ولكن ماداموا قد  
سألوا فقد وجبت على إجابتهم . وحتى إذا لم يكن السؤال على  
جادة الشرع . قال الشيخ : وقد أباؤنا الحسن كلاما ضويلا .  
ورأيت فى غاية الأحكام .

### فصل (٢٣)

كان الشيخ الثامن هو المطين<sup>(١)</sup> :

روى الشيخ عنه أنه قال : كنت فى الكوفة أعمل وراقا ، وكنت  
أجمع كل ما اكتسب من الصنعة حتى يأتى أبو تراب إلى الكوفة  
وأنفقه عليه . وذات مرة تجمع لدى ستة عشر دينارا . وأتى  
أبو تراب مع جمع غفير . فنشرت ما معى تحت أقدامهم . ولم أحتفظ  
لنفسى بشيء .

وبعد ذلك مر على أبى تراب وصحبه ستة أيام لم يأكلوا شيئا .  
وفى اليوم السادس قال : كم يبيعون من الباذنجان بدانق ؟ قلت :  
ستين . قال : هل تستطيع أن تشتري لنا باذنجان بدانق ؟ قلت  
أجل . فذهبت إلى السوق ، وأحضرت مائة حبة من الباذنجان  
وطالب أبو تراب قدرا ونارا . وطبخ بيده .

---

( ١ ) المطين هنا هو الراوية . والحكايات التالية معصوم عن أبى تراب من حشبي . المترجم

وحينئذ (ص ١١٢) جاء مريد من مريديه : ورأى هذا الأمر ، فذهب وأحضر عدة ألوان من الطعام . فقال أبو تراب : كلوا أولاً من طعامنا : فأكل كل واحد حبتى باذنجن : ثم أكلوا الطعام الآخر . ولما فرغوا من الطعام قال ذلك المريد لأبي تراب : لى عندكم التماس قال : وما هو ؟ قال : أن تطلب ما تريد <sup>(١)</sup> قال : أريد قليلا من الدراهم .

فذهب ذلك الرجل وأحضر قليلا من الدراهم . وقال أبو تراب للمريدين هيثوا أنفسكم من هذه الدراهم ، ففعلوا وأنفقوا ما بقي على السماع . وفى هذا السماع غلب بحال على أحد مريدى أبي تراب ومات فيه . فاشتغلوا فى تجهيزه . ودفنوه . وكان أبو تراب واقفا على قبره ، وحينما وضعوه فى اللحد . قال أبو تراب : اكشفوا الكفن عن وجهه ، وحينما فعلوا ، ضحك فى وجه أبي تراب . فقال : أعيدوا الكفن على وجهه ، ففعلوا ثم وضعوا عليه الحصى <sup>(٢)</sup> والنقش ، وغطوه بالتراب ، وعاد أبو تراب ومريدوه من القبر فأحرم فى الحال وذهب إلى مكة .

يقول المطين : حينما وصلنا إلى منزل مليء بالرمل . نظر أبو تراب (ص ١١٣) ولم ير من رفاقه إلا إياى فسألنى : أين ذهب الرفاق ؟ قلت : عجزوا جميعا من الظمأ . وحين استمع إلى ذلك الكلام ،

---

( ١ ) هذه الجملة غير موجودة فى النص الفارسى وأغلب الظن أنها ساقطة ، فاضفها ليستقيم الأسلوب . المترجم

( ٢ ) ترجمت كلمة « بول » الفارسية بمعنى حصى ومعناها الحرفى النقود . اعتيادا من أن الكلمة تترجم أحيانا بالحصى ، الذى يوضع على الكنوز المدفونة لتعمية اللصوص . المترجم

قعد وجمع الرمل ووضع أصبعه فيه ، فانبثق الماء فملأت الركوة وارتويت ، وذهبت لرؤية الرفاق ، وأعطيتهم الماء ، فقوموا ثم نحقوا بأبي تراب وصاحوا قائلين : إننا جوعى ، فقال لهم أبو تراب : خلف هذا الجبل يسكن قوم يضيفون الناس ، فاذهبوا إلى هناك ، نقضى حاجياتكم . فذهب المريدون فأكرمهم واستضافوهم على اللحم والمرق ، وكانوا قد وضعوا على الشواء كبدا مشويا ، فجاء طائر يقال له الحداة ، واختطف هذا الكبدة ، أحضره إلى أبي تراب ، فأخذه وأكله .

وحين انتهى المريدون لحقوا بأبي تراب ، وقصوا الحكاية ، فقال أبو تراب : لقد شاركتكم ، أيضا : فقد أحضر ذلك الطائر كبدا مشويا . وأكلت جزءا منه .

ص (١١٤)

## فصل (٢٤)

قال الشيخ رحمه الله عليه : سمعت من أبي عمرو الأصطخرى<sup>(٢)</sup> قال : رأيت أبا تراب مغروسا في رمل البادية ، وكان قد أسلم الروح .

## فصل (٢٥)

روى الشيخ عن أبي بكر بن عاصم أنه قال : كنت ذات يوم في صحبة أبي تراب ، وكان في كل ساعة يقول لى : انك تصدع رأسك ، وتتعب نفسك ، فأنت لا تصلح إلا للقضاء .

---

( ١ ) انظر شد الأزار ٥٠ - ٥٢ المترجم .

وبعد ذلك حين وكلت بالقضاء كنت أقول دائماً : «إن الشروع في أعمال الدنيا والسير على نهج الصوفية لا يجتمعان معا » .

### فصل (٢٦)<sup>(١)</sup>

قال الشيخ : كنت أسمع كتاب «تعظيم قدر الصلاة » لمحمد بن نصر المروزي على بن أحمد القاضي ، وكلما قرىء باب ، كنت أقول : ليس هذا من كلام محمد بن نصر ، إنه كلامنا وقد قمشه ، بذات يوم سألت على بن أحمد تلاميذه : ماذا يقول أبو عبد الله ؟ (ص ١١٥) قالوا : يقول كذا وكذا ، قال : صدق ، فقد سمعت من محمد بن نصر قال : حين جمعت هذا الكتاب كنت أذهب كل يوم إلى الحارث المحاسبي ، وأدون أجوبة هذه المسائل من كلامه . وقال لي على بن أحمد : الرواية منا ، والكلام منكم ، وقال للتلاميذ : ما ظنكم في رجل يقول من تلاميذه من هو أعلم من محمد بن نصر .

### فصل (٢٧)

روى الشيخ على الحلواني<sup>(٢)</sup> أنه قال : تركت الجنيد ببغداد ، وذهبت إلى جبل لكام ، واتخذت مقامى هناك فترة ، ومات أحد الإخوان ، فجهزوه ، وحينما حان وقت الصلاة قالوا : ننتظر أبا القاسم ، فظننت أن في ذلك الجبل شخصاً يقال له أبو القاسم .

---

( ١ ) من هذا الفصل يذكر المؤلف حكايات جرت لأب عبد الله مع آخرين ولم يذكر أسماءهم في صدور الفصول . المترجم .  
( ٢ ) لم أجد عنه شيئاً : المترجم .

وحينما انقضت ساعة رأيت الجنيد : وقد خرج من بين الآجام ،  
وقد ارتدى صوفة يضاء ، وأمسك في يده بعضا : وكان يتلو القرآن :  
ويتلفت يمنة ويسرة . وحينما جاء صلى على ذلك الميت في الحال : ولم  
يمكث وعاد .

وخطر لى شيء ، وعزمت في الحال على الذهاب (ص ١١٦) إلى  
بغداد ، ولم أعرج على موضع قط ، حتى بلغت بغداد ، وقصدت  
دار الجنيد ، وحينما وصلت إلى داره : قرعت الباب ، فخرج الجنيد  
وقال : أهلا وسهلا ، تفضل ، أعمل أم مسألة ؟ قلت : رأيتك في  
جبل لكام ، وقصصت له ماجال في خاطري ، قال : ربما حدث لك سهو :  
ولم أكن ذلك الشخص بل كان آخر ، قلت : حذار ولا تقل هذا الكلام .  
وحينما رأى أنى لن أرجع عن قولى قال : عاهدنى ألا تقول  
هذه الحكاية لأحد ما دمت حيا ، قلت : أعاهدك على أن أفعل . قال : في  
تلك الليلة التى مات فيها ذلك الشخص خطر لى أنه فارق الدنيا .  
وأحببت أن أصلى عليه ، فاتخذت الطريق فى تلك الليلة وجرى الأمر  
كما رأيت .

### حكاية (٢٨)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أبي عالية الرباحى أنه قال : ظهر  
لى ذات مرة جرح فى قدمى . وكأنا أصابته جمرة ، نعوذ بالله من  
عذاب الآخرة وبلاء الدنيا ، وكان هذا الجرح يكبر يوما بعد يوم ،  
وقال الأطباء : إذا لم تقطع قدمك ، سرت العدوى فى أعضائك كلها  
(ص ١١٧) وأهلكتك ، وحينذاك تكون قاتل نفسك . قلت :  
إذا لم يكن بد من القطع فاحضروا شخصا يحسن الصوت حتى يتلو

تقرآن ، وحينما ترون أن أحوالى تغيرت ، وتصاعدت منى الزفرات  
تبتروا ، وهكذا فعلوا ، ووضعوا المنشار على القدم وبتروها دون أن  
يحس .

وحيثما عاد إلى وعيه سأله : كيف كان حالك ؟ قال : لقد  
غابت على محبة الله تعالى ، لدرجة أنني لم أحس ببتري قدمي . ثم حمل  
قدمه وقال : لو أن الله سألني يوم القيامة : ألم تسع قط هذه القدم  
في مكان لم أرضه لك ؟ لقلت : لا وربما قلت الحق لا الكذب .<sup>(١)</sup>

### فصل (٢٩)

قال الشيخ : لم ينم شاه الكرماني عدة سنوات . واتفق أن استغرق  
في النوم لحظة فرأى الحق تعالى في النوم :

رأيتك في المنام سرور قلبي فأحببت التنعس والمناما<sup>(٢)</sup>

(ص ١١٨) ويعنى بالبيت : لقد رأيت مرادى في النوم :  
وبنغت مقصودي ، والآن أنا أحب النوم لهذا السبب . وبعد هذه  
الحادثة كان يحب دائماً أن يروح في النوم .

(١) نسبت هذه الحكاية في كشف المحجرب إلى أبي الخير الأقطع (كشف-١٩٣) ، وفي  
-ناه علوم الدين ١-١٨٢ دون ذكر اسم ، وذكر الشاعر سنائي حكاية قريبة من دور حول إخراج  
رأسهم من جسد على بن أبي طالب رضي الله عنه أثناء الصلاة دون أن يحس . ( حذيقة الحقيقة  
ص ١٤٠ ) . المترجم .

(٢) كشف المحجوب : ١٣٨ ، ٣٥٣ . نامه دانشوران : ٣-٦٠٠ .

### فصل (٣٠)

قال الشيخ : لم أر أحدا قط يتحدث في المعرفة مثل أبي محمد ، وأكثر تحقيقا من أبي بكر الكتاني ، وصاحب وجدو حال مثل أبي العباس أحمد ، وزاهدا مثل أبي بكر الاصطخرى الشعرائي<sup>(١)</sup> ، ورجلا يجعل قوته من كسب يده ، ويحفظ شرائطه ، ويحتاط فيه بشدة مثل أبي محمد العتايدي .

### فصل (٣١)

قال الشيخ : ذات يوم طلب الحسن بن أبي الحسن البصري حبيبا العجمي ، فوجده في جزيرة ، فسلم عليه الحسن من الشاطيء الآخر ، فقال حبيب : وعليك السلام . تعال يا حسن ، فقال الحسن : ليست لدى القدرة على ذلك ، قال حبيب : سبحان الله ، إنني (ص ١١٩) تلميذك ، وتعلمت العلم على يديك ، وتقول لا أستطيع ؟! ، يا حسن أبعد حب الدنيا عن قلبك ، حتى تستطيع السير على وجه الماء بيسر .

وحين سمع الحسن هذه الكلمات بكى ، وقال : يا حبيب ، لقد أثر علمي في الآخرين ، وبفضلهم ألوا السمو الأسمى والمرتبة العليا ، ولكن لا أثر يذكر له على ، ولم يرفعني إلى تلك المرتبة ، يا حبيب : إني ألتمس منك الدعاء ، فقل : اللهم اغفر للحسن . فقال حبيب :

---

(١) نفحات ٢٢٧

مارأيت زاهدا متخليا عن الدنيا أصدق ظهرا من أبي بكر الشعرائي المترجم .



لهم اغفر للحسن . فلا تحرمنا يا إلهي من دعاء عبيدك المخلصين  
واحشرنا في زمرةهم .

### فصل (٣٢)

قال الشيخ : جاء أحد القضاة إلى أبي بكر بن عاصم وقال له :  
أريد أن تتحدث إلى بطرف من سيرة أبي تراب وسلوكه . قال :  
أبنا الأخ ليس من المستحسن ولاية القضاء ، وقول كلام الصوفية وسماء .  
(ص ١٢٠)

### فصل (٣٣)

قال الشيخ : قيل لليلى الديلمي<sup>(١)</sup> : إن أبا بكر بن عاصم ناصبي ،  
أي على باطل ، فقد قال بقول النواصب ، وأهمل في الحق ، فأرسل  
ليلى غلاما ، معه سيف وقال له : يجب أن تأتيني برأسه ، فجاء  
الغلام ورأى أبا بكر بن عاصم آخذا في رواية الحديث : فأدى الرسالة  
فرقد أبو بكر مبديا قفاه : وقال : تعال يا غلام باسم الله ، ونفذ الأمر  
وأد الرسالة ، وفي الحال وصل شخص وقال الغلام : يقول لك الأمير ،  
دعه في مكانه فنهض أبو بكر وأخذ في إملاء الحديث ، والحاضرون  
يتعجبون من ذلك .

### حكاية (٣٤)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أبي بكر بن عاصم قال : كنت  
أسير في السوق مع أبي العباس بن سريج وكنت أتحدث قائلا ، في

---

(١) ليلى بن النعمان الديلمي : انظر ابن الأثير ٨ - ٤٠ المترجم .

ترك الدنيا منافع كثيرة . وأعظم منافعها أنه يرد النفس عن متابعة الهوى . وحين تتوقف النفس عن متابعة الهوى يضيء القلب .  
( ص ١٢١ )

### حكاية ( ٣٥ )

روى الشيخ : حدثنا أبو عبد الله بن الفضل ، حدثنا أبو عبد الله القاضى المحاملى قال : كان لأبى صديق شديد الإنكار للصوفية ، ثم رأيت إنكارهم قد ذهب من قلبه . فتعهد بخدمتهم . وكان يعدها غنيمة دهره . ونشر تحت أقدامهم كل ما كان قد جمع من الدنيا .

وذات يوم سألته ماذا كان سبب هذا الإنكار ؟ وما هو سبب هذا الاعتقاد ؟ قال : كان ذلك الإنكار خطأ . قلت : قل إذن السبب ؟ قال : قمت بصلاة الجمعة فى مدينة بغداد ، وخرجت من المسجد . فرأيت بشرا الحافى قد خرج من المسجد ، وأخذ يسير على عجالة ، فقلت فى نفسى : إنهم يعتبرون هذا الرجل من أولياء الله تعالى ، وهو لم يقم بعد صلاة الجمعة بشيء من الأوراد ، ولم يتوقف ليصلى ركعتين أو ثلاثا ، وكنت أتحدث بهذا الأمر إلى نفسى وأنا أقتنى أثره ، حتى أرى إلى أين يذهب ، فرأيت أنه ذهب إلى السوق ، واشترى كثيرا من الخبز والشواء والحلوى ، واتخذ طريقه إلى الصحراء فازداد إنكارى وقلت : سوف يذهب للتريض والنزهة : ( ص ١٢٢ ) ، فغذيت السير لأرى أى قوم أصحابه ، فلا يمكن أن يكون دون صحاب وخلان ، وأخذ يسير وأنا أسير فى أثره .

وعند صلاة العصر وصلنا إلى قرية . ودخل بشر إلى مسجد تلك قرية ، وكان في المسجد مريض نائم : فجلس بشر أمام ذلك المريض ، وأخذ يسأله وهو يسنده ، <sup>(١)</sup> ثم قال : أعلم أنك جائع ، قال المريض : أجل . فأخذ بشر يضع اللحم والخبز في فمه لقمة لقمة ، وهو يأكل حتى أطعمه كل الخبز واللحم ، ثم أطعمه تلك الحلوى قطعة قطعة ، فعادت من باب المسجد ، وذمبت وسط القرية ، لأرى أى قرية تلك ، فلم أكن قد رأيتها قط ، ثم عدت على الفور إلى المسجد . وحينما بلغته رأيت المريض وكان بشر قد ذهب ، فسألت المريض : أين ذهب بشر ؟ قال : ذهب إلى بغداد ، فوقع لي في قلبي شيء ، فسألت المريض : كم يبلغ الطريق من هنا إلى بغداد ؟ قال : أربعين فرسخا ، قلت : الله أكبر فقد نصبت عيشي ، فلا قدرة لي على الذهاب ماشيا . وليس بومعي أن أستاذجر دابة فبقيت حائرا : إذ لم تكن القوافل تسير أيضا .

فقال ذلك المريض : ماذا حدث لك فقد بقيت حائرا ، فرويت له القصة من أولها إلى آخرها ( ص ١٢٣ ) قال : أيها الأخ لا تحزن واحبر أسبوعا ، ففي الجمعة القادمة يأتي بشر ثانية إلى ، وسوف أسلمك له ، حتى يوصلك إلى بغداد في ساعة أو ساعتين ، فمكثت حتى الجمعة التالية ، فوصل بشر في صلاة الظهر <sup>(٢)</sup> ، وكان معه كعاده الخبز واللحم والحلوى ، فأطعمها لذلك المريض ، وحين انتهى من ذلك ، ظهرت لهما

(١) في النص الفارسي : وجئت . . . يرد وترجمتها الحرفية وهو يحناه . المترجم .

(٢) لعلها هنا العصر وحدث خطأ في النص الفارسي وقد نقلناها كما هي . المترجم .

وحينما وقع بصر المريض على : قال لبشر قصتي . وحكى له عن أحوالي  
ثم قال إكراما لي . رده إلى بغداد فهو غريب حائر مضطرب . فنظر  
بشر إلى غاضبا وقال : لماذا كنت تتبع عني ؟ قلت : لقد أخطأت فاغفر لي ،  
فقال : انهض واتبعني .

وأخذ يمشي وأنا في إثره . وحينما كان الغروب وصلنا بغداد  
فقال لي : اذهب بسلامة الله . ولا تفعل هذه الفعلة بعد ذلك .

ومنذ ذلك الوقت ، تبث وأخذت أخدم هذه الطائفة ، ونشرت  
تحت أقدامهم كل : أملك  
( ص ١٢٤ ) .

### حكاية ( ٣٦ )

روى الشيخ : ولد للجنيد ابن في ليلة كان المطر ينهمر فيها مدارا ،  
ولم يكن في منزله شيء قط . مما تحتاج إليه النساء والأطفال :  
ومن شدة المطر كان كثير من الماء قد تسرب إلى داره ، فحمل الجنيد  
قدرا ، وأخذ بنفسه هو وجاريته يزيلان الماء من الدار ، ويحملانه خارجا ،  
ويصبانه .

وحينما طلع النهار ، كان مع امرأة الجنيد درهمان ، ( أعطته إياهما )<sup>(١)</sup>  
وقالت : خذ هذين . واشتر ما هو ضروري لنا وائتمني به : فنهض  
الجنيد وخرج من الدار . وأخذ جاريته معه ، وحينما كانا يسيران في  
الطريق صادف جارية تبكي ، فسألها الجنيد : ما يبكيك ؟ قالت :

---

( ١ ) لا يوجد ما يقابلها في النص الفارسي ووضعها ليستقيم الأسلوب . المترجم .

عُطِنِي سِيدِي قَرَارُصَةً<sup>(١)</sup> وَقَالَ لِي : اذْهَبِي فَاشْتَرِي بَعْضَ الزَّيْتِ فِي هَذِهِ الْقَارُورَةِ ، وَآتِينِي بِهِ ، وَالْآنَ وَقَدْ اشْتَرَيْتِ ، سَقَطَتِ الْقَارُورَةُ مِنْ يَدِي ، فَكَسَرَتْ ، وَسَالَ الزَّيْتُ . وَأَنَا خَائِفَةٌ وَلَا أَجْرُؤُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى سِيدِي ، فَأَخَذَ الْجَنِيدُ هَذِهِ الْجَارِيَةَ مَعَهُ . وَاشْتَرَى لَهَا بِالْدَّرْهَمَيْنِ اثْنَيْنِ كَانَا مَعَهُ قَارُورَةٌ وَبَعْضُ الزَّيْتِ . وَقَالَ لَهَا اذْهَبِي فِي سَلَامَةٍ اللَّهُ ، قَالَتِ الْجَارِيَةُ : أَتَمَّ جَمِيلُكَ ( ص ١٢٥ ) قَالَ : وَمَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَتْ تَحْمَلُ قَلِيلًا مِنَ التَّعَبِ وَتَعَالِ مَعِيَ إِلَى سِيدِي . وَقُلْ لَهُ مَا حَدَّثَ لَأَنِّي مَازَلْتُ خَائِفَةٌ . فَذَهَبَ الْجَنِيدُ مَعَ الْجَارِيَةِ إِلَى سِيدِهَا وَتَشَفَّعَ لَهَا ، وَقَصَّ لَهُ مَا جَرَى لَهَا وَعَادَ .

وَقَالَ لَجَارِيَتِهِ : اذْهَبِي أَنْتِ وَأَنَا قَادِمٌ ، وَذَهَبَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَجَلَسَ ، فَقَالَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ : لَا وَجْهَ لَجُلُوسِكَ فِي الْمَسْجِدِ ، فِي يَوْمٍ عِنْدَكَ فِيهِ هَذَا الْأَمْرُ ، فَقَالَ لَهَا الْجَنِيدُ : اذْهَبِي أَنْتِ وَاسْكُنِي فَأَنْتِ لَا تَعْلَمِينَ ، ثُمَّ جَلَسَ الْجَنِيدُ فِي الْمَسْجِدِ حَتَّى الظُّهْرَ . فَعَادَتِ الْجَارِيَةُ إِلَيْهِ قَائِلَةً : انْهَضْ يَا سِيدِي وَتَعَالِ ، فَقَدْ جَلَسَ الْحَمَالُونَ يَنْتَظِرُونَكَ مِنْ أَوَّلِ الْحَارَةِ إِلَى آخِرِهَا ، فَانْهَضَ الْجَنِيدُ وَجَاءَ إِلَى الدَّارِ ، فَرَأَى عِدَّةَ حَمَالِينَ ، وَقَدْ أَحْضَرُوا كُلُّ مَا يَلْزَمُ مِنْ حَاجَاتِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ، وَكَانَ مَعَ الْحَمَالِينَ رَجُلٌ مَعَهُ رَقْعَةٌ كَتَبَ فِيهَا : عَلِمْتُ بِالْأَمْسِ أَنَّهُ قَدْ وَلَدَ لَكَ ابْنٌ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ هَذَا مَقْبُولًا لَدَيْكَ .

وَمِنْ جُمْلَةٍ مَا أَحْضَرُوا مِنْ حَاجِيَّاتِ ( ص ١٢٦ ) كَيْسَ فِيهِ خَمْسُمِائَةِ دِرْهَمٍ ، فَقَالَ الْجَنِيدُ لَجَارِيَتِهِ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ اسْكُنِي فَأَنْتِ لَا تَعْلَمِينَ . فَأَنْتِي تَعَامِلِينَ سِيدِكَ فَعَامِلِيهِ هَكَذَا حَتَّى يَأْتِيكَ النِّفْعُ .

### فصل (٣٧)

روى الشيخ رحمة الله عليه : كان في مصر غلام صفار . وكان يقوم  
بخدمة ذى النون فانقطع عن خدمته فترة وتساءل ذو النون عن أخباره  
ف قيل له : إنه يقوم الآن بالتجارة ، وقد شغلته .

واتفق لدى النون أن رأى ذلك الغلام في الطريق فقال له : أرجو أن  
تأتيني بعدة لآلئ صغيرة حتى أشتريها منك ، فقال : سمعا وطاعة ، ثم  
حمل إليه عدة لآلئ . فوضع عليها ذو النون بعض المحاليل حتى لانت  
وجلس على حافة بركة . وألقى بها في فم سمكة ، ولم يأكل شيئاً لمدة  
أسبوع ، وبعد أسبوع أخذ تلك السمكة ، وشق بطنها ، فأخرج منها  
ثلاث لآلئ كبيرة ، وأعطى إحداها للغلام ، وقال : احملها ( ص ١٢٧ )  
إلى الجوهريين يقيّمونها ، فحمل الغلام تلك اللؤلؤة إلى الجوهريين ،  
فتمنّوها بعشرة آلاف دينار ، ثم أعطاه الاثنيتين الآخرين ، وقال :  
خذ هاتين أيضاً ليقيّموهما ، فأخذهما الغلام ، وقيل له : قيمتهما أكثر  
من الأولى ، فأعطى ذو النون اللآلئ الثلاث للغلام ، وقال له : ضعها  
في هاون ، واصحنها ، وذرها مع الريح ، وكان الغلام ذكياً ، فعلم أن  
هذه إشارة إلى أن الدنيا والتجارة فيها لا يساويان شيئاً ، وعاقبتهم  
أدراج الرياح ، وينبغي الاشتغال بالآخرة وتجارة الآخرة . فنفذ ما أمره به  
ووضعها في هاون ، واصحنها ، وذراها مع الريح وهجر التجارة وعاد  
لخدمة ذى النون <sup>(١)</sup> .

### فصل (٣٨)

روى الشيخ رحمة الله عليه : سمعت من المشايخ ، أن أعظم كلام  
قوله بشر في التوحيد هو : من كان في توحيده ناظرا إلى نفسه ، لم  
ينج توحيده من النار .

وتحقيق هذه الكلمة أن كل من هو في مقام التوحيد : ( ص ١٢٨ )  
ينبغي أن يقطع نظره عن كل ما سوى الله ، وكان بشر ينشد هذا  
البيت في شأن أحواله :

أموت وما ماتت إليك صبا بتي : ولا رويت من صدق حبك أوضارى<sup>(١)</sup>

ويعنى بالبيت : أن النفس قد ماتت ، ولكن شوق إليك حي : ولا  
يرتوى المحب أبدا من رؤية المحبوب<sup>(٢)</sup> .

### فصل (٣٩)

سأل أحد الناس الشيخ ذات مرة : ما هو آخر مقام أشار إليه  
أهل هذه الطائفة ؟ فأجاب الشيخ : هذا سؤال خاطيء ، ذلك أن نهاية  
المقامات هي ما وصل إليها كبار الصحابة ، ويعلم آخر مقام نؤمن ذلك  
الذي ربما وصل إليه . ولم يصل أحد قط إلى مرتبتهم . فقال السائل :  
فقل الآن ما وضع لك من أحوال الأولياء ، فأجاب الشيخ : حتى  
بفرغ القوم من الطعام .

---

(١) باللغة العربية في النص

(٢) كتاب التلويح ٣٦٨ والبيت لدى النون

## البَابُ السَّابِعُ

في ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا في فارس

ولحق الشيخ بهم وصحبهم

### فصل (١)

(ص ١٢٩) .

يقول الشيخ : كان أحمد بن يحيى<sup>(١)</sup> أول شيخ صحبتته ، وذات ليلة كانت لي معه صحبة ، وكان كل المشايخ يقومون بالسماع ، وقد أشعلوا نارا ، وأصابني أحمد بن يحيى حالة من الوجد . فالتقط من بين النار جمرتين ، ووضعهما في كفه ، ونشر كفه عليهما ، وقال لغلام تعال معي . وكنا نرى ومض الجمرتين من فوق القميص ( ص ١٣٠ ) وبعد ساعة سقطت هاتان الجمرتان وقد تفحمتا . وذهب أحمد إلى المسجد وأخذ يصلي حتى الصباح<sup>(٢)</sup> .

قال الشيخ : رأيت كثيرين من أصحاب الوجد ، ولكني لم أر قط صاحب حال مثله<sup>(٣)</sup> .

---

(١) أبو العباس أحمد بن يحيى : انظر شد الأزار ١٣٧ : ١٣٨ . المترجم .

(٢) نفحات ( ص ١٤٤ ص ١٤٥ ) : وهي أكل وأكثر وضوحا من النص الذي بين : يدينا : كنت ذات ليلة مع الشيخ أحمد بن يحيى ، وكان بيننا صبي من أصحابه ، كان ينبغي عليه أن يذهب للنوم في منزله ، وكان الوقت شتاء . . . فقال بعض أصحاب : من يوصل هذا الصبي فلانا إلى منزله ، فلم يجب أحد ، فأخذ أحمد ابن يحيى جمرتين كبيرتين في كفه . . . إلى آخره .

(٣) ما رأيت واجدا متحققا في وجده على السرمدية مثله . شد ١٣٨



## فصل (٢)

قال الشيخ أعد جماعة من المريدين مجلسا للسمع . وجلس أحمد بن يحيى في صُفَّة ، وأبو بكر بن زيد في أخرى . كل مع مريديه . وحين أخذ القوم في الغناء نهض أحمد بن يحيى وأخذ يدور حول نفسه كعادة تصوفية . وقال أبو بكر بن زيد شيئا في هذا الحال لمريديه وضحك ، فحمل أحمد بن يحيى قاعدة المصباح . ورماه بها بحيث أصابته ، فتغير أبو بكر بن زيد وغاب عن وعيه . وحينما أفاق قال له أحمد : حين تجالس الدراويش احفظ الأدب<sup>(١)</sup> .

## فصل (٣)

(ص ١٣١)

قال الشيخ قدس الله روحه : جرى نقاش ذات ليلة بين أحمد بن يحيى والجعدى . فقال أحمد : قم بنا إلى المنزل . وحين ذهبوا إلى منزل أحمد ، كانت هناك نار ، فالتقط أحمد قطعة منها . ووضعها في كفه ، ووضع عليها بعض العود والبخور . وقال للجعدى : أقبل وبخر رأسك بهذا العطر ، فقال الجعدى : واعجبا إنها لا تحرق يدك ، فترك أحمد النار في كفه . حتى احترق العود كله . وخمدت النار . فألقى بها .

---

(١) 82 b AS 1136 : حكى عن أبي عبد الله بن خفيف أنه قال : حضرت مع شيخ أحمد بن يحيى الجلاء ( المترجم : هنا خلط ) في دعوة شيراز فاتفق فيها سماع خطاب وقت الشيخ وقام يتواجد ويدور ، وكان في صُفَّة قوم من أبناء الدنيا ، فبسم واحدمهم ، فأخذ الشيخ مسدرة كبيرة أدت هناك فرماه فأصابته الجدار فانغمرت أرجلها الثلاث في الحائط .

## فصل (٤)

قال الشيخ : أقام أحمد بن يحيى في صحن الجامع ، وكان يصلي حتى طلوع الصبح ، كما كان يصلي الصبح على نفس الوضوء الذي صلى به صلاة العشاء<sup>(١)</sup> .

## فصل (٥)

(ص ١٣٢)

روى الشيخ رحمة الله عليه عن أحمد بن يحيى قال قصدت العراق ، وأردت أن أرى المشايخ ، فرأيت سهلاً في تستر<sup>(٢)</sup> ، فقال : إلى أين العزم ؟ قلت : إلى بغداد ، أريد أن أرى المشايخ ، واستفسر منهم عن بعض الأشياء . فقال سهل : أنا أيضاً عندى بعض المشكلات ، وأريد أن تسأل المشايخ عنها . ثم خرجت من تستر<sup>(٣)</sup> ، وذهبت لرؤية أبي يعقوب النهر جورى .

قال الشيخ : كان من عادة أحمد أن يرتدى رداءً أبيض في السفر والحضر ، ويتزيا بزي التجار .

وروى أحمد : أقمت أسبوعاً في مسجد أبي يعقوب تحت السلم ، ولم أكن أخرج إلا من أجل الوضوء ، وبعد هذا الأسبوع ذهب قيمٌ

---

(١) 83-a AS, 1136 : وكان قد صلى ثلاثين سنة صلاة الصبح بوضوء العشاء .

(٢) المقصود سهل بن عبد الله التستري : ولم ترد كلمة تستر في النص الفارسي وبدلاً منها وردت « بيشتَر » ومعناها أغلب ولا يستقيم المعنى . والجزم أنها تستر ولم تستطع الناشرة تحقيقها . المترجم .

(٣) هنا بيشتَر أيضاً . المترجم

نسجد. وقص الأمر على أبي يعقوب وقال : أتى رجل منذ سبعين سنة ،  
ونخذ من المسجد مقاماً ، ولا يأكل شيئاً . فقال له أبو يعقوب :  
ذهب وراقب حاله ، وسله عن اسمه ، فأتى القيم ، وتأكد من أحواله .

وقال الشيخ : اسمي أحمد من جملة أئمة خراسان<sup>(١)</sup> . فذهب  
وأخبر أبا يعقوب ، فنهض أبو يعقوب ، وأتى لرؤية أحمد ، وأكثر  
( ص ١٣٣ ) من الاعتذار له ، وطلب الإذن بان يرسل أحداً إلى السوق ،  
ليحضر طعاماً فلم يأذن أحمد .

قال أحمد : فنهضت وذهبت إلى السوق وكان معي رداء بعته  
واشتريت شيئاً من الطعام ، وجئت به للصحاب ، وقلت : شاركوني  
كرماً منكم ، فأجابوا دعوتي وشاركوني ، وكان هذا يوم الخميس ،  
وصلت الجمعة . وعزمت على السير ، وجاهد أبو يعقوب ليستبقيني  
بضعة أيام . فلم أقبل .

وحينذاك اكرى لي مكاناً في سفينة ، وأودع الربان أنواع الطعام  
من خبز ولحم وحلوى ، وقال : قم له بكل ما يلزمه من خدمة ، وأوصى  
الربان وصية بليغة قائلاً : ينبغي لك أن تغنم صحبتي ، وأن تقوم بكل  
ما تقتضيه خدمته . وحين حان وقت الطعام ، أحضر الربان هذه المأكولات  
أمامي فسألتني : من أين هذه ولمن ؟ قال : هي لك قلت : أهنأك مأكولات  
أخرى ؟ قال : نعم ، فقلت له : أحضرها فأحضر الربان ما كان لديه  
بأجمعه .

---

( ١ ) النص الفارسي هنا مضطرب ترجمته الحرفية : فقال الشيخ : اسمي أحمد من جملة  
أئمة خراسان فأنى القيم ، وتأكد من أحواله وأغلب الظن أن هناك خطأ في ترتيب "سور" المترجم.

(١) حينذاك صاح أحمد : ودعا كل من كان في السفينة ،  
(ص ١٣٤) وأطعمهم هذه الأطعمة ، وبعد ذلك مرت على أحمد خمسة  
عشر يوما لم يأكل فيها شيئا .

(٢) وحينما وصلت إلى بغداد . أشاع رفاقي في المدينة قائلين :  
بيننا رجل له سيرة الملائكة : فهو لا يأكل ولا يشرب . وتجمع أهل  
بغداد حولنا ، وسألوني : لأي أمر أتيت ؟ قلت : أريد أن أرى المشايخ :  
الجنيد . ورويم وأمثالهما . فقالوا أدخل هذا البستان فرويم هناك ،  
ورأيت رويم . وسلمت . فأكرمني كثيرا ، ثم قال : هات ما عندك  
من مسائل . فعرضت عليه الأسئلة .

فقال : هل رأيت الجنيد ؟ قلت : لا ، قال : ابدأ به . فذهبت  
إليه . وألقيت عليه بالأسئلة . وأملى على جوابها . ثم عدت إلى رويم ،  
وأردت أن أقرأ عليه الأجوبة التي أملاها الجنيد ، فقال : هات  
الأسئلة ولا تذكر الأجوبة . فأخذت أسأل رويم يجيب . فرأيت  
أجوبة الجنيد كما في جدول . وأجوبة رويم كنهر جار .

وبعد ذلك توجهت إلى سهل ثانية ، وحينما وصلت إلى منزله ،  
رأيت رجلا فقلت له : أريد أن ( ص ١٣٥ ) أرى سهلا ، قال :  
لن تستطيع أن تراه . قلت : أنا محتاج إليه ، فأخذني إلى الدار ،

---

( ١ ) هنا تنتقل الحكاية من صيغة المتكلم إلى صيغة الغائب ، وهذا أسلوب شائع في الكتاب  
لعله من خطأ المترجم الفارسي عن الأصل ، ولذا أثرت أن أبدأ فقرة جديدة وليست كذلك في النص  
الفارسي . المترجم .

( ٢ ) عدد الكاتب إلى صيغة المتكلم ثانية . المترجم

فرأيت سهلا عاجزا هلعاً كخرقة في مهب الريح ، فسألت ذلك الرجل :  
ما حدث ؟ قال : مر به شخص ورفع صوته بآية من القرآن . فحدث  
له ما ترى ، فمكثت ساعة حتى استرد وعيه . وقرأت عليه أجوبة الأسئلة ،  
فقال : سهل : لا يمكن أن يقال أفضل من هذا .

### فصل (٦)

قال الشيخ : مرت عدة أيام على أحمد بن يحيى لم يأكل فيها  
شئاً ، فقال ذات يوم لمريده : اذهب وأحضِر رغيفين : وبعض  
حساء الباقلاء . فذهب ذلك المريد وأحضِر قدرا كثيرا من خبز  
الحوارة واللحم والبيض . وحين رأى أحمد هذا الطعام . قال : لم  
نحضر ما طلبت ، وقام وذهب إلى دكان عبد الله القصار . وأسند ،  
ظهره على حجر . وكنت أرقبه . وكان ذهب في النوم ، فأثرت  
نعمد الله القصار : إن كان قد بقى عندك شيء من الخبز القديم ،  
وحساء الباقلاء فأحضره . فأحضِر عبد الله ما بقى ، فأكل أحمد  
بعضه .

(ص ١٣٦) .

### فصل (٧)

قال الشيخ : ذهبت ذات ليلة لزيارة أبي بكر الشعراني . قال :  
يا أبا عبد الله ، الليلة نأكل لقمة دسمة ببركتك . ووضع القدر على  
النار ، ووضع فيها قطعة من الكبد وطبخها . وهشم في حسائها بعض  
الخبز . ووضع عليه الكبد ، وكنت آكل الثريد ولا آكل الكبد . قال :  
لماذا لا تأكل ؟ لعل بك رغبة إلى طعام آخر . سأعد من أجلك  
شئاً طيباً في الغد . وفي اليوم التالي أعد عنه . وحضر جماعة من

الصحاب ، وتناولنا ذلك الطعام ، وحين انتهينا منه . عدت إلى شيراز ثانية .

قال الشيخ : ما رأيت زاهدا جرد نفسه من علائق الدنيا مثله .

### فصل (٨)

قال الشيخ : ذهبت مرة أخرى إلى أبي بكر الشعراني ، وكان يرتدى قميصاً قديماً ، ويعتّمُ بعمامة مهترئة ، ولم يكن يقبل شيئاً من الخلق قط ، وكانت بيننا محبة عظيمة ، وحيناً أردت أن أودعه ، وأترك مجلسه . أعددت ثوباً وعمامة وإزاراً . ( ص ١٣٧ ) وذهبت إليه وقلت : إني عازم على الذهاب ، وحين خرجت من شيراز ، لم يكن لي غرض آخر سوى رؤيتك : وأريد الآن أن تقبل هذا الثوب مني تبركاً . قال : إني أرتدى واحداً . قلت : إن إكرام خواطر الدراويش من جملة القربات ، وحين قلت هذا قبله مني وارتداه ، ودعاني . فغلبني البكاء عليه ، وظهر له هو الآخر وقت ، فردعته وخرجت ، وتعجب المشايخ لأنه قبل هذا الثوب مني .

### فصل (٩)

قال الشيخ الشعراني : جاء أحمد بن يحيى ومؤمل وأبو الضحاك إلى اصطخر لزيارة أبي بكر الشعراني ، قال مؤمل : هذه ساعة الإفطار ولا نستطيع أن نراه فلنصبر إلى أن ينتهي من صلاة العشاء ، ويؤدي وظائف العبادة .

---

( ١ ) نحت ٢٣٧ : ما رأيت زاهدا متخلياً عن الدنيا أصدق ظاهراً من أبي بكر الشعراني وبقية الحكاية سبق الأصل .

وبعد صلاة العشاء ، ذهبوا إليه فالتفت إلى أحمد بن يحيى وقال : ألا تستحي من الله تعالى ، وأنت تتخذ من مدينة الخوارج دار إقامة ، وتأكل طعامهم ، ثم تظهر الوجد والسماع ؟

وكان أحمد صامتا لا ينبس . ثم نظر إلى (ص ١٣٨) أبي الضحاك وقال : سمعت أن تسبيحك « الحمد لله » وأولى لك أن تشتغل بكلمة الاستغفار . والتفت إلى مؤمل ، وقال : سمعت أنك تتحدث في التوحيد ، فقال مؤمل : وأين أنا من ذلك ؟ أنا رجل مشغول بالكسب وحين سمع منه ذلك ورآه في مقام العجز ، صمت .

روى الشيخ : من كثرة ما أَلَمَ بأحمد بن يحيى وأبي الضحاك من تعب ، غلب عليهما النوم فناما فالتفت أبو بكر إلى مؤمل وقال : هذا نوم المحبين .

قال مؤمل : كان معي رمانة ، كسرتها ، وأعطيت نصفها ، فأكلها ، وجهدت أن أعطيه نصفها الآخر ، فلم يقبل ، ونهض . وأخذ يصلي حتى الصباح

### فصل (١٠)

قال الشيخ : ما رأيت أحداً كان يحفظ شرائط الكسب ، مثل أبي محمد العتايدي ، كان يكسب كل يوم نصف دنانق ، ينفق بعضه على نفسه ، ويتصدق ببعضه على الفقراء<sup>(١)</sup>

---

(١) نفحات ٢٣٨ : وكان قوته مائة دينار من نخالة كان يشتريها ويصنع منها رغيفين يفطر على أحدهما ويتصدق بالآخر .

(ص ١٣٩) .

## فصل (١١)

قال الشيخ : كان من عادة الدراويش : أن يفطروا كل ليلة في منزل أحد الصحاب . ولم يكن أبو محمد يشاركهم في هذا الأمر ويسمح لأحد بالمجيء إلى منزله .

وذات ليلة نهض أبو محمد . وأخذ يسير إلى الدار ، والدراويش يسرون في أثره ، وحينما وصلوا إلى باب الدار فتح الباب مضطرا ، ودخل الدراويش ، فرأوا منزلا خربا مليئا بالتراب والحصى ، لافرش مملودة ولازراي مبثوثة : وحينما رأوا حاله هذا رغبوا في الخروج لتوهم . ولكنهم كانوا يخشون العسس ، فمكثوا مضطرين .

ثم رغبوا في الذهاب إلى المسقى ليجددوا وضوءهم . وحينما وصلوا إلى باب المسقى رأوا عنكبوتا قد نسج خيوطه على الباب وكأن أحدا لم يدخله منذ فترة ، وحينما رأى الدراويش أن حال أبي محمد ومقامه هكذا ندموا وخرجوا . وأبقوا أبا محمد بعد ذلك في مجالسهم (ص ١٤٠)

## فصل (١٢)

قال الشيخ رحمه الله عليه : كان أبو محمد ذاهبا إلى مكة ، وكان معه درهم أو درهمان ، فاشتري بها بعض الزاد وإبريقا ، واستأجر بعيرا ، وحينما وصل إلى مكة باع ماتبقى من الزاد بأربعة دراهم ، ودفع أجر البعير .



### فصل (١٣)

قال الشيخ رحمه الله عليه : ذهبت ذات يوم لزيارة أبي محمد ، وكنت الفئران قد ثقتبت الرداء الذى ألبسه . قال أبو محمد : هذه الثقوب التى فى ثوبك من فعل الفئران ؟ قلت : أجل ، أنا أيضا ضائق من الفئران ، فهى تسرع طوال الليل إلى الصباح وتمزق الثياب . قلت : لماذا لا تشعل مصباحا ، إذ أنها تقلل من الخروج حين ترى نور المصباح قال : منذ أربعين سنة وأنا لا أملك مصباحا ، إذ تدمر أشياء كثيرة حتى يشتعل المصباح <sup>(١)</sup> .

(ص ١٤١)

### فصل (١٤)

قال الشيخ رحمه الله عليه : كنت جالسا ذات يوم مع أبي محمد . وكانت شعرة واحدة قد أطلت من محاسنه . فمد يده وسواها حتى استبت مع الشعيرات الأخرى . ثم استغفر بعد أن فعل وكرر الاستغفار ، قال الشيخ فسألته : ما سبب هذا الاستغفار ؟ قال : ألم تر أنني سويت شعرى من الغفلة وتسوية الشعر زينة للنفس وكل من يزين نفسه ويكون فى قيد ذلك ، يكون غافلا كبيرا ولهذا استغفرت .

### فصل (١٥)

قال الشيخ : قال لى مؤمل ذات يوم : اذهب وراقب أحوال جعفر الحذاء ، وانظر كيف يقضى أوقاته . فذهبت إلى جعفر ،

---

(١) نفحات ٢٣٨ : . . . إذ أخشى حسابه . فينبغى أن يتيمر بضع أشياء ولكلها حساب .

فرأيت دارا في غاية الحسن والجمال ، ووجدت بسطا وفرشا في غاية الجودة واللفظ ، ورأيت شخصا قد دخل ومعه (ص ١٤٢) وسائل المطبخ كما هي عند المتنعمين : فنهضت وقال جعفر : امكث قليلا حتى نتناول معا خبزا وملحا . فقلت إني صائم ثم عدت إلى مؤمل ، ورويت له الحال كما رأيت : فرفع مؤمل وجهه إلى السماء وقال : يا إلهي دبنا السلامة والعافية معا .

وبعد مدة قال مؤمل : يا أبا عبد الله ، اذهب مرة أخرى ، وانظر أحوال جعفر ، وحينما ذهبت ، وسألت عن أخباره قيل لي : لقد وقع الخراب في هذا الدار ، ومرت عليه عدة أيام لم يأكل فيها شيئا . فدخلت الدار ، ورأيت ساجدا فسلمت فرفع رأسه ، ونظر إلى ، وقد تندى ما حول عينيه من الدمع .

قال : أيا عبد الله كيف ترى أحوالي ؟ فأخذت أتحدث إليه مواسيا ، وكان جيرانه قد رجوني قائلين : توسل إليه أن يأكل شيئا فمنذ عدة أيام (ص ١٤٣) لم يذهب طعام إلى جوفه قط . فجاهدت كثيرا حتى أطعمته شيئا : ثم نهضت وعدت إلى مؤمل : ورويت له الحال كما رأيت قال : لو كان قد أبقى تلك النعماء ، ما ابتلى هذا الشقاء <sup>(١)</sup> .

## فصل (١٦)

روى الشيخ عن جعفر الحذاء قال : جاء أبو عمرو الاصطخري إلى شیراز ، وكان أبو الضمحاك معه واتفق أن اجتماعنا : فنأدى

فجأةً بائعا جوالا ، كان يبيع الحبة الخضراء الطازجة ، فنادى أبو عمرو البائع ، وقال له : كيف تبيع ؟ فقال الخمسة أُرطال بدانق . فالتفت إلى وقال : أتستطيع أن تحصل على دانق حتى ندفع ثمن هذه الخضرة ؟ فنهضت : وطففت بالسوق كله . ولم يتعطف على أحد قط بدانق ، فعدت وقلت : طوّفت كثيرا ، والتمست ، ولم يعطني أحد ، فاعتذر أبو عمرو للبائع كثيرا ، وصرفه والتفت إلى وقال : لهذا السبب هرب أبو محرز من الدنيا في آخر عمره .

( ص ١٤٤ )

### فصل (١٧)

قال الشيخ كلما كان هشام بن عبدان يؤدي الصلاة كان يستغرق في عالم الملكوت ، وتنفي عنه أوصاف البشرية ، ويدور في المحراب ، وكان اليهود والنصارى يتفرجون عليه ويتسلون برؤيته حين كان يقوم للصلاة<sup>(١)</sup>

### فصل (١٨)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كان لهشام شاة ، فكان يأكل من لبنها ، ويقنع بذلك .

وذات ليلة نام هشام . فذهبت إلى مزرعة أحد الناس وأخذت ترعى ، فنهض هشام من النوم ، ورأى شاته تأكل من زراعة آخر ، فأمسك بالشاة ، وحملها إلى صاحب المزرعة وأعطاه إياها وقال : هذه الشاة أكلت زراعتك ، وصارت حراما على ، فمالك حرام على .

فقال صاحب المزرعة : خذ شاتك واذهب بها فليس بي حاجة إليها ،  
وقد حلت لك ما أكلت ، فلم يقبل هشام وترك الشاة في مكانها  
ومضى <sup>(١)</sup>

(ص ١٤٥)

### فصل (١٩)

قال الشيخ : حضرنا مع هشام وليمة ، فأحضر صاحب الوليمة  
طبقاً من الحلوى ، ووضعه أمام هشام . وقال له : كل . فأشرنا إليه  
أن اعطنا نصيباً من هذه الحلوى ، فقال : لقد أعطاني صاحب الحلوى  
الإذن بالأكل ، ولم يعطني الإذن بالعطية . فأخذ الحاضرون يتخطفون  
منه الحلوى مازحين ويأكلونها <sup>(٢)</sup>

### فصل (٢٠)

روى الشيخ : ذهب هشام ، مع جماعة من أصحابه إلى طاحونة  
محمد بن الليث المائية للنزهة ، فأكلوا ما كان معهم ، ثم اشتغلوا  
بمناقشة علمية موضوعها : من الذي أتى بالماء إلى هذه الطاحونة ؟  
واتفق الجميع أن محمد بن الليث أخا عمرو بن الليث هو الذي جاء  
به ، وحين سمع هشام ذلك ، وضع إصبعه في حلقه ، وتقياً ما كان  
قد أكل ، ولم يغسل فمه بذلك الماء . وأسرع إلى المدينة وأخذ ماء  
فغسل به فمه .

---

(١) نفحات : ٢٣٩

(٢) نفحات : ٢٣٩

## فصل (٢١)

قال الشيخ : كان هشام يطالع الزبور دائماً ، فداخلته دهشة وحيرة ، ولم يتم بالصلاة طوال عام ، ووصل خبر حالته هذه إلى المشايخ ، فنهضوا معاً ، وأتوا هشاماً . وكان ابن سعدان المحدث معهم ، فقال لهشام : لم لا تصلى ؟ فأجاب هشام : لقد عرضت لى بعض العوارض ، فمنعنى من الصلاة ، فقال ابن سعدان : وضح لنا هذه العوارض ، فصمت هشام ، ولم يجب .

وذات يوم سئل الشيخ أبو عبد الله : ما الذى حدث من موانع فكان لا يصلى ؟ قال : لقد كان يشرف دائماً على عالم الغيب ، حتى نُهِّلَت عليه الأمور الغيبية ، بحيث رأى الآمال الظاهرية فى حالة قهر ، فلا جرم أن ظل فى مقام الحيرة <sup>(١)</sup> .

## فصل (٢٢)

قال الشيخ : اجتمع المشايخ ذات يوم ، وأحضروا هشاماً ، وقالوا له : سمعنا أنك تقول بالمشاهدة ، وتظهر من نفسك أنك ( ص ١٤٧ ) قد اطلعت على كل ما فى عالم الملكوت ، ورأيتك رأى العين ، وهذا كلام تلزم التوبة منه . فقال هشام : ثبت عن هذا . وفى صباح اليوم التالى بينما كان المشايخ يجلسون فى المسجد أتى وقال : لقد ثبت عن توبة الأمس ، فقام الجمع وجروه من رجليه ، وأخرجوه من المسجد <sup>(٢)</sup>

## فصل (٢٣)

قال الشيخ : كان لأبي حفص دارا امتلاً مرحاضها بالنجاسة ، فجمع المريدون بعض الدراهم ، وأرادوا إعطاءها لكناس حتى ينظفه . فقال أبو حفص : لقد ملأنا نحن المرحاض وليس من المروءة أن ينظفه آخر . ثم حمل قدرا مكه ورا وأخذ ينظف المرحاض بيديه ، فشاركه المريدون ، وحمل كل منهم قدرا ، وأخذوا ينظفون المرحاض وفي أثناء ذلك جاء أبو محرز صاحب ذى النون المصرى ، فقال المريدون لأبي حفص : لقد قصدك أبو محرز من شيراز ، فاترك هذا الأمر لنا الآن ، واذهب واغتسل ، وارتد ثوبك فقال أبو حفص : (ص ١٤٨) : إذا كان هو أبو محرز الذى سمعت صفته ، فلا خشية من أن يرانى على أى صفة وبأى لباس ، وإذا لم يكن كما سمعت فلا أريد أن أراه فى دنيا أو فى آخرة . فدخل أبو محرز ، وحيثما رأى أبا حفص ومريديه فى ذلك الأمر خلع رداءه وشاركهم ، وحيثما انتهيا واغتسلا ، تبادلا السلام (١) .

## فصل (٢٤)

روى الشيخ عن أبي محرز أنه قال : خرجت من نيسابور قاصدا شيراز ، واتفق أن صحبتني قائد من قواد الحاكم ، وكنت أرى

---

(١) صفحات : ٢٤٠-٢٤١ . المترجم : وقد ذكر أنها نسبت فى (مقامات أبي عبد الله بن خفيف) ولعله يقصد السيرة إلى أبي محرز بينما نسبت فى موضع آخر إلى أبي مزاحم ووردت الحكاية عند الأنصارى ص ١٠٠ نسبة إلى أبي مزاحم (المتوفى ٣٤٥) ، والذى ذكره ابن خفيف فى كتابه (أسبا شيوخ فارس) .

حواله ليست على الجادة ، وأردت أن أفارقه . وفجأة صاحوا من القافلة  
فقد فقد حزام من هذا القائد . وأخذوا يقبضون على رجال القافلة  
ويجعلونهم يقسمون . كما أخذوا يفتشون كل شخص ،

وحينما وصلت نوبتي قال القائد : أنا لا أشك فيه ، ولكن مادام  
الأمر قد صدر مني ففتشوه هو الآخر . فجاءوا وفتشوني . ( ١٤٩ )  
ووجدوا الحزام في منطقتي ، فقالوا كيف حدث هذا . فقلت :  
لاعلم لي بذلك ، قالوا : هذا الكلام الذي تقوله شديد الغرابة ،  
ثم أخذوا يتداولون كيف يعاقبونني ، ثم اتفقوا على أن  
يضعوني على رأس الطريق ويمر المسافرون واحدا واحدا ويوجه كل  
واحد إلى اللوم بالطريفة والعبارة التي تحلوه ، وهكذا فعلوا <sup>(١)</sup> .

## فصل (٢٥)

روى الشيخ عن جعفر الحذاء أنه قال : ذهبت إلى اصطخر  
لزيرة عبد الرحيم الاصطخرى . وحينما وصلت إلى داره ، وجدت  
دارا خربة ، ورأيت عبد الرحيم قد ارتدى ثوبا خلقاجدا ، وجلس في  
زاوية المنزل . فوقعت لي حيرة من أعماله فقال عبد الرحيم : لم  
تحيرت ؟ قلت : لقد تعجبت من ضعفك ، وحينما ( ص ١٥٠ )  
سمع هذا الكلام مني ، قام من حيث كان قد جلس ، وانحنى  
فرفع حجرا ضخما كان ملقى هناك . وحمله إلى السطح . والتفت

إلى وقال : يا قوَى الحال . تعال وارفع هذا الحجر . وأنزله حيث كان ، لنر ، فوق لي العجب من ذلك الأمر . ثم قال : منذ سبعة عشر يوماً لم أتناول طعاماً ، فانهض الآن . واحضر ما تستطيع حتى آكل لقمة . قال جعفر : فنهضت . وذهبت إلى السوق ، وأحضرت صنفاً أو صنفين من مأكولات السوق . فقال اجلس الآن وشاركني . فجلست أنا أيضاً وأكلت معه إكراماً له . وكان من ضمن الطعام شامة . فقال : أعطني قطعة من هذه الشامة ، فأعطيته قطعة فوضعها في فمه . وأراد أن يبتلعها فلم يستطع فألقى بها وقال : لقد أغلقت على نفسي أبواب الهوى ، والآن لم يبق إلا باب واحد ، هو باب محبة الله تعالى . فلا جرم ألا طاقة لي على ابتلاع شيء آخر<sup>(١)</sup> (ص ١٥١)

## فصل (٢٦)

قال الشيخ : ورث عبد الرحيم الاصطخرى عشرين ألف درهم ، وكانت هذه الدراهم في أيدي الناس . فأبرأ ذمتهم من عشرة آلاف . وأخذ العشرة آلاف الأخرى فوضعها في مخلاة<sup>(٢)</sup> . وصعد ذات ليلة إلى السطح . وأخذ يبعثر فيها بالحفنة . حتى بعثرها جميعاً

(١) نفحات : ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) نفحات ٢٤٢ . المترجم : فوقعت له وسوسة أثناء الليل ، فحينما كان يقول : لنأجر فيها ، وأحياناً يخطر له أن ينفقها على الفقراء ، وحيناً كان يقول : احفظها في المنزل وأنفقها على معاشي . . . وفي أثناء الليل نهض . . . إلى آخره .



وفي اليوم التالي قال جيرانه : الليلة الماضية أمطرت السماء علينا دراهم ، فالتقى عبد الرحيم بالمخللة فسقط منها درهم . فقال للمريدين : طيبوا خاطرا . فقد وصلنا ثمن الخبز والباقلاء ، فقال المريدون لبعضهم لعل هذا الرجل مجنون يفرح بنصف درهم . وبالأمس فرط في عشرة آلاف درهم<sup>(١)</sup>

### فصل (٢٧)

قال الشيخ : نزل عبد الرحيم بخانقاه في عبادان ، وكانوا كل ليلة يضعون أمامه طعاما . ويحملونه في الصباح التالي . وبقى على حاله . ومرت إحدى وعشرون يوما على هذا الحال لم (ص ١٥٢) يأكل شيئا ، وانتشر هذا الخبر بين الناس . فتقاطروا عليه . وحين رأى عبد الرحيم الأمر على هذا الحال فارق الرباط . وذهب إلى سهل وقال : أنا ضيفك ، فقال سهل : ماذا تريد ؟ قال : سكباجية لطيفة كما أصفها لك ، وذكر بعض الصفات . فقال سهل : إن أصحابنا لا يأكلون اللحم . ولكنهم يعدونه من أجلك ، وأمر فأعدوه على الصفة التي طلبها . فقال عبد الرحيم : أحضروه أمامي بقدره . ففعلوا ، وفجأة أقبل سائل . فأعطاه القدر كما هو .

وفي اليوم التالي سأل سهل : والآن ماذا تريد ؟ فقال سكباجية على نفس الصفة . فأمر سهل بإعدادها ، فأعدوها وأتوا بالقدر كما هو أمامه . ووضع سهل رجلا على باب الدار حتى لا يضايقه السائلون ، وعلم عبد الرحيم بالفراسة . وقال : ليس من المباح منع السائلين ،

واستدعى سهل ذلك الرجل ، واتفق أن جاء سائل آخر ، فأعطاه القدر كما هو .

وفي اليوم التالي قال سهل : ماذا تريد ؟ قال سكباجية أيضا ، فأمر سهل حتى طبخوها ، وقبل أن يحملوا القدر إليه ، خرج وتوجه إلى شيراز ، وحينما اقترب من المدينة (ص ١٥٣) كان قد مر عليه ثلاثون يوما لم يأكل خلالها شيئا رأى درويشا قد جلس على حافة جدول ، ووضع أمامه بعض قطع الخبز الجاف ، وأخذ يغمسها في الماء ويأكلها ، فقال لعبد الرحيم : الصلاح فتقدم عبد الرحيم إليه . وشارك ذلك الدرويش في أكل الخبز الجاف<sup>(١)</sup> .

## فصل (٢٨)

قال الشيخ : كان لعبد الرحيم زى الفتيان ، وكان يذهب دائما للصيد .

وسئل الشيخ : لماذا اختار عبد الرحيم هذا الزى ؟  
قال : يتخفف من ثقل ما عليه<sup>(٢)</sup> .

## فصل (٢٩)

قال الشيخ : حينما ذهب مؤمل الجصاص إلى ككة . قصد بادية الأمر أبا الحسن المزين ، وقال : أنا رجل أحمى ، وأرجو حين

---

(١) نفحات : ٢٤٢ .

(٢) نفحات : ٢٤١ ، أنصاري : ٤٥٦ شد : ٥٥١ المترجم وكانت عنده حمائم وسئل الشيخ الكبير عن أحواله فقال : كان يتسلى بهذه الحمائم عن ثقل كان به .

أَسْأَلُ سَوَّالًا أَنْ تَجِيبَنِي عَلَيْهِ بِأَسْهَلِ عِبَارَةٍ ، فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ  
سَمْعًا وَطَاعَةً ، ثُمَّ سَأَلَ مُؤْمِلٌ : كَمَا يَكُونُ لِصَاحِبِ الْوَجْدِ مِنْ تَرْقٍ  
دَائِمٍ أَيْكُونُ لِلآخَرِينَ نَفْسُ الْمَقَامِ أَمْ لَا ؟

قَالَ مُؤْمِلٌ : ( ص ١٥٤ ) حِينَ سَأَلْتُ هَذَا السَّوَّالَ نَظَرَ إِلَى  
وَقَالَ : مَنْ أَبْنِ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ شِيرَازَ . قَالَ : مَا اسْمُكَ وَكُنْيَتُكَ ؟  
قُلْتُ : مُؤْمِلُ الْجِصَّاصِ ، قَالَ : لَيْسَ مَكَانُكَ هَذَا الَّذِي جَلَسْتَ ،  
وَأَجْلَسَنِي بِجَوَّارِهِ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ كَانَ كَلِمَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَالَ : سَأَلُوا هَذَا الشَّيْخَ  
وَأَشَارَ إِلَى <sup>(١)</sup> .

### فصل (٣٠)

قَالَ الشَّيْخُ : كَتَبَ مُؤْمِلٌ إِلَى الْجَنِيدِ خُطَابًا قَالَ لَهُ فِيهِ : أَخْبِرْنِي  
عَنْ طَرِيقَةِ قَوْمِ رَدَّوْا عَمَّا سِوَى اللَّهِ ، فَامْتَثَلُوا لِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ ، ثُمَّ  
حَدَّثَتْ لَهُمْ أَحْوَالَ مَنْ عِلِمَ الْغَيْبِ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى مَقَامِ الْمَشَاهِدَةِ .  
وَحِينَمَا وَجَدُوا هَذَا الْمَقَامَ ارْتَاحُوا . . . . .

### فصل (٣١)

قَالَ الشَّيْخُ : أَخَذَ مُؤْمِلٌ يَصِفُ عَمْرَ بْنَ شَلُوبَةَ فِي مَجْلَسِ  
الْجَوْدَى ، وَيَقُولُ : هُوَ هَائِمٌ فِي مَقَامِ الْوَجْدِ ، وَمُنْهَضٌ طَرِبَ الْوَجُودَ  
فِي السُّكْرِ ، بِحَيْثُ إِنَّهُ لَا يَأْكُلُ طَعَامًا ، وَلَا يَتَنَاوَلُ شَرَابًا فَقَالَ

---

( ١ ) نَفَحَات : ٢٤٣ قَالَ مُؤْمِلٌ : عَنْ تَرْقٍ الْمَهْمُومِ ارْتِقَاءَ الْمَوَاجِيدِ ؟ الْمُرْجَمُ : وَكَانَ  
يَقُولُ لِي : أَنْتَ رَجُلٌ أَعْجَبُ أُمِّي .

الجعدى : منذ أن فارقت أبا تراب لم ألق أحدا بهذه المرتبة  
(ص ١٥٥)

واتفق أن حضرنا وليمة مع عمر بن شلويه ، ووضع على المائدة  
حمل مشوى . فمد عمر بن شلويه يده ، وقطع قطعة . وأخذها  
فأكلها . قال الجعدى حين رأى هذا الأمر يقول : منذ أربعين سنة  
وأنا اشتهى هذا ولم آكله . فقال عمر لمؤمل : ماذا حدث ؟ فقال :  
يقول منذ أربعين سنة وأنا اشتهيها ولم أبحها لنفسي ، والآن تابعت  
أنت الهوى : وابحثها لنفسك . والغرامة تلزم الأكل<sup>(١)</sup>

### فصل (٣٢)

يقول الشيخ رحمة الله عليه : ذهبت في أوّل ابتدائي إلى مكة .  
وكان مؤمل قد أوصاني : حينما تذهب إلى الموقف اذهب إلى ما وراء  
الجبل . فهناك مقام الأولياء .

وحينما وصلت الموقف ، تركت القافلة وذهبت إلى الجبل ، ولما  
قطعت جزءاً من الطريق وقع لى خوف فأردت أن أعود . فتغلّبت  
إرادتى . وقطعت جانباً آخر من الطريق . حتى وصلت إلى الجبل .  
فرأيت عشرة أشخاص جالسين . وقد طأطأوا رءوسهم ، وكان بينهم  
شيخ كبير ، ورأيت الشيخ أبا بكر العتايدي وجماعة من الأولياء .

وحينما رأوني أشاروا إلى شيخى فذهبت إليه ، (ص ١٥٦)  
فوقرنى وأجلسنى أمامه ، وحين عزمّت القافلة على المسير . تحرّكوا

---

( ١ ) فى النص الفارسى : أكون غرامت لازمست : ولعلها أكلول ولا معنى لأكون منا .

هم أيضا من أمانتهم ، وأخذوا يسيرون بسكون ووقار ، وأشاروا إلى شيخى قائلين : حافظ على هذا الغلام . فأخذت أسير بين شيخى وهذا الشيخ الكبير ، وكانوا يزمزمون ولم أسمع أكثر من حرف السين . وخطر لى أنهم ربما يستغفرون ، وحينما وصلنا إلى المزدلفة ، قال لى الشيخ : ادع الصحاب فذهبت فى طلبهم . وكانوا قد ذهبوا إلى المشعر الحرام . فذهبت لقضاء حاجة وحينما عدت . رأيتهم قائمين بالصلاة ، وظلوا يصلون حتى الصباح ، وحينما تحركوا من المشعر الحرام لم أرهم ثانية<sup>(١)</sup> :

### فصل (٣٣)

قال الشيخ : جرى بين عمر بن شلويه وأحدهم تبادل بعض الحكايات فقال عمر : أنا أعرف رجلا اتخذ له مقاما فى قلة جبل ، وحين وقت الصلاة ، وأراد أن يتوضأ . وكان الماء فى الجبل فى مواجهة هذا الجبل وبتأثير همة هذا الرجل اقترب الجبلان ، بحيث خطا من هذا الجبل إلى ذاك وتوضأ<sup>(٢)</sup>

### فصل (٣٤)

قال الشيخ : جاء قوال إلى شيراز . وجهه شديد الوسامة ، وصوته فى غاية الجمال . فأخذ المريدون يذهبون إليه ، ويستمعون له دون علم لى . وحدث أن علمت ولكنى كنت أتغافل ، فجاءنى رجل ذات يوم وقال : لقد دهم الأثنانى وجد ، وسقط من على

السطح ، ومات . فنهضت وذهبت فرأيت الأشناني ساقطاً في صحن الدار مينا ، فقلت : إيتوني بذلك القول ، وحين أتى قلت له : قل تلك الأبيات التي كنت تقولها : حتى أسمعها وقالها ، وكانا هذين البيتين :

دنف يموت بدائه <sup>(١)</sup> والموت دون بلائه  
إن عاش عاش منغصاً أو مات مات بدائه  
فقال الشيخ : أصمت ، كفك أن قتلت واحداً <sup>(٢)</sup> (ص ١٥٨) .

### فصل (٣٥)

فقال الشيخ : لم يفطر أبو بكر الإسكافي ثلاثين سنة ، وجاءه ملك الموت ، وقبض روحه ، فحملوا قطعة من القطن المبلل إلى فمه حتى ينظفوه ، فأمسك بها وألقاها وقال : أريد أن أكون صائماً حين أصل إلى حضرة الحق تعالى <sup>(٣)</sup> :

### فصل (٣٦)

قال الشيخ : كنت صائماً لفترة ، وكنت أواصل ، كما كنت قد اتخذت سكناً من المسجد الجامع ، وكانوا يتركون لي كل ليلة قنديلاً مشتعلًا :

---

( ١ ) في البيتين وردت كلمة بدائه : بداية . المترجم .  
( ٢ ) أنصاري : ٤٣٦ ، نفحات ١٩٨ . فسير ذلك الصبي ، وقال لا تطف حول هؤلاء اليوم ثانية ، وغاب أبو عبد الله بن خفيف عن نفسه أربعة أيام ، ودفنوا أبا عبد الله الأشناني ولا علم عند ابن خفيف .  
( ٣ ) ٢٤٥ .

واتفق أن كانت ليلة ممطرة . وجاء رجل فقرع باب المسجد ، فقامت وفتحت الباب ، فرأيت أبا الخير بن بNDAR ، وكان من بين المشايخ الكبار ، ولم يكن له نظير في بضعة علوم ، فدخل المسجد وكان معه مئزر معقود ، يحتوى على بضع أصناف من الطعام . وقال كل ، فقد أحضره لى شخص هذه الساعة ، ومن شدة تعلقى بك (ص ١٥٩) لم أستطع أن آكله بدونك .

قال الشيخ : ولم أكن عزمت على أن آكل شيئاً ، ولكنه كان رجلاً عزيزاً لى جاء فى مثل هذا الوقت ، ومثل هذا المطر ، فاستحييت منه ، وأفطرت .

وحينما انتهينا من الطعام . شرعنا فى مذاكرة العلم ، فسألته : فى أى حال يكون المرء أصنى عيشاً ؟ قال : حين يخالف النفس . فتعجبت من هذا الكلام .

وفى اليوم التالى أعدت هذا المعنى على المشايخ ، فقالوا : نريد أن نسمع هذا الكلام منه ، فتحدثت إليه فى ذلك ، فقال : كلام الليل لا يلىق أن يردد بالنهار<sup>(١)</sup> .

### فصل (٣٧)

قال الشيخ : كان أبو مزاحم أحمد بن منصور من جملة عمال الديوان وكتابه ، وكان سبب توبته أن السلطان ولاه على أمر ، ثم

---

(١) نفحات ٢٣٧ : المترجم : أبو الخير المالكي . . . متى يصفو العيش مع الله تعالى ؟ . . . إذا رفعت المخالفة . . . قال : ما يجرى بالليل لا يذكر بالنهار ولم يقر بذلك . أنصارى : ٤٥٨ . متى يطيب العيش مع الحق ؟ قال : إذا سقط الخلاف .

تغير عليه ، فأمر بأن يضرب على قفاه عدة ضربات . فتعلل أبو مزاحم بهذا الأمر وقال : من كثرة ما ضربوني على قفائي ، ماعدت أرى بعيني . وترك العمل . وجلس في زاويه : ( ص ١٦٠ ) ووصل أمره إلى مرتبة عالية .

ذات يوم أخذ أخو أبي مزاحم يشكو لي قائلا : كل ما كان في الدار أنفقه أبو مزاحم على الصوفية ، قلت : كلما كان أبو مزاحم يأكل معنا كان يأخذ نصف نصيبه قائلا : إن ابنة أخي جائعة . وبلغ هذا الكلام أبا مزاحم فقال : يا أبا عبد الله لقد بلغوني كلاما حدث منك . قلت : ذلك لأنهم أبلغوني كلاما منك أيضا ، قال : واحدة بواحدة وصمت .

### فصل (٣٨)

قال الشيخ رحمه الله عليه : قال أبو الضحاك : كنت جالسا على سطح دار ، فرأيت إبليس يسير في الطريق . فقلت له : إلى أين ياملعون ؟ فأقبل وجلس معي وتحدثت معه . فزاد بكلمة ، فصفعته بحيث سقط من على السطح ، ولم أره ثانية .

وبعد فترة ذهبت إلى مكة ، وحينما كنت آيبا وصلت نهر « خرابادان » وكان الماء كثيرا ، فخفت أن أهلك إذا نزلت النهر ، فرأيت عجوزا ضعيفا يسير وسط النهر . ويشق الماء ، فقلت لنفسى ( ص ١٦١ ) لست أقل من هذا العجوز ، ووضعت قدمي في الماء ، وحينما وصلت إلى وسط النهر . غلبني الماء وبغصت ، ثم أعانني الله



عدى ، وخرجت من الماء سالما ، فرأيت ذلك العجوز جالسا على شاطئ  
نهر فقال لى : هل تبت الآن عن ضربى على قفاى<sup>(١)</sup>

### فصل (٣٩)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كتب أبو الحسن المزين كتابا قال  
فيه : لکم مرید فی البحر ، فاذا نجا ، أتى إليك بالجواهر . وكان  
يقصد بهذا الكلام أبا محمد الخفاف<sup>(٢)</sup> .

### فصل (٤٠)

قال الشيخ : حضر أبو محمد الخفاف مجلسا للمشايخ فى  
شيراز ، وبدأوا ، فى مناقشة مسألة المشاهدة ، وأخذ كل يتحدث على  
قدر مقامه وأبو محمد صامت . وكان مؤمل الجصاص حاضرا فقال  
له : قل أنت شيئا أيضاً ، فقال أبو محمد : لقد أتم المشايخ الكلام ،  
ووضحوا ما أشكل فيه ، فقال مؤمل : ولكننا نريد أن نسمع منك  
بيانا فى هذه المسألة . (ص ١٦٢) فأجاب أبو محمد : أن ماقلتونه  
هو حدود حقيقة العلم : والرأى أن هناك مقاما آخر ، يصل فيه  
المرء إلى درجة ترتفع فيها الحجب أمامه ، وتزيل كل الحجب النفسية  
والجسدية عن باطنه . بحيث يرى الحق جل جلاله رأى العين .  
وقلت : وهل حدث لك ذلك ؟<sup>(٣)</sup> قال أبو محمد : بلى ، كنت فى

---

(١) فى النص الفارسى : قضا بر من نزنى ؟ ولعل قضى هى قفا ولا تحتمل أكثر من ذلك .

أنظر نفحات : ٢٤٥ . (٢) أنظر نفحات : ٢٤٥ .

(٣) فى النص الأصلى بياض : فلا توجد كلمة يرى ولكن رأى لازمة قبل «برأى العين»  
والسؤال «وهل حدث لك ذلك ؟» من عند المترجم لأن أبا محمد يقص مايبث رأيه بعد ذلك  
بأننا بقوله : نعم .

بإدنية تبوك وكنت أتجشم رياضات ومجاهدات كثيرة بعد أن حرمت نفسي من لذات الدنيا وشهواتها ، وذات يوم داخلني وقت طيب ، فأخذت أناجي الله ، وفجأة رفعت الحجب من أمام عيني ، ورأيت الحق - تعالى عن الجلوس والقعود وصفات المخلوقات - مستوياً على العرش ، فسجدت وقلت : الهى وسيدى ومولاي ، ليس هذا مقامى ، ولست مستحقاً لهذه المرتبة<sup>(١)</sup> .

وحين سمع المشايخ هذا الكلام ، سكتوا فى الظاهر ، ولكنهم كانوا ينكرون عليه فى الباطن ، فقال مؤمل لأبى محمد : انهض حتى تذهب ازيارة أحد المشايخ ، وأخذ يده وذهب إلى دار ابن سعدان المحدث ، فقال مؤمل لابن سعدان : ارولنا الحديث الذى ورد فيه العرش حتى نسمعه ونعتبر منه ، فقال ابن سعدان : قال المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى آله : إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض ، وإذا أراد الله أن يفتن عبداً ، أظهر له ذلك العرش ، (ص ١٦٣) ، حتى يغتر بذلك ، ويظن أن ما حدث له مقام<sup>(٢)</sup>

وحينما سمع أبو محمد هذا الحديث قال له : أعد ماقلت ، فأعاده ابن سعدان ، فطاب وقت أبى محمد ، وأجهش بالبكاء . قال مؤمل : ثم نهض أبو محمد ، وغاب عنا بضعة أيام . وبعد فترة رأيتَه فقلت

( ١ ) مولاي ما هذا مكانى وموضعى منك : نفحات ٢٤٦ المترجم .

( ٢ ) المترجم : الحديث بالعربية فى النفحات : « إن للشيطان عرشاً بين السماء والأرض إذا أراد بعبده فتنة كشف له عنه » (ص ٢٤٦ ) « ولعله من الحديث : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة . الجامع الصغير ٧٥٩١ .

نه : لم نترك لفترة ، قال : كنت أقضى ما فاتني من صلوات فقد تيقنت أنني كنت أعبد الشيطان ردحاً من الزمن ، وعزمت على أن أذهب إلى ذلك الموضع ، الذي كنت قد سجدت فيه ، وفي مقابل الصدق والإخلاص الذي قمت له به بهذه السجدة ، ألغته عدة مرات . وقال هذا الكلام وغاب عنا ولم نسمع عنه خبراً بعد ذلك .

### فصل (٤١)

قال الشيخ : جاءنا الخراز <sup>(١)</sup> صاحب حسن بن حمويه من اصمخر وقال ابن زيدان : أريد أن تحضره إلينا الليلة ، فأحضرتة ، وأعدوا طعاما ، وأكل كل منا لقمة . وحين فرغنا من الطعام . أخذنا نتذكر العلم ، قال ابن زيدان : أريد أن تقص علينا شيئاً من الوقائع التي مرت بك . والمقامات التي وصلت إليها . فأجاب الخراز : لم يكن لي نفسي مقام ، ولكني أقص شيئاً من مقامات المشايخ . قلنا : قل إذن . (ص ١٦٤) .

قال : كنا جالسين عند حسن بن حمويه ، وعلى عادتنا كنا قد أطرقتنا برؤوسنا ، ويسمى الصوفية هذا بالمراقبة ، وفجأة رفع صوته ، واختفى من أمامنا ، فقلنا لرفاقنا : إن اخفاء هذا الأمر من المهمات ، ولا يجب إفشاؤه ، وأقمنا في ذلك الموضع ثلاثة أيام ، ولم يتحدث مخلوق قط عن هذا الأمر ، وكلما سألنا أحداً ، أجبنا بأنه مشغول بنفسه . وبعد هذه الأيام الثلاثة رأيناه يدخل المسجد ، وقد تغير حاله ، ولم نستطع الحديث معه من وقاره ومهابته .

(١) في النفحات : الخراز : ص ٢٤٦ . المترجم .

قال الشيخ أبو عبد الله <sup>(١)</sup> : وكنت من ضمن مريديه ورفاقه أكثر جرأة عليه . كما كنت أعلم أنه يميل إلى الجبن الطرى ، <sup>(٢)</sup> قلت : أتأذن لي أن أحضر بعض الجبن الطرى ؟

قال : ليكن . فحملت إليه بعضه ، فأكل لقمة . وأشار للمريدين إلى الباقي أن يأكلوه .

فأشار ابن زيدان إلى قائلا : هذا رجل صادق . وقال مؤمل : هذه حالة غريبة جدا ، وفي الإمكان أن يصل إليها المرء .

وقلت لابن زيدان : أعد الفراش ، فالشيخ قد بقي . وبعد ساعة يصير إلى النوم ويريح جسده ، وحينما بسطوا الفرش ، جلس وأخذ يتحدث والتفت إلى قائلا لقد وجدنا الأنس والراحة بوجودك ( ص ١٦٥ ) وسئل الشيخ ابن خفيف : أى حال كان ذاك ؟ فأجاب : أنه لم يرغب عنا . ولكنه أبعد عن مقام البشرية ، وجز بصرنا عن رؤيته . <sup>(٣)</sup>

## فصل (٤٢)

روى الشيخ عبد الله القصار : حين عازمت على السفر إلى مكة ، أوصانى المشايخ بشيراز قائلين : حينما تلتقى بسهولة أبلغه منا السلام . وقل له : نحن معترفون بكمالك ، ومقرون

(١) المفروض أن الراوى هنا هو الحراز .

(٢) في النص الفارسي بينترو وحتها بنير تر . المترجم .

(٣) انظر النفعات : ص ٢٤٧ .

ببيتك وإمامتك ، وقد بلغنا أنك وأنت في هذا  
الوضع الذي جلست فيه ، تصير حاضرا يوم عرفة في الموقف .  
فإذا كان هذا الكلام صدقا فأبلغنا كيف يكون حتى نؤمن بذلك .  
قال عبد الله القصار : حينما وصلت إلى سهل ، كان قد  
زَيَّن نفسه ، ووضع رداءه على كتفيه ، ونعلين من الخشب أمامه  
وقد أطلت عيناه من محجريهما كأنهما أذنان<sup>(١)</sup> ، ومن  
شدة وقاره ومهابته لم أجِد مجالا للحديث منه .

وأثناء ذلك دخلت امرأة عجوز وقالت : إن لي ابنا مفلوجا ،  
وقد أحضرته إليك ، حتى تدعير الله فيشفيه . فقال سهل :  
لِمَ لَمْ تحمليه إلى حضرة الله تعالى ، فقالت المرأة العجوز : إنك  
من المقربين إلى حضرة الله . والبارى تعالى لا يرد لك دعاء . فأشار  
إلى سهل : فحمله وأخذته إلى الشاطئ . وحينئذك أشار  
إلى الطفل قائلا : اذهب وتوضأ وصل ركعتين . وحين فعل  
قال سهل : خذه واحمله إلى بيته ( ص ١٦٦ ) .

يقول عبد الله : وحينما رأيت فيه علامات البسط ،  
أبلغته سلام المشايخ ، وأديت رسالتهم ، قال سهل : أيؤمنون  
بأن الله تعالى قادر على أن يفعل مايشاء ؟ قلت : نعم . قال ماداموا  
مقرين بهذا : فأى حاجة إلى ذلك الكلام ، وأى حاجة إلى  
ذلك السؤال ؟<sup>(٢)</sup>

---

( ١ ) في النفحات كأنه حائر مندهش : ص ٢٤٧ المترجم .

( ٢ ) نفحات ص ٢٤٨ : هؤلاء القوم يؤمنون بالله يفعل ما يشاء ، قلت : نعم  
قال : فإسألهم عن ذلك .

### فصل (٤٣)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كان أبو الفياض يصلى فى اليوم ألف ركعة . وبعد ذلك ظهر فيه ضعف . وذات يوم أقبل إلى الشيخ ، وبصحبته جماعة من المريدين . قال : أريد أن أسمع منك وصف الدراويش الصادقين ، وأن تحدثنى بشئ عن سيرهم وسلوكهم . فأخذ الشيخ فى الحديث ، وأخذ يشرح فى أحوالهم وصفاتهم ، فغالب البكاء أبا الفياض ، وبكى كثيرا وقال : إنك تصف قوما لا أرى فى باطنى صفة واحدة من صفاتهم ، ومنذ خمسين سنة وأنا أضيع من عمرى ، والآن احذروا على أنفسكم ، فإنكم تكونون على شخص ضيع من عمره خمسين سنة ، وكان يتحدث بهذا الكلام ويبكى . حتى أبكى جميع الحاضرين ، وانتقل إلى جوار ربه بعد أسبوع .

يقول أبو الحسن على بن محمد : سمعت من جماعة من المشايخ أن أ طبيب الأوقات حينما كان يحضر أبو الفياض ويسأل الشيخ ويشرح الشيخ فى إجابته ، وقال : سمعت من أبى الفياض أنه قال : سألت الشيخ عن ألف مسألة وسمعت منه الجواب ارتجالا . ولم أر من المشايخ من هو ماهر مثله فى الإجابة على الأسئلة .

---

(ص ١٦٧)

## البَابُ الثَّامِنُ

في ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا يمرون بشيراز  
وقد اغتتم الشيخ صحبتهم ، وفي هذا الباب يذكر فصل لكل شيخ  
على عددهم

### فصل (١)

روى الشيخ : جاء أبو طالب الخزرجي صاحب الجنيد إلى  
شيراز وكان مريضا بعلّة البطن . فتشاور جماعة : أينما يقوم بخدمته ؟  
قلت أنا أفعل . وكان يقوم كل ليلة ست عشرة مرة : أو سبع  
عشرة مرة ، فكنت أضع له الطست ، ثم أحمله : وفي النهار التالي  
تقبض بطنه ، ثم يعاوده الألم أثناء الليل .

وذا ليلة غلبني النوم ، فاستغرقت فيه ، فنادى مرة : وكنت  
نائما : فصحوت على ندائه ونهضت وأحضرت الطست . ووضعته  
أمامه فقال : يابني : إذا كنت لاتقدر على خدمة مخلوق : فكيف  
تقدر على خدمة الخالق <sup>(١)</sup> ( ص ١٦٨ )

---

( ١ ) Ill b, ub 3216 وكان أبو عبد الله بن خفيف يحكي أن شيخا أبا  
طالب الجريدي مرض بعلّة البطن فامتد أسبوعين . . . . سلمى : ٤٦٤ قدم علينا بعض أصحابنا  
وكان به علة البطن فكنت أخدمه ، ، وأخذ منه الطست طول الليل ، فغفوت مرة فقال لي نعم  
لعنك الله فقيل له : كيف وجدت نفسك عند قوله لعنك الله ، قال : كقول رحمك الله ،  
شذرات ١٧٦-٣ ، أنصاري ٤٦٥ عن أبي طالب الخزرجي ، السبكي ٢-١٥٣ ( هنا ١٥١ ) ..  
بعض أصحابنا ، تذكرة ١٣٠-٢ وصل مسافر ، نفحات : ٢٤٨-٢٤٩ الروايات .

## فصل (٢)

روى الشيخ : أول مرة صحبت فيها أبا طالب ولحقت به كان يرتدى مرقعة ، ويحمل في يده عصا ، فأثني وجلس أمامنا ، ونظر إلى الجماعة وقال : ماذا أقول ؟ مذنب جلس بين مذنبين . وكان يقول هذا الكلام ويبكى . وأخذ الجميع ينظرون إليه ويستمعون إلى كلامه ويبكون . وكانوا يقولون بقبوله ، ويعتقدون فيه إلى درجة أنهم كانوا يأخذوا تراب قدمه ، ويداؤون به المرضى ، ويطلبون الشفاء بذلك .

وبعد ذلك حدث أن تركوه ذات ليلة وانفتوا عنه . فذهب إلى أصفهان ، فأظهرت أمره ألى بن سهل . وقلت : شخص من صفته كذا يصل إلى تلك الناحية ، فينبغي أن تعد احترامه واجبا . وأن تجعله غنيمة أيامك .

وحينما وصل أبو طالب إلى أصفهان لم ينزل عند ألى بن سهل . بل ذهب إلى جبل ومكث فيه ، ثم قصد همذان ، وكان أبو على الوارجي واليا عليها . فقال لأبى طالب : ما حاجتك ؟ قال أبو طالب : لقد قضى الله ما كان على من ديون وتجاوز عنها . قال : إذا كانت لك حاجة أخرى فقلها ، قال : ( ص ١٦٩ ) أقم رباطا من أجلى ، فأقام أبو على رباطا من أجله وجعله سيد القوم . فمكث في هذا الرباط حتى مات <sup>(١)</sup>

---

(١) ذكرت رواية هنا في هامش النص الفارسي عن حكاية لا صلة لها بالنص على الإطلاق . ولم تذكر اسم أبى طالب أو شيئا عنه . فأسقطتها . المترجم وانظر الفحات : ص ٣٥٠



### فصل (٣)

روى الشيخ عن أبي القاسم أنه قال : سمعت من محمد بن إسحق بن خزيمة الإسكندراني قال : حينما مات الإمام أحمد بن حنبل . شدد حزني عليه وقلت هذه الساعة يطل أهل الأهواء والبدع برؤسهم ، وتكون الغلبة لهم ، وكان ذلك ايلاً ، وظلمت أتفكر في هذا حتى منتصف الليل ، ونمت وأنا أفكر فيه . ورأيت الإمام أحمد ، وقد انتعل نعلاً ذهبياً ، وأخذ يسير ويتبخر . قلت : هذا التبخر صفة من ؟ فقال : هو سلوك الخدام في دار السلام ، قلت : ماذا فعل الله بك ؟ ( ص ١٧٠ ) قال : غفرتي . ووضع نجاً على رأسي . وخفين ذهبيين في قدمي ، وقال : لقد وجدت هذه الدرجة بقولك : إن القرآن كلامي القديم غير المخلوق

### فصل (٤)

روى الشيخ : جاء عبد العزيز البحراني إلى شیراز . في وقت كانت البرودة فيه على أشدها ، وكان قد ارتدى رداءً خلقاً ، وكلما فتح الله عليه بشيء كان ينفقه على الدراويش . وأقام ثلاثة أيام .

وحينذاك قالوا له : إن البرودة شديدة ، فينبغي أن تلبس ثوباً . قال : نفسي تطلب الابتعاد عن ثيابكم . والتفت إلى قائلاً : يا أبا عبد الله أخرجني من ههنا المدينة . فليس لدى عزم على ارتداء ثوب فيها ، قلت : أي مكان تختار ؟ قال : تناصي البحر ، فسرت معه حتى غادرنا بوابة « كوار » فرأيت أبا الخير المالكى ، ( ص ١٧١ ) قد ركب بعيراً ، وأخذ يسوقه سوقاً حثيثاً . ويسير

في أثرنأ : وينادى علينا وكان معه شيء من الطعام ، فوقفنا حتى لحق بنا ، قال : معى طعام فتفضلوا وكلوا لقمة ، فجلسنا وأكلنا معه .  
وحينما فرغنا نهض البحراني وألقى بالسجادة على كتفيه ، فقال أبو الخير : ما يكون لو حملت شيئا من هذا الطعام ؟ قال : إن المطبخ أمانى . فقال أبو الخير : إذن فأين أحمل هذا الطعام المتبقى ؟ فقال اتركه هنا حتى تأكلة الكلاب ، ووضع السجادة على كتفه ، واتجه إلى شیراز <sup>(١)</sup> .

### فصل (٥)

روى الشيخ رحمة الله عليه : جاء أبو بكر أحمد بن محمد ابن سعدان من بغداد إلى شیراز ، وقد فوض إليه الحكم في شیراز ، وكان من أصحاب الجنيد ، فذهبت مع المشايخ لزيارته وكان بمحضره جمع من المشايخ ، كما كان قد ارتدى بردة يمنية ، فجاء مؤمل الجصاص ووقف وسأله : ما اسمك ؟ فطأطأ ابن سعدان وقال اسمى هو ماتسمينى به ، فقال مؤمل : ومانسبك ؟ ( ص ١٧٢ ) قال : هو ماتزيننى به . قال : مؤمل : أهنتك أم أعزيتك ؟ فبكى ابن سعدان وأبكى الحاضرين ، ثم خرج مؤمل فقال ابن سعدان : ردوه .  
قال الشيخ : فقممت مع جماعة وذهبنا في طلبه ورأيناه يصي في المسجد ، فجلسنا حتى أتم صلاته ، وقلنا : ابن سعدان يطلبك قال : قولوا الحق ، أليس منكم من بنكرنى في باطنه ؟ قلت : هكذا كان

في أول الأمر ، قال لا آتي حتى تتوبوا عن مخالطة المشايخ بعد ذلك ،  
فقلنا : تبنا وحينذاك قام ، وجاء معنا ، حتى أتى ابن سعدان ،  
فأجلسه بجواره ، وأخذ يفاكهه ، وكنا نتردد على ابن سعدان حتى وصلنا  
كتاب عزله ، فقام ولبس مرقعة ، وحمل ركوة ، وترك قصره  
وكل ما كان فيه ، ومضى .

### فصل (٦)

روى الشيخ : كنت جالسا مع رويم يوم العيد في بغداد . وحينما  
صلينا قال : أتعرف ابن سعدان ؟ قلت : بلى ، قال : اذهب وأبلغه  
منى السلام . وقل له أن يؤنسنا اليوم ، ويحضر معنا لحظة . فذهبت  
ورأيت ابن سعدان جالس في دهليز الدار ، ولم أر في تلك الدار  
فراشا إلا قطعة من الحصير المتهرىء كان قد جلس عليها . ( ص ١٧٣ )  
فبلغت الرسالة فقال : احمل هذه السفارة ، واعطها لذلك البقال  
الجالس على باب الدار ، وقل له : ضع على هذه السفارة شيئا يوكل  
وأرسلها ، قلت : إنك لم تجب على رسالة الشيخ قال : أجل ،  
ولكن أمير المؤمنين عليا يروى حديثا : إن الرسول صلى الله عليه  
وسلم دعى إلى مأدبة فقال لى : يا على قم بنا إلى المنزل أولا . حتى  
نأكل كسرة ثم نذهب إلى المأدبة لتحسن مواكلتنا للناس ، فالآن  
نأكل لقمة ثم نذهب ، فأخذت السفارة وحملتها إلى البقال ، فوضع  
عليها ثلاثة أرغفة وبعض التوابل ، فأكلنا ثم خرجنا وذهبنا إلى رويم<sup>(١)</sup>

---

( ١ ) فتحات : ١٨٦ - ١٨٧ . . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعى إلى مأدبة  
وهي التي تسمونها الوليمة فقال : قم بنا يا على إلى البيت نأكل كسرة لتحسن مواكلتنا مع الناس .  
رمائق ٢ - ٢١٥

## فصل (٧)

روى الشيخ : أتى شاب من سمجستان إلى شیراز ، وكان مريضاً ببطنه ، وكان لنا صديق مشغول بالكسب ، له امرأة عجوز سالحة تخدم الفقراء . فحملنا هذا الشاب إلى دارها ( ص ١٧٤ ) وأوصيناها قائلين لا تبخلا عليه بخدمة تستطيعانها قط . فجاء ذلك الرجل ذات يوم : وكان متغيراً وقال : عظم الله أجركم في الفتى <sup>١١</sup> قلت : ما هذا التغير الذى يبدو فى وجهك ، قال : الليلة الماضية قال لنا الشاب : اعتنوا بى الليلة فلم يعد فى عمرى غيرها ، فقلت لزوجتى : اسهرى عليه النصف الأول من الليل . وأنا أسهر عليه النصف الثانى ، ونمت فى أول الليل ، وحينما انتصف الليل أيقظتنى زوجتى ، فأخذت أعتنى به حتى السحر ، وفجأة غلبنى النوم ، فهتف هاتف أتروح فى النوم والحق تعالى نازل بدارك ؟ فاستيقظت وأنا فى غاية الخوف ، ورأيت نورا عظيماً فى دارى ، فنظرت إلى ذلك الشاب . وكان يجود بالنفس الأخير ، ( ص ١٧٥ ) فمددت يديه وقدميه وأغمضت عينيه .

قال الشيخ : فقممت بتجهيزه وقلت لذلك الرجل : لا تتحدث بهذا الأمر مع أحد . ولا تخبر به أى إنسان .

---

(١) شد : ٤٥ : روى الحافظ إسماعيل بن أبى القاسم الهاشمى قال : سمعت الشيخ يقول : فى آخر مجلس يتكلم على الكرمى : كان فى الباهلية بشيراز رجلاً وامراً . . مما بلغ . شريح إلى قومه : أنتم والحق نازل فى دارك زعق واضطرب ووقع من على الكرمى فى حجرى ودميعه تسيل على كفى فلدت دمه ، وكان حلوا . ما أنتفع الشيخ بعد ذلك قط . ففحت ٢٢٦ .

## فصل (٨)

قال الشيخ : كان أبو العباس بن سريج القاضي من جملة الأئمة الكبار ، وقد أدرك صحبة الجنيد ، وكان أيضا من بين تلاميذ الحارث المحاسبي ، كما كان له مع كبار المشايخ حق الصحبة ، وكان يجعل كلام الصوفية كثيرا ، أما المشايخ فكانوا غير ذوى قيمة لدى علماء شيراز أنفسهم ، كما كانوا يعدونهم من الجهلاء ويحتقرونهم ولا يعاملونهم معاملة الند للند ، حتى أتى أبو العباس بن سريج إلى شيراز .

وحينما جاء كان يظهر إجلاله لهذه الطائفة ، وكان يقول دائما في مجالس العلماء : لقد وصلت إلى ما أنا فيه ببركتهم ، ووجدت ما وجدت من صحبتي لهم (١) . وكانت هذه الطائفة تحترم ابن سريج دائما (ص ١٧٦) كما كان له في قلوبهم وقع كبير ، وفي باطنهم منزلة عظيمة .

ومما يروى في ذلك أن عبد العزيز البحراني ذهب إلى مجلسه وقال : ياسيدي متى يكون الوقت الذي تحفظ فيه الخراف من الهلاك ؟ قال : في وقت يُعلم أنه وقته ، ثم قال : يا أختي هذا علم شريف . ينبغي له مجلس خاص . فمتى وجدت عندك نشاطا وفراغا أخبرني حتى أعد لكم مجلسا خاصا .

---

(١) نسبي ٢ - ٢٨ : عن أبي العباس بن سريج أنه تكلم يوما فأعجب به بعض الحاضرين

## فصل (٩)

قال الشيخ رحمة الله عليه : كنت جالسا في المسجد الجامع مع المشايخ . وقد شرعوا في شرح مسألة : وأنا أنصت إليهم ، فرأيت رجلا قد ارتدى ثوبا حسنا : وألقى تحته بحشية لطيفة ،<sup>(١)</sup> وسألني عن المشايخ شيئا شيئا ، وأخذت أقول له : هذا فلان وذلك فلان ، ثم أنصت إلى المشايخ ثانية ، فنهض ذلك الرجل وجلس<sup>(٢)</sup> في زاوية ، فدخل مريدو الجنيذ إلى الجامع ، وحينما رأوه قصصوه ( ص ١٧٧ ) وأخذوا يبدون له الاحترام ، وجلسوا إليه ، وحين رأيت هذا الأمر ، علمت أنه رجل ذو شأن ، فذهبت وسلمت عليه .

وسألت مريدى الجنيذ : من يكون الرجل ؟ فأجابوا : هو من كبار شيوخ الجنيذ ، وله كلام حسن ، فعدت وأخبرت المشايخ ، وذهبنا جميعا إلى منزله ، واستأذنا كثيرا حتى خرج إلينا ، وحمل المشايخ إلى داخل الدار ، فقدم له المشايخ كثيرا من الأعذار قائلين : لم يكن عند الإخوان علم بقدوم الشيخ ، والآن جئنا إليه لنعتذر ، ولنقوم ببعض حقوق الخدمة ، قال : لاضير إذ جئت لهذا الأمر ، ولكي أدرك صحبتكم ، وحينئذ مات أبى وترك لى أختين صغيرتين . وقد طمع بعض الناس في مال هاتين اليتيمتين ، فخطر لى أن رعايتهما لازمة على الآن ، ومن الواجب المحافظة على حقوقهما ،

---

( ١ ) في النص الفارسي جملته وصحتها جامع . المترجم .

( ٢ ) في النص الفارسي ينشت وصحتها بنشت . المترجم .

والآن معى بضاعة لهما ، فأنا عازم على الذهاب إلى فسا . وإن شاء  
الله ألحق بكم قريبا (ص ١٧٨)

### فصل (١٠)

روى الشيخ رحمة الله عليه : فخرجنا من عنده ، وذهبنا إلى  
جعفر الحذاء . وروينا له ما حدث ، فاستحسنه وقال : عودوا معى  
الآن ، فعدنا معه وذهبنا إليه . ودخل فى نقاش مع جعفر .

وسأله المشايخ أيضا عن بعض المسائل ، قال : لست الآن فى  
هذا المقام ، ولكن تحدثوا أنتم فكلامكم فى غاية الجودة والكمال .  
فكان يقوم للكلام بكل حقوقه . ثم قال ذلك الرجل : إن كل من  
يكون اعتصامه على وجه الأرض بالله : واعتماده على كرم الحق ولطفه ،  
ينبغى ألا تعترضه الواردات .

وحينما قال هذه العبارة ، أطلق جعفر صيحة . وغاب عن وعيه ،  
وحين أفاق نهضنا وخرجنا . وذهب الرجل أيضا . ثم سمعت بعد  
ذلك أن هاتين الصبيتين قد وافاهما الأجل ، وورث هو المال ، فخرج  
منه كله ووزعه ، واتخذ طريق الدراويش (ص ١٧٩)

### فصل (١١)

روى الشيخ رحمة الله عليه كان هناك شخص يسمى  
أبو الأديان ،<sup>(١)</sup> وقد أطلقوا عليه هذا الاسم ، لأنه كان يتحدث  
فى كل دين . وكان له غلام اسمه أحمد .

---

(١) كنيته أبو الحسن واسمه « على » كما روى الأنصارى (ص ١٣) والحكاية عنده حدثت  
مع يهودى . المترجم .

وروى هذا الغلام : جرت ذات يوم مناقشة بين أبي الأديان  
ومجوسى ، فقال أبو الأديان : إن النار تعمل بإذن الله تعالى ، وقال  
المجوسى : بل تعمل بطبعها لا بإذن الله . وإذا أثبتت بالتجربة ،  
أن النار تعمل بأمر الله تعالى أوافقك ، وأؤمن بدينك ، وأهجر  
دينى ، فاتفقا على أن يشعلا نارا ويدخل أبو الأديان فيها .

ووصلت هذه الحكاية إلى مسامع الناس ، وانتشرت بينهم ،  
حتى وصلت إلى الحاكم : وحضر الناس معه ، وأحضروا حطباً كثيراً ،  
وأضرموا نارا عظيمة : وحينما احترقت كلها ، وصارت جمراً ،  
بسطوها وكان أبو الأديان . قد فرش سجادته وأخذ يصلى : وحينما  
سلم ، نهض : وسار على تلك الجمرات ، وحينما وصل إلى نهايتها  
(ص ١٨٠) التفت إلى المجوسى . وقال : أيها المجوسى أيكفبك  
هذا أم لا فأعود ؟ ! وحينما قال هذا الكلام : ظهر ألم على وجهه .  
ثم أسلم المجوسى .

قال أحمد : وحينما جاء الليل . كنت أدلكه ، فرأيت آكلة  
قد برزت بأسفل أصابع قدمه ، بحجم التفاحة ، قلت : ما هذا أيها  
الشيخ ؟ قال : حينما كنت أسير على النار ، كنت غائبا عن نفسى ،  
وحين وصلت إلى آخرها ، حضرت وقلت هذا الكلام ولو كان هذا  
الحضور وسط النيران لاحتترقت .



## فصل (١٢)

روى الشيخ رحمة الله عليه : قدم أبو السائب الخطيب إلى  
شيراز ، وكان في سالف عهده خطيب بيت المقدس .

وروى : رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أن هاتفا يهتف بى :  
أنفذ تلك المرأة التى غرقت فى البحر . وحينما استقيظت تجاهلت  
الأمر ، ثم رأيت نفس الحلم للمرة الثانية . وتجاهلته أيضا ،  
حتى رأيت للمرة الثالثة : وفى اليوم التالى جمعت الغواصين ،  
إلى بركة بنى إسرائيل ، وقلت لهم : ( ص ١٨١ ) غوصوا  
فى هذه البحيرة لعلكم ترون شيئا ، فغاصوا مرتين أو ثلاثا ، فلم  
يجدوا شيئا ، وكان من بينهم واحد أجادَ صنعة الغوص ، فغاص  
وانتشل جثة امرأة غريقة . فسألت الناس : أتعرفون هذه المرأة  
فلم يعرفها أحد ، وحينما أتى الليل ، وأردت أن أدفنها ، كانت  
عندى ثياب إحرامى ، وكنت قد ادخرتها كفننا لى . وكان ثمنها  
مائة دينار ، فقلت لنفسى : فلا أكفنها بها . فلم تطعننى نفسى  
وبخلت بها ، فاشتريت ثوبا آخر بمائة درهم ، وكفنتها به  
ودفنتها .

وكان من عادى كل صباح أن أودى الصلاة فى جماعة ،  
وذات يوم صليت الصبح . وحين أضاء الجو ، رأيت شيئا  
أبيض كان قد تدلى من أعلى المحراب ، فقلت لأحدهم : انظر

ماذا يكون هذا الشيء؟ فمد ذلك الشخص يده ، وكان ثوبا أبيض وأحضره إلى ، وحينما نظرت إليه : وجدته ذلك الكفن الذى كفنت به المرأة ، ورأيت فى طرفه رقعة مثبتة مكتوب فيها لقد بخلت بكفنك . فاسترد هذا الآن . فهو غير مقبول (ص ١٨٢) .

### فصل (١٣)

روى الشيخ رحمة الله عليه : قال لى أبو الحسن الحكيمى<sup>(١)</sup> ذات يوم : لو أنى زاولت طريقتكم ، لكنت الآن وحيد عصرى ولكنى سرت فى طريق الفقهاء . فلا جرم أن أمشالى فى الدنيا كثيرون وروى الحكيمى : سألت الجنيد عن حال أحد المشايخ قائلا : أيجوز الاقتداء به ؟ قال : إن وجدت فيه العفة والقوت الحلال يجوز الاقتداء به ، وإلا فاتركه (٢) .

### فصل (١٤)

وقال أبو الحسن الحكيمى هذا أيضا : سمعت من الجنيد أنه قال : ذات مرة كنا جماعة جالسين إلى السرى السقطى ، وكنت أصغرهم . قال السرى : قولوا ما الذى يذهب النوم ؟ فآخذ كل شخص يقول شيئا ، فقال أحدهم : الجوع وقال آخر العطش وقال ثالث : كثرة المجاهدة ، حتى وصلت النوبة إلى ، فقال لى السرى (ص ١٨٣) : ماذا تقول يا بنى ؟ قلت حينما يكون

---

(١) فى النفحات أبو الحسين . ص ٢٥٣ المترجم .

(٢) نفحات : ٢٥٣ : ٢٥٤ .

نقّب علما أن الله مطلع على كل نفس يتنفسه ، فإنه لا ينام  
مقال : أى بنى لقد أحسنت القول قم وتعال إلى ، فذهبت إليه  
وأخذنى معه . ومنذ ذلك الوقت فما بعد وأنا مقدم القوم<sup>(١)</sup>

### فصل (١٥)

وقال الحكيمى هذا أيضا : كنت فى بغداد ، وذات يوم خرجت  
من البادية . وكان معى شىء من الطعام ، وطلبت أحدا يشاركنى  
فى أكله ، فرأيت شخصا يرتدى مرقعة ، وكنت أعرفه ، ووقعت  
فى مجالسته . وكان نائما تحت هدف موضوع لرماة السهام ،  
فتقدمت إليه وأيقظته وقلت له : تفضل وشاركنى ولناكل لقمة  
معا . فقال : لا أريد أن تملاّ قربتى ، فإذا كنت تريد شيئا آخر  
فمر . قلت : أخرج رأسك من هذا الموقع قال : لا أفعل . فجهدت  
كثيرا فلم يقبل . فتركته ومضيت ص (١٨٤) .

### فصل (١٦)

روى الحكيمى : كان السبب فى توبتى من التجارة . أنه كان  
بجوار دكانى دكان يهودى ، وكان هو الآخر يشتغل بالتجارة ،  
وذات يوم شتمت أحد الناس ، فقال لى ذلك اليهودى : أيجوز  
لك أن تشتم بهذا اللسان الذى تذكر به الله عز وجل ؟!! ، فاندفعت  
غاضبا وشتمته هو الآخر . وسخرت منه كثيرا ، فنهض اليهودى  
ودخل الدكان وسجد وقال : يارحمن ، يارحمن ، أيليق أن

---

(١) نجات : ٢٥٣ . . . قلت : علم القلوب باطلاع الله على كل نفس بما كسبت .

يشتموا باللسان الذى يذكرونك به ، وحين سمعت هذا الكلام  
داخلى حزن وندم ، فنهضت فى الحال من الدكان ، وتركت  
الدنيا والتجارة ، وذهبت لخدمة العلماء والمتصوفة

## فصل (١٧)

روى الشيخ رحمة الله عليه : كنت قد جلست ذات يوم  
على ضفة نهر مع أبى الغريب <sup>(١)</sup> ، الذى كان يعتقد اعتقاد  
أهل الحلول . وكان ماء النهر شديد الصفاء . وهو يجرى <sup>(٢)</sup>  
على الحصى المبعثر ، وحوله العشب والخضرة . قال : يا أبا عبد  
الله أهو ماء ذلك الذى يجرى أم شئ آخر؟ قلت : هو ماء ذلك  
الذى يجرى . فضحك ، ففهمت ماذا يقول فقلت : أسكت لا بارك الله  
فيك . (ص ١٨٥)

## فصل (١٨)

روى إسماعيل الزين : جاء أبى الغريب إلى شيراز وكان شتاء  
قارس البرودة . فأعطاه الشيخ أبو عبد الله غطاءً فذهبت الدراويش  
إليه ، فأعطاهم الغطاء فباعوه ، واشتروا بثمانه طعاما .  
وذهب إليه الشيخ ذات يوم ، ونظر إليه ، فقال له : لا تنظر  
إلى ، ولا تشغل خاطرك . فمنذ أن وهبت الدراويش الغطاء عاهدت  
نفسى ألا أضع على جسدى غطاءً « ما دمت حيا » .

( ١ ) أبو الغريب الأصفهاني : انظر ترجمته فى النسخات ص ١٠٩ .

( ٢ ) فى النص الفارسي مديريد : ولعلها يدويده . المترجم .

## فصل (١٩)

روى الشيخ رحمة الله عليه : حينما قدم أبو الغريب إلى شيراز ، كان يتردد على مسجد أبي الحسين بن مقدار ، وكان أبو الحسين من زهاد زمانه ، فأتاه أحد جيرانه ذات يوم وقال له : لقد جاء أحدهم ويريد أن يصنع من هذا الموضع ساباطاً<sup>(١)</sup> ومن الأولى أن تمنعه ، فقام أبو الحسين وارتدى ثيابه ، وقام معه مريدوه . وقال أبو الحسين لأبي الغريب : قم معنا أنت أيضا ، فقال أبو الغريب : أقعد يا أبله فليت الله جعل الدنيا كلها ساباطا . (ص ١٨٦) .

## فصل (٢٠)

قال الشيخ : روى إسماعيل المزين : قدم أبو الغريب إلى شيراز ، ومرض فأوصى : إذا مت فادفنوني في مقابر اليهود ، قلت ولم ؟ وما مرادك من هذا ؟ قال : دعوت الله مرات قائلا : يا إلهي إذا كنت صادقا في دعاوى هذه . فلا تمتني ولا تقبض روحي إلا في طرسوس ، فإذا مت في شيراز ، فمعنى ذلك أنني لست على شيء . ثم شفاه الله تعالى . وذهب إلى هناك ومات (٢) .

## فصل (٢١)

روى الشيخ : كان لعمر بن الليث معلم معتزلي يقوّن بالقدر ، وكان يعلمه كل آن عدة كلمات عن القدر ، آملا

---

( ١ ) هكذا في الأصل وهي عربية وتعني سفينة بين دارين تحتها طريق نفذ . أحسن تبليغة

فى أن يتبعه عمرو بن الليث . ويعتقد فى مذهبه . وكان عمرو يعلم غرضه ، كما كان على اعتقاد أهل السنة والجماعة . فلم يكن يلتفت إلى كلامه

وحدث ذات يوم (ص ١٨٧) أن طلب عمرو صاحب شرطته وقال له : إني لا أستطيع أن أقيم الحدود كما أريد ، لأننى كلما أمرت بمعاقبة أحد ، أتى جمع من الناس إلى ، وتشفعوا فيه ، والآن وأنت صاحب شرطتى ، أشر لك بإشارة تكون علامة بينى وبينك بحيث إني كلما أردت معاقبة أحد . تكون هذه الإشارة بينى وبينك : فقال : تفضل فقل هذه الإشارة ، فقال عمرو : حينما أضع يدي على جبهتي ، تكون إشارة أن عليك أن تجلد هذا الشخص الذى أودعك إياه خمسين سوطا .

واتفق ذات يوم أن كان معلم عمرو بن الليث جالسا أمامه . فدخل صاحب الشرطة ، ونهض المعلم وخرج ، واتفق أيضا أن عمرا . كان قد نسي الإشارة التى اتفق عليها مع صاحب شرطته ، وكان يعانى صداعا بسيطا ، فوضع يده على رأسه ، فظن صاحب الشرطة أنه يقول له : انهض وامض فاجلد المعلم خمسين سوطا ، فنهض ومضى فى أثر المعلم ، وقبض عليه ، وحمله إلى دار الشرطة وأودعه الجنود . وأمرهم بضربه خمسين سوطا ، فسحب الجنود المعلم من قدمه . والمعلم يصرخ (ص ١٨٨) ويقول : لاتفعلوا ، وأخبروا عمرا بالأمر ، لقد اشتبه عليكم الأمر بينى وبين آخر .

ومهما أكثر القول ، لم يجد ذلك فتىلاً : وجلدوه خمسين سوطاً ،  
وبلغ هذا الخبر مسامع عمرو : فأخذ يحوقل آناً ، ويضرب كفاً بكف  
ويضحك ويقول : أى عذر أقدمه للرجل ؟

القصة : بينما كان يفكر فى ذلك ، تذكر مسألة فى اعتقاد  
المعتزلة : فقال : أحضروا هذا الرجل حتى أعتذر له : فحملوه إلى  
عمرو ، فاعتذر له كثيراً ، وأقسم أنه لم يأمر بهذا ، ولكن الله تعالى  
أمره . ثم قال : يا أستاذ ، لى فى هذه الواقعة سؤال ، فقال المعلم :  
تفضل فسل ، فقال : لاشك أننى لم أكن أريد منهم أن يضربوك ،  
وأنت أيضاً لم تكن تريد أن تضرب : ولم يكن الجنود يريدون  
ضربك . وفى اعتقادك أن الله تعالى لم يكن يريد لك الضرب ، بل  
فى اعتقادك أن هذه هى إرادة إبليس ، فهو الذى كان يريد لك أن  
تضرب .

سبحان الله كيف يصح أن (ص ١٨٩) تتغلب إرادة إبليس على  
إرادة الله ، وإرادتى ، وإرادتك . وإرادة صاحب الشرطة والجنود ؟ !  
والآن صار معلوماً أن مذهبك ومعتقدك خطأ وباطل .

ثم طلب صاحب الشرطة وقال له : خذ معلمى هذا واضربه مائة  
عصاً كاملة ، فهو يستحق ما هو أسوأ من ذلك ، حتى يرجع عن مذهبه  
واعتقاده هذا ، وإذا لم يرجع أخرجه من المدينة ، حتى يعلم أن هذا  
هو مذهب العمياء والضلالة .

## فصل (٢٢)

روى الشيخ رحمة الله عليه : رأيت أبا بكر العطار (١) صاحب الجنيد ، فأخذ يسألني عن أحوال مشايخ شیراز ، فأخذت أقول له ما علمت قال : كنت ذات مرة في شیراز ، وكان عندي ثوب أبيض ، كما كنت أقيم في دار المصاحف ، وأذهب كل يوم إلى المشايخ ، وأستمع إلى حديثهم ، ومر على اثنا عشر يوماً لم يدخل جوفي طعام ، فخرجت من شیراز ، ووصلت حتى نوبندجان ، ولم يصادفني طعام آكله ، ولم يعلم أحوالي قط إلا الله تعالى ، وحينما وصلت إلى ذلك الموضع ، فتح الله تعالى علي وأكلت . والله أعلم بالصواب ( ص ١٩٠ ) .

---

( ١ ) لعله أبو بكر العطار الحنفي : 'نظر نفحات ص ١٧٩ ، أنصاري : ص ٣١٦



## الباب التاسع

### في شرح الأحلام التي رآها الشيخ

والأحلام التي رآها بشأنه المشايخ الآخرون . وفيه أيضا عدة فصول

#### فصل (١)

روى الشيخ : أتى على حين من الدهر لم يدخل جوفى طعام عشرة أيام ، فرأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أن جبريل عليه السلام قد نزل وأمسك بي ، وحملني إلى السماء ، وكل سماء كنت أطويها ، كنت أراها ، وكأنها ماء كثير ، يسقط في قاعة حجر ، وهكذا ظل يحملني من سماء إلى سماء ، حتى وصلت إلى السماء السابعة ، فرأيت هناك أرضا كأنها أغصان مجدولة بالذهب ، فأجلسني جبريل هناك ، وانتحى جانبا ، وأشار إلى قائلا : انظر إلى الأثير ، فنظرت ، ورأيت عرش الباري تعالى ، وعلى يمين العرش ، رأيت رسولنا وإبراهيم الخليل عليهما صلوات الله واقفين ، وقد ارتدى كل منهما ثوبا أبيض ، وعلى يسار العرش رأيت موسى عليه السلام قد ارتدى مئزرين كأنهما برد يمني ، (ص ١٩١) وكان قد مد إصبعه ، وطأطأ رأسه ، وبقى صامتا . ورأيت موسى على هيئة رجل ذي محاسن طويلة ، قمحي اللون . ورأيت عيسى صلوات الله عليه يروح ويحجى بوجه نضر مهلل أبيض ضارب إلى الحمرة ، وحينما رأيتهم ، غشمتني هيبه وجلست على ركبتى ، فجاء رسولنا صلوات الله عليه ، وأمسكني من ساعدي ، وأوقفني على قدمي، فسقطت ثانية. فأقامني. أيضا ولم يزد على هذا الحد من روايته ، بل قال : رأيت ما رأيت .

## فصل (٢)

روى الشيخ : رأيت فيما يرى النائم ، كأننى كنت نائما ، وجاء الرسول عليه الصلاة والسلام فأيقظنى وقال لى . يا أبا عبد الله كل من يسألك طريقا فيه نجاته ، ويرجع عنه ، يعذبه الله تعالى عذابا لا يعذبه أحد ، <sup>(١)</sup> فاستيقظت وأنا أتلو هذه الآية : « فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّى أَعَذُّهُ عَذَابًا لَّا أَعَذُّهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ » <sup>(٢)</sup> .

## فصل (٣)

قال الشيخ : رأيت أبا يزيد البسطامى فى النوم جالسا ، وقد ارتدى ثوبا أبيض له كُمَّان طويلا ، وكان الملائكة يأتون فيقبلون كفى رذائه .

## فصل (٤)

روى الشيخ رحمه الله عليه : رأيت فيما يرى النائم . أننى كنت جالسا فى المسجد الجامع ، وكان أبو القاسم الصفار معى ، فدخل عيسى عليه السلام فسلم علينا ، فنهضت وقلت : ياروح الله ، يقول الله تعالى فى قرآنه . إنك كنت تخبر قومك بما يأكلون ويدخرون فى بيوتهم <sup>(٣)</sup>

( ١ ) رسالة : ٢٣٤ : من عرف طريقاً إلى الله فليسله ثم يرجع عنه غاب عنه الله عذاباً لم يعذب به أحدا من العالمين ، تذكرة ١٢٧-٢ ( هنا ١٧ ) ، الشعرائى ١٢٠١ .

( ٢ ) المائدة ١١٥ وفى النص الفارسى ( من ) وهو خطأ .

( ٣ ) مصداقاً للآية الكريمة « وأنبئكم بما تآكلون وما تدخرون فى بيوتكم » آل عمران ج ٤

فقل لي : ماذا أكل أبو القاسم الصفار في بيته ليلة الأمس ، قال :  
لقد أكل جبنا أبيض ، ولا يزال في بيته جزء منه : وفي اليوم التالي  
جاء أبو القاسم إليّ فقلت له : احضر ما تبقى من جبن أبيض في الدار ،  
فاندهش أبو القاسم وقال : كيف علمت أنني أكلت جبنا أبيض ،  
وأن شيئاً تبقى منه ؟ فقلت : سمعت من عيسى صلوات الله عليه  
ورويت له ماجرى فقال : لقد صدق والله . ليلة الأمس اشتريت  
بعض الجبن الأبيض ، وبقي جزء منه .

( ص ١٩٣ )

## فصل (٥)

قال الشيخ : رأيت فيما يرى النائم أن ممشاد الدينوري قد رفع  
يده إلى السماء ، وأخذ يقول : يارب القلوب . يارب القلوب . والسماء  
تقترب منه ، حتى صارت فوق رأسه فانشقت وانتلعت .

## فصل (٦)

قال الشيخ : حينما كنت أُصنف كتاب « جامع الإرشاد »  
كنت بعضه وانتابتنى فترة ، وكان هناك رجل خراساني يقد على  
بين الآن والآخر ، فأتاني فجأة وقال : بينما كنت قادما في الطريق  
من خراسان . رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم : فقال لي :  
إلى أين ذاهب ؟ قلت : إلى شيراز فقال : أبلغ عبد الله ابن خفيف  
منى السلام ، وقل له أتم ذلك الكتاب ، وحينما قص علي هذا الحلم  
واصلت العمل وأتممت الكتاب .

## فصل (٧)

قال أبو الحسن : سمعت من امرأة صالحة قالت : رأيت في النوم أن جروكلب في طرف ردائي ، وأنه إبليس ، قلت ( ص ١٩٤ )  
بأى سبيل أدفع وسوستك عن نفسي ؟ قال : سلى أبا عبد الله  
ابن خفيف ، فأتيت الشيخ ، ورويت له وما رأيت في النوم ، فبين لي  
طريقة دفع الوسوسة .

## فصل (٨)

روى أبو الحسن عن عبد الواحد بن أحمد : نسخت بعض  
مصنفات الشيخ . ثم حدثت بيني وبينه جفوة<sup>١</sup> ، فهممت بأن  
أمحو<sup>(١)</sup> ما كتبت ، ثم ندمت بعد ذلك ، فهممت ثانية بأن أتم  
كتابتها ، فرأيت الرسول صلى الله عليه وسلم آفيا يرى النائم ذات  
ليلة وقال : أسرع فاكتب ، فهذا نفع لك في الدنيا والآخرة .

## فصل (٩)

وسمعت من أبي الحسن الباهلي : ذات يوم جرى بيني وبين  
أبي عبد الله بن خفيف عتاب ، فهتف بي هاتف في النوم :  
يا أبا الحسن أتعاتب رجلا من أهل الدين واليتيم ، فقم من النوم .

( ص ١٩٥ )

---

( ١ ) في النص الفارسي : بشورم وهي خطأ وصحتها بشويم . المترجم .

## فصل (١٠)

وسمعت من أحمد بن محمد : أصابني قولنج ، عجز الأطباء عن شفاؤه ، ورأيت الشيخ في النوم يقول : يا أحمد ما وقع لك ؟ قلت : يا شيخ لقد أقعدني هذا المرض ، فقال : طب قلبا فغدا يسكن ، فقممت من النوم وقد تفتح طبعي وسكن الألم ، ولم يصبني هذا المرض بعد ذلك قط .

## البَابُ الْعَاشِرُ

### في شرح كرامات الشيخ وفيه أيضا عدة فصول

#### فصل (١)

يقول أبو الحسن : أقام الشيخ مأدبة في رباط أبي أحمد الكبير ، ودعا إليها مشايخ المدينة جميعا ، كما دعا العلماء وأصحاب الحديث ، وكان الشيخ قد انتحى جانبا من الطريق يرى كل من يدخل ، فاندس شخص بين الناس ، فقال الشيخ لأبي الطيب القزويني : لا تدع ذلك الشخص يدخل .

قال أبو الطيب : ففكرت بيني وبين نفسي : لأي سبب يقول الشيخ ذلك؟ ما الذي ينقص كل هؤلاء الخلق أن يحضر معهم أيضا . وكرر الشيخ كلمته ، وتجاهل أبو الطيب .

وبعد ساعة خرج محمد أخو أبي على الكيال وهو يضحك ، قال الشيخ : ماذا يضحكك؟ قال : هذا الشخص الذي أمرت أبا الطيب ( ص ١٩٧ ) بالألا يدخله ، وتجاهل هو حتى دخل ، مزق جيبى وأخذ بضعة دراهم كانت فيه . قال الشيخ : هذا ذنبكم ، لقد قلت مرات : لا تدعوه يدخل ولم تقبلوا .

#### فصل (٢)

قال الشيخ : كان ذكر الكرامات يجرى دائما بين أصحابنا ، ولم أكن أعلم لها معنى في نفسي . حتى عزمتم على الحج . وحين

خرجت من المدينة ، جلست في ظاهرها ، حتى مرت قافلة الحجيج  
ومر أيضا بعض الفرسان ، الذين كانوا يسировون في أثر الحجيج  
ومضوا ، ونهضت مع جماعة من أصحابنا إذ مضى الحجيج . خشية  
ألا نلحق بالقافلة ، فنهضنا وأخذنا نسير حثيثا في أثر القافلة ،  
وحين نظرنا وجدنا أننا أمام القافلة ، وأمام أولئك الفرسان أيضا .

( ص ١٩٨ )

### فصل (٣)

قال أبو أحمد الصغير : كنت أقوم بخدمة الشيخ رحمة  
الله عليه ، ولم يكن أحد غيري يأكل مما كنت أحمل من بقايا  
طعام الشيخ ، وذات يوم كنت جالسا على باب الرباط أتلو  
القرآن ، فجاء أبو أحمد الكاغدى وقال : أيها الشيخ : لقد  
عزمت على الذهاب إلى موضع ما ، وأريد الهمة والدعاء ، فدعاني  
له الشيخ

وحين صار بضع خطوات في الطريق ناداه الشيخ : وأعطاه  
رغيفا كبيرا سادخنا وقال له : ضع هذا في زادك ، فقال أبو أحمد  
فبقيت متعجبا من هذا الأمر : من أين أتى الشيخ بهذا الرغيف ؟ !  
فاغتذمت فرصة وسألت الشيخ عن ذلك ، فقال : لا تنصرف  
بطفولة وحمق لقد أحضر أحدهم لي هذا الخبز .

### فصل (٤)

قال أبو أحمد الصغير : أهدي إلى الشيخ صوفة بيضاء  
فخاط منها قميصا طمعت فيه . ومن أشدة حرصى على ذلك القميص

خلعت ردائي وألقيته في الماء ، فأنى الشيخ (ص ١٩٩) ورآنى عارياً : فقال كان في نيتي أن أعطيه لك ، ولم تكن بك حاجة ، إلى خلع ثوبك .

### فصل (٥)

قال أبو أحمد : كان للشيخ رحمه الله قميص ورداء أعطاها لأحدى جواريه لتغسلهما<sup>(١)</sup> ، فأخذتهما تلك الجارية ، ووضعتهما في النهر لتغسلهما فحملهما الماء ، فعادت إلى الشيخ وقصت له ما جرى ، فاتهما المريدون ، فقال الشيخ اصمتوا فلا يضيع قميصي ، ومرت عدة أيام . فجاء رجل إلى الشيخ ، وكان يرتدى ذلك القميص فسأله الشيخ : من أين أنيت بهذا الرداء قال : رأيته في بستان معلقاً بشجرة . فقال الشيخ : ألم أقل لكم إن قميصي لا يضيع ؟ !  
( ص ٢٠٠ ) .

### فصل (٦)

قال القاضى أبو محمد عبد الله البيضاوى : أصابنى ظلم شديد من عامل البيضاء ، فجننت إلى شيراز ، وقصدت الشيخ فى البداية<sup>٢</sup> وقلت له أحوالى . فقال : أى مكان تقصد كل يوم فابداً بى . فكنت أذهب كل صباح إلى الشيخ ، فكان يقول : طيب نفساً ، فالله تعالى حافظك ، وكنت أتبرك بدعائه ، وأذهب من عنده إلى أشغالى الأخرى

---

(١) فى النص الفارسى بشررد وهى خطأ وصححها بشريد . المترجم .



ثم ذهبت ذات يوم إلى الشيخ فقال لى : اذهب اليوم ، حاجتك مقضية . فقد ذكرت لك ليلة الأمس فى وقت لم يكن فيه بينى وبين الله حجاب . واليوم يحدث لك أمر ، فخرجت من عند الشيخ . وأخذت أردد ما قاله . وأفكر حتى صلاة العصر حين عدت إلى الشيخ ، فقال : أفضيت حاجتك ؟ قلت لا ، قال : اذهب الآن . تقضى حاجتك . ولا تجادل ، فخرجت من عنده . وقلت فى نفسى : هذه ساعة لا يمكن رؤية الوزير فيها وكان يسمى نصر بن هرون . فذهبت لزيارة صديق . وحين خرجت كان (ص ٢٠١) المغرب قد قرب ، ورأيت حاجب الوزير فقال لى : يا أبله أين كنت فالوزير يطلبك منذ الصباح ، وحملنى إلى الوزير ، فحدثته عن أحوالى ، وقلت له أيضا الكلام الذى قاله الشيخ لى . فبكى كثيرا . وقال : فى ذلك الوقت قمت من النوم ، وتذكرت أمرى ، وقلت : اليوم لا أقوم بأمر ، حتى أفضى حاجته أولا . وأردته إلى أهله .

ثم قال : مثل هذا الشيخ فى المدينة ونحن غافلون عن خدمته ، ثم قضى حاجتى وصرفنى وأرسل رسولا إلى الشيخ قائلا كل ما تراه من المصلحة فمر به ، حتى أفضيه . وأعدده غنيمة .

## فصل (٧)

قال أبو أحمد الصغير : غادر أحد الدراويش الدنيا ، وحين فرغنا من دفنه ، قال الشيخ : خذوا الدراويش لتخرج بهم إلى الصحراء ، وقال لأبى سعيد الدقاق : معك شئ ؟ قال : بلى . وأعطى

كيساً مملوءاً بالدراهم للشيخ ، فأعطى الشيخ ذلك الكيس لحسن الجواليقي وقال له : امض واشتر شيئا من أجل أصحابنا . فذهب حسن مع رجل آخر من مريدي الشيخ ، فاشترى ما يلزم ، وأعطيا الكيس للشيخ ثانية ، وردها الشيخ إلى أبي سعيد ، فنظر فيه فرأى الدراهم على حالها فغضب وقال لحسن : ألم يقل لك الشيخ اشتر بهذه طعاما من أجل أصحابنا ، لقد اشتريت بنقود أخرى . قال : والله ما كان معي درهم آخر قط . وما اشتريته اشتريته بدراهم من هذا الكيس ، ثم قال أبو سعيد : فوزنت دراهمي مرة ثانية لأنأكد ، ولم تكن قد نقصت مثقال ذرة ، وكان أبو سعيد هذا من بين صلحاء شيراز .

(ص ٢٠٢)

## فصل (٨)

قال أبو الحسن : سمعت من بعض الثقات أن أحدهم أعد مأدبة ، ودعا إليها جماعة من المشايخ ، وكان قد أنفق عليها كثيرا .

قال أبو سعيد الدقاق : ولم يكن عندي علم بهذا الأمر : فكان عندي جمل ذبحته وقلت في نفسي : ربما يأتي الشيخ إلى منزلي اليوم ، فيأكل شيئا ، وخرجت من المنزل ، وعقدت نية التوكل ، وأخذت أتلو سورة الإخلاص . وحينما وصلت إلى الشيخ ، كنت قد تلوتها ألف مرة ، ولم أقل شيئا ، حتى فرغ الشيخ من صلاته وصرف أصحابه ، ولم يبق أحد سواي

وأبو الفياض عنده . فوضع نعله<sup>١</sup> في قدمه ، وقال : يا أبا سعيد هل بنا  
إلى دارك ، فتغير أبو الفياض وقال : يا شيخ أليق أن تترك رجلا  
أنفق كل هذا من أجلك . وتذهب إلى مكان آخر ؟ فقال الشيخ  
أصمت كيف لا ، أذهب مع هذا الرجل وقد تلا سورة الإخلاص  
ألف مرة حتى جاعنى .

### فصل (٩)

قال أبو أحمد : قال لى الشيخ ذات يوم ، هناك عامل للسultan  
صديق . وقد نزل به خوف ، ويريد أن يخفى عندنا ، وقد كتب إلى  
بهذا الأمر ، فأغلق الباب<sup>٢</sup> على ، وذهب واجلس على رأس الطريق ،  
وحين يطلبنى أحد قل له : ليس الشيخ هنا .

قال أبو أحمد : فتركت الشيخ فى الدار ، وأغلقت عليه الدار ،  
وجلس فى الخارج . وجلس الشيخ داخل الدار مشغولا بالقراءة .  
( ص ٢٠٣ )

فرأيت شخصا جاء من طرف هذا العامل فى طلب الشيخ ،  
قلت : لقد خرج الشيخ . فرجع . فعدت أنا لأخبر الشيخ : أن  
رسول العامل أتى فى طلبه ، وأنى قلت له : إن الشيخ خرج ،

وحينما أتيت باب دار الشيخ كان لا يزال مغلقا من الخارج  
كما تركته . ففتحت الباب ثانية . ونظرت فلم أجد الشيخ فى الدار  
فخرجت وقلت لأبى أحمد الكبير هذا الأمر ، فقال : ربما يكون عند  
تلك المرأة العجوز فى الرباط . فذهبت إليها فقالت : لم أر الشيخ

اليوم ، فبقيت حائرا لفترة ثم عدت ثانية إلى الدار ، فوجدته جالسا في مكانه يطالع ، فقلت : يا مولاي أين كنت ؟ قال : هنا . قلت : أتيت لأخبرك ونم أجذك ، فصاح بي اذهب واطلبي كما ينبغي الطلب ، فخفضت منه وصمت .

### فصل ( ١٠ )

روى الشيخ : جاءت إلى امرأة وقالت : امرأة بالبواب من قبيلة أكراد المباركية ، وتريد<sup>(١)</sup> أن تسألك عن شيء . فنهضت ، وخرجت فقالت تلك المرأة : أيها الشيخ لقد حدث لنا واقعة عجزنا في تفسيرها ، فقلت : وما هي ؟ قالت ( ص ٢٠٤ ) ظهر فينا غلام لم يكن يأكل شيئا قط في النهار ، ولم يكن يتحدث مع أحد ، ولم يشاركنا في أعمالنا ، وكان يعمل بالرعي ، فكان يترك الأغنام ترعى . ويشغل بالصلاة في مسجد ، وكان قد بناه بنفسه .

وفي الأيام الأخيرة مرض ، فأقمنا من أجله ظلة فبقى فيها ، وعصر ذات يوم ، وكان بعض الفرسان غير موجودين وبعضهم غافلين ، نهض وأخذ يدور حول نفسه كالطاحون ، وأسرعت أمه لتجذبه إليها فارتفع عن الأرض ، وأخذ يسير في الهواء ، ويرتفع حتى غاب عن أعيننا وأخبرنا رجالنا عن ذلك فنهضوا وطاقوا بالجبال عليهم يجدون عنه خبرا ، وعادوا ولم يجدوا له أثرا .

---

(١) النص الفارسي : ومي خواهم وهي خفت وصحت . رمي خواهد .

قال الشيخ : فبقيت حائرا ، وظنت المرأة أن عندي شكاً في روايتها ، فصاحت . ودعت جماعة من النسوة ، فأتين وقصصن الواقعة على وجهها هذا . قال محمد بن أحمد بن أميروه : سمعت من الشيخ هذه الحكاية كان يرويها بين أصحابنا . وكان أحدهم واقفا فقال : أيها الشيخ أهذا من جملة المحككات فقال الشيخ : يا جاهل : هنا رجل ينتظر هذا الأمر . وكان يشير بهذا إلى نفسه

### فصل ( ١١ )

روى أبو النصر الطوسي : خرجت مع الشيخ رحمة الله عليه من المسجد الجامع . وحينما وصلنا إلى حي « بال رود » لطمني ثمل نظمة شديدة ، فنظر إلى الشيخ وقال : ما هذا ؟ قلت : هذا ( ص ٢٠٥ ) الثمل لطمني ، قال : قطع الله تعالى يده .

وبعد يومين أو ثلاثة ، كنت أمر أيضا « ببال رود » ، وكان الخلق قد تجمعوا . وحين نظرت . رأيت ذلك الرجل الذي لطمني ، وقد ضرب بالسيف ، وفصلت يده عن ساعده . فجئت في الحال إلى الشيخ وقلت له الأمر فقال : أنت أرسلت إليه هذا البلاء .

### فصل ( ١٢ )

روى الشيخ : كنت ذات ليلة نائما فوق سطح المسجد ، فرأيت رجلا أيقظني وقال : تريد أن ترى ليلة القدر ؟ قلت : بلى ، ثم رأيت نورا عظيما قد ملأ الافاق ، بحيث رأيت جماعة من الخطابين ، قد مدوا أيديهم إلى حطب أمامهم ، وناموا في طريق الجباه <sup>(١)</sup> .

---

( ١ ) أى رأى إلى حدود البلد ، حيث أن الجباه يكمنون للمارة .

وقال الشيخ : رأيت ليلة القدر مرة أخرى ، وقد نور العالم بحديث  
رأيت أعشاش العصفير على رؤوس الشجر .

### فصل (١٣)

روى الشيخ : لم أنم ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، على  
أمل أن أرى ليلة القدر ، وفي وقت السحر غلبني النوم ، ( ص ٢٠٦ )  
فصعدت إلى السطح ، حتى تدفع عني البرودة النوم ، وكانت أُمى في  
حجرة دافئة وقد غلبها النوم . فقامت من النوم ونادتني ، وكان النوم  
حينذاك قد غلبني ، ففرغت من النوم ، وأسرعت نازلا وقلت : ماذا  
حدث ؟ قالت : ألا تدري لقد ملأ النور دارنا ، ونور العالم بأجمعه ،  
فمخفت وقلت لنفسي : يا سبحان الله ، عانيت أنا كل البرد ، ولم يكن  
لي نصيب ، ولم أجد مرادى ، وكانت نائمة في حجرة دافئة ووجدت  
مرادى .

### فصل (١٤)

قال أبو سعيد النساج : سمعت من الشيخ أنه قال : حينما أمضى  
من الدنيا لن تجدوا أحدا له قدم في مقام التصوف ، وهكذا كان ،  
فحين مات الشيخ لم يكن أحد يستطيع أن يقوم مقامه .

---

(١) شد : ٣٦٨ : روى أن الشيخ قام ليلة من رمضان في العشر الأخير ليذكر قدرها ، فيجمل  
يصل على سطح الدار ( هكذا ) وكانت والدته في البيت متوجهة إلى الله تعالى ، فكوشت بأنوار  
القدر ، فنادته يا محمد يا ولدى ههنا . ما تطلبه فنزل الشيخ عن السطح فراها في تلك الأنوار ، فوقع  
في قدمها حتى أخذ منها بنصيب ، وكان الشيخ بعد ذلك يقول الآن أعرف قدر الوالدة . نفحات :

وقال أبو سعيد : سمعت من الشيخ في اليوم الثامن من ذى الحجة ،  
قال أثناء حديثه : أعرف قوم يقومون بزيارة الرسول صلى الله عليه  
وسلم اليوم ، وهم اليوم هنا وغدا يقفون مع الخلق في عرفه .

وقال عبد الرحيم : حينما وقع محب دنقش في شيراز ، كان الناس  
يحملون شكاتهم من ظلمه إلى الشيخ ، ويلتمسون منه الدعاء عليه ،  
ولم يكن الشيخ يقبل . وحينما جاوز ظلمه الحد ، قال الشيخ ذات ليلة  
في سجوده : اللهم اشغله بنفسه . وفي اليوم التالي قلت للشيخ :  
سمعتك ليلة الأمس تدعو قال : لقد جاوز ظلمه الحدود . وبعد أيام  
معدودة ، وصل خطاب ( ص ٢٠٧ ) بأن يطلق المساجين ، وترد  
الأموال المصادرة ، وحين استفسرنا عن سبب ذلك قالوا : أصابه  
صرع في سفح الجبل ، وجن . ثم مات على أقبح صورة .

قال عبد الرحيم : كان الشيخ يدعو دائما هذا الدعاء : اللهم  
لا تجعل وفاتي في يوم مطير ، ولم أكن أعلم السبب في هذا الدعاء ،  
وبعد وفاة الشيخ ، علمت لماذا كان الشيخ يدعو هذا الدعاء ، وحين  
رأيت جنازته على تلك الصفة ، علمت أنه كان يعلم في حياته  
أن كل هذه الرحمات ، تكون على جنازته بعد وفاته والله أعلم .

( ص ٢٠٨ )

## الباز الحارثي عشرين

### في ذكر مشايخ الحديث الذين استمع الشيخ إليهم

أما من شيراز فمنهم : أبو بكر محمد سعيد بن إسحق العتايدي ،  
وأبو أحمد بن محمد الشعيري المعدل . وعبد الله ابن سحطان بن أبي  
محمد الإمام ، وأبو بكر محمد بن سمعان بن عبد الله . وعبد الله  
ابن عمران المعروف بأذران الخياط ، وإبراهيم بن أحمد بن روزبه ،  
وعبد الله بن جعفر الأزركاني صاحب يعقوب بن سفيان ، ومحمد  
ابن علان بن أويس . وأبو عبد الله محمد بن جعفر التمار ، وعبد الرحمن  
ابن نصر بن غيلان ، وأبو بكر محمد بن يحيى بن علي بن الخطيب ،  
وإسماعيل بن عبد الله السقطي صاحب أبي بكر بن خثيمة ، وأبو القاسم  
محمد بن إسماعيل ، وأبو المثني أحمد بن إبراهيم الربضي ، وأبو بكر  
محمد بن زيد .

ومن الغرب : حماد بن مدرك الفستحاني ، وعلي بن سعيد العسكري  
وأحمد بن محمد بن السكر القرشي . وعبد الله بن سعد الدقي ،  
وإبراهيم بن حميد البصري ، وعبد الملك بن حنبل القهمي ، وأبو الطيب  
النعمان بن أحمد القاضي الواسطي ، وأبو العباس أحمد بن عبد الله  
بن نصر بن كيسان القاضي ، وأبو السائب عبد الرحمن بن محمد  
الهاشمي . والزبير بن محمد الحافظ البغدادي ، ومحمد بن أحمد  
راشد الأصفهاني صاحب أبي مسعود الرازي ، وعلي بن أحمد القاضي



ابن كردى ، والقاضى محمد ( ص ٢٠٩ ) بن أحمد بن سهل البركانى ،  
وأبو محمد عبدان بن أحمد الهمداني المفسر . وأبو الحسن على  
ابن الحسن الجرجاني . وأبو بكر أحمد بن أبيان الشارداني . وسليمان  
ابن أحمد بن أيوب الأصفهاني الحافظ . وأبو الحسن أحمد بن محمد  
ابن عمر الأصفهاني صاحب ابن أبي الدنيا . ومحمد بن يزداد بن أذين  
الجورى ، وأبو جعفر المارستاني .

ومن البصريين : حينما كان عائد من الحج سنة ٣٠٠ لقي أبا خليفة  
الفضل بن الحباب الجمي ومن في طبقة .

ومن البغداديين — محمد بن جرير الطبري ، وأبو بكر بن أبي  
داود ، ومن في طبقة مثل الباغندي . وابن صاعد وغيرهما .

ومن أهل فسا — أحمد بن يحيى المعروف بجور . وعلى بن الحسين  
بن معدان . ومحمد بن إسماعيل .

ومن الأصبطخريين — محمد بن أحمد السوقى القاضى .

قال محمد بن على : لم يجلس الشيخ طوال عمره لإملاء الحديث  
إلا مرة واحدة . وكان ذلك بعد أن أنحوا عليه كثيرا ، وحين جلس  
لم يكن هادىء البال لهذا الأمر . وكان يقول : ليس هذا عملي ،  
وفي هذه المرة : أملى هذه الأحاديث : روى مصنف السيرة أبو الحسن  
على بن محمد الديلمي . هذه الأحاديث عن الشيخ قدس الله روحه ،  
بالإسناد الذى ذكره في السيرة .

وروى الشيخ بإسناده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال : ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن

( ص ٢١٠ ) دعوة المظلوم على الظالم : ودعوة الأب على ابنه ، ودعوة المسافر حين السفر<sup>(١)</sup> .

وروى أيضا بإسناده عن أنس بن مالك : أعد رجل من الأنصار طعاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الضحى ، وفرش له حصيرا ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين على ذلك الحصير ، وسئل أنس : هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى صلاة الضحى ؟ قال : لم أره إلا ذلك اليوم .

وروى أيضا بإسناده عن أبي ذر الغفاري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا وضعت قدرا على النار : فأكثر مرقها ، وأصب منها جيرانك<sup>(٢)</sup>

ويروى أيضا بإسناده عن حذيفة رضى الله عنه : إن منافق هذا الزمن ، أسوأ من منافق زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فسئل لماذا فقال : هؤلاء يضمرون النفاق بينا أظهره أولاء<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن - دعوة الوالد على ابنه ، ودعوة المسافر ، ودعوة المظلوم . رواد أحمد في مسنده والبخاري في الأدب وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة جامع / ١١٨١ . المترجم .

( ٢ ) السبكي ١٥٥٢ ، اندهبي : وعن أبي خفيف : سألنا يوما القاضي أبو العباس ابن سريج بشيرا ، وكان يحضر مجلسه لدرس الفقه : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، قال : حدثنا أبو المعالي الأبرقوهي ، أخبرنا عمر بن كرم ببغداد ، وأخبرنا أبو الوقت السجزي ، حدثنا عبد الوهاب ابن أحمد الثقفي أخبرنا محمد بن عبد الله بن باكرويه . أخبرنا محمد بن خفيف الضي إملاء قال قرأ الجوى عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا صنعت قدرا فأكثر مرقها وانظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم بمعرف .

( ٣ ) لا يبدو أنه حديث : المترجم .

(ص ٢١١) ويروى أيضا بإسناده عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال لثعلبة : مر الناس بالمعروف ، وانهم عن المنكر ، وإذا رأيت شحيحا اتبع شحه وهواه : واختار الدنيا على الآخرة ، فعليك نفسك ، فما دمت قد وجدت الطريق الحق لا يضرنك ضلال أحد .

ويروى أيضا بإسناده عن حذيفة رضى الله عنه : أن الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال : خيركم في عقد كل مائة الخفيف الحاذ ، قالوا : ومن هو الخفيف الحاذ يا رسول الله ؟ قال : الذى لا أهل له ولا مال <sup>(١)</sup> .

ويروى أيضا بإسناده عن عائشة : كان صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالرطب <sup>(٢)</sup> .

ويروى أيضا بإسناده عن أنس بن مالك : إن الرسول الله صلى الله عليه وسلم ، نزل يوما عن جواده ، وأخذ يمشى إلى جواره ، وأخذ الناس يسرون بجواره ليسألوه ، ودخل وقت الصلاة ، فصلى الرسول صلى الله عليه وسلم بهم ، وحين أقام الصلاة التفت إلى الناس وقال : إن الإمام من أجل أن يقتدى به الناس ، حين

---

(١) « خيركم فى المائتين كل خفيف الحاذ الذى لا أهل له ولا ولد . رواه أبو يعلى فى مسنده عن أبى هريرة جامع ١٠٢ - المترجم .

(٢) الحديث : جامع ٢ - ٩٧٠ - المترجم .

يُكَبِّرُ يَكْبِرُونَ ، وحين يركع يركعون . وحين يقول : سمع الله  
لمن حمده يقولون : ربنا ولك الحمد . وحين يسجد يسجدون أيضا .  
ويروى أيضا بإسناده عن جابر رضى الله عنه : حينما كان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم خيبر . نهض رجل وقال :  
يا رسول الله لقد أمرك الله بالعدل : وأرى اليوم أنك لا تعدل .  
فتغير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إذا لم أعدل معك  
اليوم ، فمن الذى يعدل من بعدى ويصدق .

( ص ۲۱۲ )

الباب الثاني عشر

ذكر مصنفات الشيخ ومجموعاته قدس الله روحه

## فصل (۱)

كان أول مصنفات الشيخ كتاب « شرف الفقر » ، وآخرها كتاب « جامع الإرشاد » وبينهما صنف : « كتاب الاستذكار » ، و « كتاب الفصول في الأصول » و « كتاب المنقطعين » و « كتاب الجوع وترك الشهوات » و « كتاب لبس المرقعات » و « كتاب الإعانة » و « كتاب اختلاف الناس في الروح » ، و « كتاب المعراج » و « كتاب الرد على ابن سالم » و « الرد على ابن زينان » و « كتاب الاعتقاد » و « كتاب المنهج في الفقه » .

ومن كتبه الصغيرة : كتاب الاقتصاد » و « كتاب اللوامع » و « كتاب المفردات » و « كتاب المشيخة » و « كتاب فضل التصوف » و « كتاب الفرق » (ص ٢١٣) بين التقوى والتصوف » و « كتاب الاستدراج والاندراج » و « كتاب الجمع والتفرقة » و « كتاب بلوى الأنبياء » و « كتاب المحبة » و « كتاب الود والألفة » ،

وكتبه المطولة تبلغ عدد خمسة عشر كتابا ، وكذلك كتبه الصغيرة ، أما المسائل المتفرقة التي سئل فيها فأجاب فلا حصر لها ولا عدد <sup>(١)</sup> .

## فصل (٢)

هذا فصل في ذكر الأقوال التي سمعها ودونها مصنف السيرة العربية في أيامه من فم الشيخ . وبعضها في غاية الدقة . بحيث يعزب عن فهم العامة ، وقد صرفت النظر أنا نفسي عنها ، ولم أكتب ترجمتها الفارسية ، فكل من يجد نفسه أهلا لها ، عليه أن يطلبها من السيرة العربية التي صنفها محمد الديلمي ، ويقرأها فيها ، ولكني أذكر هنا عدة عبارات منها على قدر فهم العامة تبركا . قال الشيخ : الصوفي هو الذي خلع عليه الحق بعض أوصافه ، فهو قائم بين الخلق بالحق .

وقال الشيخ : واردات الغيب على نوعين : أحدهما الحكم ، وينبغي أن يتقبل بالرضا والتسليم . والآخر البلاء . وينبغي أن يتقبل

---

(١) شد ٤٢ ، ٤٣ : وله مصنفات كثيرة : كتاب شرف الفقهاء المتخفين على الأغنياء المنفقين ، وكتاب شرح الفضائل ، وكتاب الفصول في الأصول ، وكتاب الاستدكار ، وكتاب التوامع ، وكتاب المنقطين ، وكتاب لبس المرقعات ، وكتاب الإغاثة ، وكتاب اختلاف الناس في الروح ، وكتاب الاقتصاد ، وكتاب فضل التصوف ، وكتاب المفردات وكتاب بلوى الأنبياء ، وكتاب الود والألفة ، وكتاب الجمع والتفرقة ، وكتاب مسائل على ابن سهل ، وكتاب أسماء وكتاب الرد على ابن رزمان ، وكتاب الجوع وتركة الشهوات ، وكتاب معرفة الزوال ، وكتاب أسماء المشايخ ( المترجم عن الأنصاري : أسماء مشايخ فارس ص ١٠٠ ) ، وكتاب المعراج ، وكتاب المهج في الفقه ، وكتاب الاستدراج والاندراج ، وكتاب المعتقد الصغير والكبير

بالصبر والاستبصار ، وذلك مصداقا لقوله تعالى في الحديث القدسي  
« من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي فليطلب ربا سواي »<sup>(١)</sup> .

( ص ٢١٤ ) وسئل الشيخ : ماهي دلائل إقبال العبد ؟ قال :  
كلما أعطى الدنيا ظهره ، أسفر الحق تعالى له عن وجهه<sup>(٢)</sup> .

وسئل الشيخ : ما هو التصوف ؟ قال : التصوف على لسان  
الشريعة : تصفية باطن القلوب من الكدر ، ومعاملة الناس بالخلق  
الحسن ، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل عمل . أما على  
لسان الحقيقة : فهو الخروج من الصفات البشرية ، والغنى  
بخالق السماء والأرض ، وعلى لسان الحق : التصوف هو عدم  
الصفات البشرية ، والتزير بالصفات الإلهية . وحينذاك يسمى  
صوفيا .

وسئل الشيخ : ما التوحيد ؟ فقال : التوحيد هو محور  
الآثار البشرية ، والدخول في أوصاف الألوهية .

وقال الشيخ : اشتقاق لفظ الفقير من الفقر ، والفقر هو  
ما يحقق الثبات لعظام المرء ، وكل من كسر منه هذا العظم  
صار ضعيفا ، وسمى فقيرا ، أي يكون في قيامه وقعوده محتاجا  
لمن يعينه : وهكذا الفقير فهو محتاج إلى سواه ، أي إلى الله تعالى .

قال الشيخ : حظ النفس في ثلاثة : الطعام والنوم وانجماع  
وحظ الروح في ثلاثة : الطيب ، والصوت الحسن ، والنظر .

---

( ١ ) اخذت الشريف : جامع ٦٩/٢ رواه الطبراني عن أبي هند الداري . المترجم .

قال الشيخ : آخر التفكير الذكر .

قال الشيخ : من شرط الفقير أن تتحقق فيه ثلاث خصال :  
الصبر عند العدم ، والإيثار عند الوجود . والسمكون عند المحنة فلا  
اضطراب ولا جزع .

. فإذا تحققت فيه هذه الثلاث . وفاته تبي آخر ،  
فلا ضمير .

وسئل الشيخ : أيذكر الحق تعالى العبد ؟ قال حين  
ينسى العبد نفسه ويمحو اسمه ورسمه ، حينذاك يذكره الله  
تعالى .

وسئل الشيخ : ما الوجد ؟ قال الوجد هو أن تضيء واردات  
الحق في الأسرار ، فتجذب إليها الأرواح ، فتجد القلوب  
من ذلك نسيمًا .

وسئل الشيخ : ما معنى الذكر ؟ قال : بذل المجهود والصفاء



(ص ٢١٦)

## البَابُ الثَّالِثُ عَشَرُ

### ذكر وفاة الشيخ قدس الله روحه العزيز

وبه ختم الكتاب

قال عبد الرّيم : حين مرض الشيخ : كان ينام في الشمس وكان في كل لحظة يغيب عن وعيه من شدة الحرارة : ولكنه لم يكن يغفل شيئا من أوراده قط .

وقبل وفاته بعشر سنوات . كنت أعد خمسة عشر رغيفا بنصف من الدقيق . ولم يكن الشيخ يأكل منها أكثر من رغيف واحد . وحدث أن ترك بعضه في بعض الأوقات .

وحين مرض قال الأطباء : لامرض عنده . وعلاجه الغذاء . وجاهدنا معه كثيرا أن يشرب جرعة باردة ، ولم يفعل ، ومن هيبته لم نجروا على قول شيء له ، وجمع أبو الفتح المريدين وقال لهم : تشفعوا لديه حتى يأكل شيئا ، فذهبوا ملحين ، فقال لهم : بحق الصحبة ، دعوني في حالي ، ولا تضايقوني فأنا أريد أن أكون جائعا حين أصل إلى الله تعالى . فقالوا يقول أبو الفتح من شفقتك عليك . فقاطعهم قائلا أبو الفتح لا يعلم ما فيه خيرى ، وأنا أتجهز في هذه الساعة لرؤية الله تعالى . وبعد هذه الحادثة عاش سنة ، ولم يكن يأكل في اليوم أكثر من زنة عشرة دراهم من الطعام .

قال الشيخ : طلبت من الله تعالى ألا يكون عندي شيء حينما  
أأصله ، ( ص ٢١٧ ) وألا يكون معي شيء ينبغي أن يأخذه مخلوق  
وألا يكون على جسدي لحم قط <sup>(١)</sup>

قال عبد الرحيم : ولما مات الشيخ : كانت هذه الخصال  
الثلاثة فيه : وحين مات كان قد مر سبعة عشر يوما لم يذهب  
إلى جوفه طعام ، وكانت رائحة الطيب تنبعث من فمه ، وعقب  
ماحوئه بالعصور ، وقلت لرفاقي : ما الأمر ، وكانوا هم أيضا في  
دهشة .

قال الشيخ : إذا سمعتم حى على الصلاة ، ولم تجدوني في الصف  
الأول من المسجد فاطلبوني في المقابر <sup>(٢)</sup> .

قال عبد الرحيم : حينما ودع الشيخ الدنيا ، كان قد مر  
عليه عام وأربعة شهور لم يمدد ساقية وحينما كان الشيخ  
في النزاع ، كنت مع بعض المريدين إلى جوار فراشه وكان يقول  
لنا : قولوا أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حقا  
وصدقا ، وظل يقول هذا حتى لفظ أنفاسه <sup>(٣)</sup> .

---

S 766 ( ١ )

S 766 ( ٢ ) وقيل : كان به قديما وجع الخاصرة ، فكان إذا أخذ أقبه عن الحركة  
فكان إذا أقيمت الصلاة يحمل على الظهر إلى المسجد ليصل . فقيل له : لو خفت عن نفسك لكان  
لك سعة في العنة فقال : إذا سمعتم حى على الصلاة ولا تروني في الصف الأول فاطلبوني في المقابر  
الذهبي .

السبكي ١٥٣٠٢

( ٣ ) وقيل له عند وفاته : كيف تجد العلة ؟ قال : سلوا العلة عني ، فقيل له : قل  
لا إله إلا الله فحزول وجهه إلى الجدار وقال : اغثيت كئي بكلك .

وكان قد أوصى بأن يصلى عليه أبو بكر العلاف فإن كان غائبا: فأبو على الفقيه الشافعى ، فإن كان غائبا فأبو على الأمام .  
وحين مات غُسل في الحال ، وصلى عليه أبو بكر العلاف ، وأحكموا الخشبة التى أرقدوا فيها الشيخ بأوتاد حديدية : ( ص ٢١٨ )  
وجلس حسن بدويه الذى كان رئيسا للقصابين ، وكان يخدم المشايخ كثيرا . كما كان رجلا شديد البأس -- على رأس نعش الشيخ ، حتى يمنع الناس عن النعش خشية أن يمد أحدهم يده إلى كفن الشيخ .

كما أحاط أصدقاء حسن بدويه من القصابين ذوى البأس بالنعش وكانوا يذودون الناس عنه ، وتناوب الخلق السير فى الجنازة ، حتى لاتحدث فتنة واضطراب ، وحول جماعة القصابين ، وقف جمع الفرسان من أجل دفع العامة وحملوا نعش الشيخ إلى المصلى ووضعوه فيه .

وتقدم أبو بكر العلاف فى البداية فصلى عليه كما أوصى ، ثم أبو على الخلوقي ، ثم أبو إسحق الذى كان نقيباً للعلويين ، ثم أبو على إمام المسجد الجامع ، وكل منهم صلى عليه فى خلق كثير .

ثم أخذ الناس يتقدمون جماعة جماعة : وكل منها يؤمها إمام فيصلون عليه ، حتى صلوا عليه مائة مرة ، وحضر جنازته اليهود والنصارى والمجوس . وكل صلى عليه صلاة دينه . وتيسر

كل هذا في ساعتين من النهار ، فتعجب الناس وقالوا : كنا نظن أن لا يتيسر طوال اليوم .

وقال محمد الحصرى : رأيت الشيخ في النوم فسألته : ما فعل الله بك ؟ قال : غفرلى ، ولكل من صلى على : إلا أهل الكتاب والمبتدعة .

وقد توفى الشيخ في الثالث والعشرين من رمضان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وكان له من العمر خمس ومائة من السنين ، ويقول أبو القاسم الصفار : كان له أربع عشرة ومائة سنة من العمر .

( ص ٢١٩ » وسئل : كيف علمت هذا ؟ قال : لقد رأيت مولده وحسبت عليه - أما القول الآخر : إنه سمعه من أمه حين كانت حية - ثم حسبوا عليه حين مات الشيخ . نَزَرَ الله قبره ، وبرد مضجعه ورضى عنه .

« تمت السيرة على أنامل أضعف عباد الله تعالى ، وأحوجهم إلى لطفه ومغفرته ورحمته حسن بن يوسف بن على الأسترابادى محتجداً : والأستاذ مولدا ، أصلح الله باله ، وخير حاله ، وختم عاقبته بالحسنى ، وذلك في أصفهان ، حماها الله من الحدثان ، في يوم الثلاثاء الخامس عشر من صفر ختم الله بخير ومئة أربع وخمسين وسبعمائة .

والحمد لله رب العالمين والصلاة على نبيه محمد وآله الطاهرين وسلم » .

## ملاحق

---

أعدت هذه الملاحق أنا مارييا شميدت طارى ناشرة العميرة  
الفارسية حسب أبواب المكتاب وأوردت فيها المعلومات التي وردت  
عن أبي عبد الله بن خفيف في المصادر العربية والفارسية .

وقد ترجمت هنا ماورد في الفارسية ، ونقلت العربية كما هي إلا  
ما احتاج الأمر إلى تصويبه بعد الرجوع إلى مصادره الأصلية .

---

## البَابُ الثَّانِي في ابتداء أحوال الشيخ

### فصل<sup>(١)</sup> ( ١ )

الست أم محمد والدة الشيخ الكبير : -

كانت من العابدات القانتات<sup>(٢)</sup> سافرت الحجاز مع ابنها<sup>(٣)</sup>  
عن طريق البحر ، ولها مكاشفات ومشاهدات

وعن الشيخ : لما فرغت من كتابة الحديث عن ابن سعدان ،  
ورجعت من فسا إلى شيراز ، وكانت لوالدتي دعوة حضر فيها المشايخ  
والصوفية ، فلما جلسوا على الطعام قال أبو الحسن بن هند : ضعوا  
من هذا الطعام نصيبا لأبي عبد الله فقالوا : أين مرصوف هذا ؟ فقال :  
على كل حال ضعوا له شيئا ، فبينما هم في ذلك إذ دخلت أنا فقلت :  
السلام عليكم . فتواجد أبو الحسن وقام عن مجلسه وجعل يدور  
ويقول : ما كذب قلبي قط ، ثم احضروا لي نصيبي فأأكلت .

توفيت قبل الشيخ بسنين ، ودفنت عند القنطرة العليا بدرب  
اصطخر في حظيرتها رحمة الله عليهم<sup>(٤)</sup> .

---

(١) باللغة العربية (٢) في النص : القانتات

(٣) في النص : ابنه وعنده : أبو الحسين بن هند

(ص ٢٢١)

### فصل (٢) <sup>(١)</sup>

روى أنه كان عنده مريدان : أحدهما أحمد الكبير . والآخر أحمد الصغير ، وكان الشيخ يحسن معاملة أحمد الصغير : فغار الأصحاب من ذلك . ذاك أن أحمد الكبير قام بأعمال كثيرة . وزاول رياضات وعلم الشيخ بذلك فأراد أن يبين لهم أن أحمد الصغير أفضل ، وكان هناك جمل بارك على باب الرباط قال الشيخ : يا أحمد الكبير قال : لبيك . قال احمل ذلك الجمل إلى مطح الرباط . فقال : أحمد : يا شيخ كيف يمكن حمل الجمل إلى السطح ؟ فقال الشيخ : الآن فاذهب ، ثم قال : يا أحمد الصغير ، قال لبيك ، قال : احمل ذلك الجمل إلى مطح الرباط . فعقد منطقتيه في الحال ، وشمر عن أكمامه وأسرع خارجا ، فوضع يده تحت الجمل ، واستجمع قوته : فلم يستطع الإمساك به . فقال الشيخ : لقد تم الأمر يا أحمد وصار معلوما .

ثم قال للصحاب : أن أحمد الصغير قام بما في سمعه . ونفذ الأمر : ولم يعترض ، ولم ينظر إلى أمرى أهو ممكن أو غير ممكن . واشتغل أحمد الكبير بالحجة وجادل . ومن الممكن أن يطاع الباطن من الظاهر <sup>(٢)</sup> .

---

( ١ ) باللغة الفارسية .

( ٢ ) تذكرة : ١٢٩ / ٢

### فصل (٣) <sup>(١)</sup>

الشيخ أبو أحمد الكبير : اسمه الفضل بن محمد خادم الشيخ وصاحبه ، قال الديلمي : رأيتُه نحوًا من خمسة وعشرين سنة عليه جباب صوف غليظة بلا سراويل ، وكان كثير العزلة ، حسن السيرة لم يرقطه <sup>(٢)</sup> في خصومة ولا فضول ، قد حبيب إليه (ص ٢٢٢) الانفراد والخلوة . وكان يأوى بيتًا فوق سطح رباطه نحو خمسين سنة في الشتاء والصيف يحتمل بردها وحرها . ويراعى أوقات الصلوات ليلا ونهارا ، ماسها عن وقت واحد ، نهاره صائم وليله قائم ، ولا يدخل على القضاة والسلاطين ، وكان له أحاديث . ويكتب كتابة ودية . قال : كنا مع أبي عبد الله البيطار وأبي نصر الطوسي ، والحسين الجواليقي في بستان فخرجنا إلى الطهارة وقت الظهيرة <sup>(٣)</sup> فإذا أبو أحمد في <sup>(٤)</sup> الصحراء وحده ، فقالت له الجماعة : أيها الشيخ هذا الوقت حار فلو ساعدتنا ودخلت أو ساعدناك ، فقال : ولكن ارجعوا إلى ما كنتم فيه : ودعوني ففيه السلامة لي ولكم . فتركوه ومضى حتى غاب عن أعينهم فأنثر في الجماعة ذلك . توفي سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . ودفن خلف الشيخ الكبير بحظيرته المقدسة رحمه الله <sup>(٥)</sup>

### فصل ( ٤ ) <sup>(٦)</sup>

الشيخ أبو أحمد الصغير : اسمه الحسن بن علي الشيرازي خادم الشيخ وصاحبه ، قال : صحبت الشيخ وخدمته خمسًا وثلاثين سنة

( ١ ) باللغة العربية ( ٢ ) في النص : قصة .

( ٣ ) في النص : الظهر ( ٤ ) في النص : أبو أحمد... ثم السجاء .

( ٥ ) شد ٩٦-٩٧ ( ٦ ) باللغة العربية



مامعنا في البيت ثالث إلا امرأة في بعض الأوقات تجيء وتخدم .  
 قال الديلمي : سمعت الشيخ الكبير رحمه الله يقول  
 كيف لا أحب أبا أحمد وكان يغطيني وأهلي بالثياب ثلاثين سنة .  
 قال مات وقد قارب السبعين مارأيته ولا سمعت قبله  
 أن تغير عما كان عليه من الفقر . وثبت على ذلك حتى شاخ  
 وضعف ، وما أفرد قط لنفسه ( ص ٢٢٣ ) طعاما ولا مكانا . كان  
 يأكل مع الفقراء . وينام حيث ينام الفقراء : وما فرش لنفسه  
 إلا في مرض موته ، وكان أميالا يكتب . ويستقي الماء ويكنس الرباط  
 كالصبي الصغير ، وإذا دعى بالشيخ غضب ، يخدم نهاره مع الصبيان  
 ويقوم ليله كالرهبان ، ما عرفت له طول عمره زلة ولا هفوة ، لبس  
 مرقعة واحدة مدة حياته ، ونزعت عنه في المغسل ، وأوصى عند  
 موته بمرقعته ومنديله لصبيان الرباط . وأوصى بكساء كان له  
 لكفن والحنط . والمؤن .

توفي سنة خمس وثمانية وثلاثمائة ، ودفن عند الشيخ أبي أحمد  
 الكبير خلف الشيخ وقبره متصل بقبرهما والله أعلم ( ١ ) .

### فصل ( ٥ ) ( ١ )

روى أنه قال لخدمته في منتصف الليل : جئني بامرأة : فأتنا  
 اشتيتها . فقال الخادم أين أذهب في منتصف الليل ، ولكن عندي  
 ابنة : إذا سمح الشيخ آتية بها : قال أحضرها فأحضرها الخادم ،  
 وتزوجها الشيخ في الحال ( ٣ ) وحين انقضت سبعة أشهر ، أنجبت

( ١ ) شد : ٤٧ - ٤٨ وفي الأصل رحمة الله عليهم بدلا من الله أعلم .

( ٢ ) باللغة الفارسية

( ٣ ) ثمة دانشوران : ٢ - ١ : ٤ : يطلب ابنته ثم أتى به ذلك بكثير من النساء والحواري

إلى البيت .

الفتاة طفلاً توفي في الحال . فقال الشيخ للخادم : قل للفتاة إن كانت تريد الطلاق ، أو تظل على حالها . فقال الخادم : ياشيخ ما السر في ذلك ؟ قال : في تلك الليلة التي تزوجت فيها ، كنت قد رأيت القيامة في النوم ، وقد عجز خلق كثير ، ( ص ٢٢٤ ) وغرقوا في عرقهم ، وفجأة أقبل طفل فأخذ بيد والديه . ومررهما من الصراط كالنسيم ، فأردت أن يكون لي طفل أيضاً . وحينما ولد الطفل ومات تم المقصود<sup>(١)</sup>

### فصل (٦)<sup>(٢)</sup>

وسمعت أنه عقد أربعمئة زواج ، ويرجع هذا إلى أنه كان من أصل ملكي ، وأنه بعد تربته كان موضع محبة أهل شيراز . وكان بنات الملوك والأمراء يرغبن في الزواج منه من أجل مايلحق بهن من بركنه ، فكان يستجيب لرغبتهن ويطلقهن قبل الزواج .

ولكن خلال حياته كان هناك أربعون زوجة ، يخدمن فراشه مثنى وثلاث ، وكانت إحداهن ابنة وزير ، وأخذت كل واحدة تقص قصتها معه ، فأجمعن على أنه لم يلامسهن ، وكانت كل واحدة تظن أنه يعاملها بهذه الصورة دون زميلاتها ، ولكن عندما علمن أن هذا سلوك الشيخ منهن جميعا على حد سواء ، استبدت بهن الدهشة ، وقفن : لا يعلم سر معاشرته إلا بنت الوزير ، إذ كان بينهما طول

( ١ ) نامه دانشوران : ٤٤١/٢ ، وأيضا عبر كل من له طفل الصراط ، فوفقت متحمرا بمقت من النوم ، فقلت لنفسى : لا ينبغي أن أخرج عن سنة لرسول الله ، وكان أن عجت في الأمر على ذلك النسق ، حتى لا أعد من زمرة فليس منى . المترجم : اشارة الى من رغب عن سنى فليس منى .

( ٢ ) باللغة الفارسية .

الصحبة وحسن العشرة ، وكانت أحب نسائه إليه (ص ٢٢٥)  
فاخترن من بينهن اثنتين ، وأرسلنها إليها فلما سألاها أجابت : عندما عرس  
الشيخ بي وقيل لي : أنه سيزورني الليلة . أعددت عشاء طيبا ،  
وتزينت ، وما أن جاءني وأعددت مائدة الطعام ، حتى ناداني . ثم  
نظر لفترة من الزمن إلى وجهي ، ثم إلى الطعام . ثم أخذ بيدي وأدخلها  
في كمه ، فألقيت من صدره إلى سترته خمس عشرة عقدة ، ثم قال :  
يابنت الوزير ، سألني عن هذه العقد ، فسألته فأجاب « إنها عقد  
ناجمة عما أعاني من ألم الإعراض عن وجه كهذا وطعام كذاك » ولم  
يزد عن ذلك وخرج . وهذا هو مدى ارتباطي به <sup>(١)</sup> .

### فصل (٧) <sup>(٢)</sup>

وبإسناد من أبي القاسم بن علي بن المحسن التنوخي عن أبيه  
قال : أخبرني جماعة من أهل العلم ، أن بشيراز رجلا يعرف بابن  
خفيف البغدادى شيخ الصوفية هناك ، يجتمعون إليه فيتكلم عن  
الخطرات والوساوس ، ويحضر حلقة ألوف من الناس ، وأنه فزره  
فهم حاذق ، فاستغوى الضعفاء من الناس إلى هذا المذهب .

قال فمات رجل منهم من أصحابه ، وخلف زوجة صوفية ،  
فاجتمع النساء الصوفيات وهن خلق كثير ولم يختلط بئاتمهن غيرهن .  
فلما (ص ٢٢٦) فرغوا من دفنه ، دخل ابن خفيف وخواص أصحابه ،  
وهم عدد كثير إلى الدار ، وأخذ يعزى المرأة بكلام الصوفية إلى أن  
قالت : قد تعزيت <sup>(٣)</sup>

---

(١) كشف المحجوب : ٣١٨ ، تذكره ٢-١٢٨ (٢) باللغة العربية .

(ص ٢٢٧)

## البَابُ الثَّالِثُ في بيان رحلات الشيخ

### فصل ( ١ )<sup>(١)</sup>

قال عبد الله بن خفيف رضى الله عنه : دخلت بغداد قاصدا  
الحج وفي رأسى نخوة الصوفية . ولم آكل أربعين ليلة ولم أدخل على  
الجنيد . ولم أشرب . فرأيت طبيا فى البر على رأس بشر وهو يشرب ،  
وكنت عطشانا فدنوت من البئر ، وإذا الماء فى أسفله ، فمشيت  
وقلت : ياسيدى مالى عندك محل هذا الطيبى ، فسمعت من خلفي :  
جربناك فلم تصبر ، ارجع خذ الماء ، إن الطيبى جاء بلا ركوة ولا حبل  
فرجعت فإذا البئر ملآن فملأت ركوتى ، فكنت أشرب منها وأنظهر  
إلى المدينة<sup>(٢)</sup> .

### فصل ( ٢ )<sup>(٣)</sup>

وعن ابن خفيف : خرجت من مصر أريد الرملة للقاء أبى على  
الروزيارى ، فقال لى عيسى بن يونس المصرى ، المعروف بالزاهد :  
أن شابا (ص ٢٢٨) وكهلا ، قد اجتمعا على حال المراقبة ، فلو نظرت  
إليهما لعلك تستفيد منهما : فدخلت إلى صورا<sup>(٤)</sup> ، وأنا جائع

---

(١) باللغة العربية . ( ٢ ) - سلس : ٥٩٢ ( غير موجودة فى الطبعة الحديثة )  
السبكي تذكرة ١٥٢/٢ . ويزيد القزويني : ولم ينفذ الماء فلما رجعت من الحج دخلت الجامع  
فلم أوقع بصير الجنيد على قال : لو صبرت لبيع الماء من تحت قدمك لو صبرت ساعة . ( ٣ ) باللغة العربية  
( ٤ ) هكذا ولعلها صور .

عطشاً. إن وفي وسطى خرقة ، وليس على كتفى شيء . فدخلت المسجد  
فإذا بشخصين قاعدين مستقبليين القبنة . فسلمت عليهما فما أجاباني ،  
فسلمت ثانية وثالثة ، فلم أسمع الجواب . فقلت : ناشدتكما بالله  
لا رددتما السلام ، فرفع الشاب رأسه من مرقعته . فنظر إلى وقال لي :  
ابن خفيف الدنيا قليل : وما بقى من القليل إلا القليل . فخذ من  
القليل الكثير ، يا ابن خفيف ما أقل شغلك حتى تتفرغ إلى لقائنا .

قال : فأخذ بكليتي ثم طأطأ رأسه في المكان ، فبقيت عندهما ،  
حتى صلينا الظهر والعصر ، فذهب جوعى وعطشى وعنائى : فلما  
كان وقت العصر <sup>(١)</sup> قلت : عطشى ، فرفع إلى رأسه وقال : يا ابن  
خفيف نحن أصحاب المصائب <sup>(٢)</sup> ليس لنا لسان العظة ، فبقيت  
عندهما ثلاثة أيام ، لا آكل ولا أشرب ولا أنام ، وما رأيتهما أكلا  
شيئاً ولا شرباً ولا نوماً ، فلما كان في اليوم الثالث ، قلت في سرى :  
أحلفهما أن يعظاني لعلى أنتفع بعظتهما ، فرفع الشاب رأسه فقال لي :  
يا ابن خفيف عليك بصحبة من يذكرك الله رؤيته ، وتقع هيبتة على  
قلبك ، يعظك بلسان فعله ، ولا يعظك بلسان قوله . <sup>(٣)</sup>

والسلام . قم عنا <sup>(٣)</sup>

---

(١) لعله المغرب فقد ذكرت السطر السابق إنه صلى العصر معهما .

(٢) في النص المسائب .

(٣) إحياء ٤-٣٦١ ، السبكي ٢-١٥٣ ، تذكره ٢-١٢٧ ، طرائق ٢-٢١٣ (بأنغارسية)

سمعت ذات مرة أن كهلاً وفقياً من مصر قد أدام المراقبة . وذكر اسم عيسى في الإحياء باسم  
نس المصري وفي السبكي باسم يونس المغربي الزاهد .

### فصل (٣) <sup>(١)</sup>

روى أنه قال : ذات سنة كنت في ديار الروم ، وذات يوم خرجت إلى الصحراء ، فرأيتهم قد أتوا براهب كأنه شبح ، فأحرقوه ، وكنحوا بغباره العميان ، فأبصروا بقدرة الله تعالى ، وكانوا يطعمون هذا الغبار للمرضى فيشفون (ص ٢٢٩) فعجبت : كيف يكون هذا وهم على الباطل ، وفي تلك الليلة رأيت الرسول صلى الله عليه وسلم في النوم قلت : يا رسول الله ماذا تصنع هنا ؟ قال : لقد جئت من أجلك ، قلت : يا رسول الله ، أى أمر هذا ؟ قال : هذا أثر الصدق والرياضة في الباطل ، فما بالك لو كانا في الحق ! <sup>(٢)</sup> .

### فصل (٤) <sup>(٣)</sup>

قال ابن خفيف : كنت مدة أسير على وجه الأرض للالتقاء بانبلاء ، فسئمت من السياحة والسفر ، فرجعت إلى بلد اصطخر فارس ، فدخلت دويرة الصوفية ، فرأيت جماعة من المشايخ ، وبين أيديهم مأكول ، وهم تسعة نفر منهم الحسن بن أبي سعد ، وأبو الأزر بن حيان وجماعته ، فوقفت ساعة فتوضأت ، فلما فرغت وسعوا لي فقعدت معهم ، وتناولت مما كانوا يأكلون : وفرقنا .

فرقدت رقدة ، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام ، يقول لى : يا ابن خفيف من كنت تطلبهم وترجو مجالستهم ، هم هؤلاء في هذا البلد ، وأنت منهم ، فطالبتني نفسي أن أخبر القوم

بنا رأيت ، فعلا في منهم وقار وهيبة ولم ألبث ساعة من النهار ، حتى قابلي الشيخ الحسن بن أبي سعد وقال لي : يا أبا عبد الله أخبرهم بما رأيت في المنام ، فأخبرتهم فتفرقوا في البلدان حين فشا الخبر ، رضى الله عنهم وعن سائر الصالحين آمين<sup>(١)</sup> .

### فصل ( ٥ )<sup>(٢)</sup>

( ص ٢٣٠ )

روى أن برهميا ناظر ابن خفيف فقال : إن كان دينكم حقا فتعال نصبر عن الطعام أربعين يوما ، فأجابه رضى الله عنه : ذلك ، فعجز البرهمي عن إكمال العدة المذكورة وأكملها الشيخ ، وهو طيب مسرور - يعلوه نور .

وناظره أيضا برهمي آخر أن يمكننا تحت الماء مدة مملومة ، فأجابه الشيخ ومات البرهمي ، فظهرت جيفته على الماء ، ومكث الشيخ إلى أن وفي تلك المدة<sup>(٣)</sup> .

### فصل ( ٦ )<sup>(٤)</sup>

والشيخ أبو عبد الله بن خفيف ، كبير القدر في الأولياء شهير الذكر ، وهو الذي أظهر طريق جبل سرنديب ، بجزيرة سيلان من أرض الهند كرامة لهذا الشيخ .

---

( ١ ) روض الرياض في حكايات الصالحين (منار وضة الحكاية) ص ٧٩ (من طبعة ١٣١٥)

( ٢ ) باللغة العربية .

( ٣ ) سلمي ٩٣ (غير موجودة في الطبعة الحديثة) ، المبكى ٢-١٥٢ ويضيف وخرج

سالمًا سالمًا ولم يظهر عليه تغير ما . ( ٤ ) باللغة العربية .

يحكى أنه قصد مرة جبل سرنديب ومعه نحو ثلاثين من الفقراء  
فأصابتهم مجاعة في الطريق إلى الجبل حيث لأعمارة ، وتاهوا عن الطريق ،  
وطلبوا من الشيخ أن يأذن لهم في القبض على بعض الفيلة الصغار ،  
وهي في ذلك المحل كثيرة جدا ، ومنه تحمّل إلى حضرة ملك الهند ،  
فنهاهم الشيخ عن ذلك فغلب عليهم الجوع . فتعدوا قول الشيخ ،  
وقبضوا على فيل صغير منها ، وذكره ، وأكلوا لحمه ، وامتنع الشيخ  
عن أكله .

فلما ناموا تلك الليلة ، اجتمعت الفيلة من كل ناحية . وأتت  
إليهم فكانت ( ص ٢٣١ ) تشم الرجل منهم وتقتله حتى أتت عليهم  
جميعا ، وشمّت الشيخ ولم تتعرض له ، وأخذة فيل منها : ولف عليه  
خرطومها ، ورمى به على ظهره ، وأتى به الموضع الذي فيه العمارة ،  
فلما رآه أثقل تلك الناحية عجبوا منه ، واستقبلوه ليتعرفوا أمره ،  
فلما قرب منهم أمسكه الفيل بخرطومها . ووضعته من على ظهره إلى الأرض  
بحيث يرونها ، فجاءوا إليه ، وتمسحوا به وذهبوا به إلى ملكهم  
فعرفوه خبره . وهم كفار وأقام عندهم أياما ، وهذا الموضع على خور  
يسمى خور الخيرزان والخور هو النهر ، وبذلك الموضع مغاص الجواهر ،  
ويذكر أن الشيخ غاص في بعض تلك الأيام بمحضر ملكهم ، وخرج  
وقد ضم يديه معا . وقال للملك : اختر ما في إحداهما : فاختر  
ما في اليمنى فرمى إليه بما فيها وكانت ثلاثة أحجار من الياقوت لأمثيل  
لها . وهي عند ملوكهم في التاج يتوارثونها<sup>(١)</sup>

(١) ابن بطوطة . طبعة مصر - ١٣٣١ - ١٣٤٠ .



من ( ٢١٢ )

## البَابُ الْبَرَابِجُ

في أحوال عدد من المشايخ الذين لقيهم الشيخ في مكة

### فصل ( ١ )<sup>(١)</sup>

وقال ابن خفيف : سمعت أبا بكر الكتاني يقول : سرت أنا والعباس بن المهدي ، وأبو سعيد الخراز في بعض السنين ، وصلنا عن الطريق . والتقينا بحيرة ، فبينما نحن كذلك ، إذا بشاب قد أقبل وفي يده محبرة وعلى عنقه مخلاة فيها كتب ، فقلنا له : يا فتى كيف الطريق ، فقال لنا : الطريق طريقتان . فما أنتم عليه فطريق العمه ، وما أنا عليه فطريق الخاصة ، ووضع رجله في البحر وعبره<sup>(٢)</sup>

### فصل ( ٢ )<sup>(٣)</sup>

والحديث بإسناد عن عبد الله بن خفيف قال : قال يوسف بن أسباط : خرجت من سبج راجلا حتى أتيت المصيصة : وجراني في عنقي . فقام ذا من حانوته يسلم على وذا يسلم ، فطرحت جرابي ودخلت المسجد أصلى ركعتين ، فأحد قواني ، واطلع رجل في وجهي : فقلت في نفسي : كم بقاء قلبي على هذا ، فأخذت جرابي ورجعت بعرفي رعنائى إلى سبج ، فما رجعت قلبي إلى سنتين

( ١ ) باللغة العربية .

( ٢ ) السبكي ١٥١-٢ ، أنظر أيضا الرسالة : ٢١٨ .

( ٣ ) باللغة العربية .

( ٤ ) ابن الجوزي : ١٥٥ - ١٥٦ .

(ص ٢٣٣)

## الْبَابُ الْخَامِسُ

في نعت عدد من المشايخ لقيهم الشيخ بالعران

### فصل ( ١ )<sup>(١)</sup>

وقال أبو عبد الله بن خفيف : قال لي رويم : يا بني اجعل علمك ملحا وأدبك دقيقا<sup>(٢)</sup>

### فصل ( ٢ )<sup>(٣)</sup>

يقول أبو عبد الله بن خفيف : ما وقع بصري على أحد قط ، تحدث في التوحيد مثل رويم<sup>(٤)</sup>

### فصل ( ٣ )<sup>(٥)</sup>

وبإسناد عن عبد الواحد بن بكر قال : سمعت محمد بن خفيف يقول : قال رويم : كل الخلق قعدوا على الرسوم ، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق ، وطالب الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع ، وهم طالبوا أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق<sup>(٦)</sup> .

( ١ ) باللغة العربية ( ٢ ) 1136 As. 16

( ٣ ) باللغة الفارسية . ( ٤ ) - أنصاري : ٢١٧

( ٥ ) باللغة العربية . ( ٦ ) رسالة ٢٧ - ابن الجوزي ١٦٣

### فصل (٤) <sup>(١)</sup>

(ص ٢٣٤)

قال ابن خفيف : سألت رويم بن محمد عن التصوف فقال :  
يا بني التصوف إفناء الناسوتية . وظهور اللاهوتية ، فقلت : زدني  
رحمك الله ، فقال : لا رحمني الله إن كان في ذلك مزيد <sup>(٢)</sup> .

### فصل (٥) <sup>(٣)</sup>

الحسين بن منصور الحلاج :

..... وجعلوه من المحققين حتى قال محمد بن خفيف <sup>(٤)</sup> :  
الحسين بن منصور عالم رباني <sup>(٥)</sup> .

### فصل (٦) <sup>(٥)</sup>

وقال أحمد بن يونس : كنا في ضيافة ببغداد ، فأطال الجنيد  
اللسان في الحلاج ونسبه إلى الشعبذة والنيرنج ، وكان مجلسا  
خاصا . فلم يتكلم أحد احتراماً للجنيد ، فقال ابن خفيف : يا شيخ  
لا تطول ، ليس إجابة الدعاء والإخبار عن الأسرار من النيرنجات  
والشعبذة والسحر <sup>(٦)</sup> ، فاتفق على تصديق ابن خفيف ، فلما خرجنا  
أخبرت الحلاج بذلك ، فضحك وقال : أما محمد بن خفيف فقد

---

(١) باللغة العربية

(٢) ابن يزداينار a ١٢

(٣) باللغة العربية .

(٤) سلمى : ٣٠٨ ، تذكرة ١٣٦-٢ ، تاريخ بغداد ٨-١١٢ ، شعراني ١-١٠٧

(٥) باللغة العربية

تعصب هو والجنيد ، وسيؤجران على ذلك وأما أبو القاسم الجنيد .  
فقد قال إنه كذب ولكن قل له : « سيعلم الذين ظلموا أي منقلب  
ينقلبون » <sup>(١)</sup> .

### فصل ( ٧ ) <sup>(٢)</sup>

( ص ٢٣٥ )

الحلاج : ولم يذهب إليه في السجن أحد طيلة خمسة أشهر ،  
إلا ابن عطاء مرة وابن خفيف مرة <sup>(٣)</sup> .

### فصل ( ٨ ) <sup>(٤)</sup>

حكى أن أبا عبد الله بن خفيف ، قبل يد الحسين بن منصور  
وهو في الحبس . فقال : لو كانت اليد يدنا لمنعناك ، ولكن اليد يد  
تبوسم <sup>(٥)</sup> اليوم وتقطع غدا . ثم يجلس عند الشيخ ساعة ولا يتكلم ،  
إلا أن يسأله عن شيء . فيجيبه عن سؤاله ، ولا يبلغه سلاما ،  
ولا يذكر أحدا إلا أن يكون نظيره في الحال . أو في السن ،  
فيجوز ذلك ثم يرجع إلى موضعه <sup>(٦)</sup> .

### فصل ( ٩ ) <sup>(٧)</sup>

روى عن أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي قال : خرجت من  
شيراز قاصدا زيارة أبي المغيث الحسين منصور الحلاج ، كي أسمع

(١) اخبار الحلاج Receuil 60 N. 7 والآية الشراء - ٢٢٧.

(٢) باللغة الفارسية (٣) تذكرة ١٤١-٢

(٤) باللغة العربية (٥) مكنا في النص . (٦) b - 76 Ase 1136

(٧) باللغة العربية

من مسنحسنااته ، وغرائب كلماته ، فدخلت بغداد فسمعت أنه في السجن ، فأتيت حاجب المقتدر فسألته الدخول عليه ، فأخذ بيدي وأتى بي إلى السجن ، وقال له : أي وقت أراد هذا الشيخ الدخول على العلاج فلا تمنعه ، فدخلت عليه ، وسلمت عليه برفيع من صوتي ، فرفع إلى رأسه وقال : وعليك السلام يا ابن خفيف . ( ص ٢٣٦ ) .

قال ابن خفيف : فورد على وارد من ذلك عظيم ، <sup>(١)</sup> بأنه عرفني ولم يكن لديه معرفة تقدمت قبل ذلك ، فقال لي : ماتقول العامة في ، فقلت : يائسياء بعضهم يقول : كاهن ، والبعض يقول : ساحر ، والبعض يقول : على قدر عقله ، قال : يا ابن خفيف هذا كلام العامة فما سمعت عن الخليفة المقتدر . يقول : قلت : يقول نقتله ، فتبسم وقال : حسب الواجد أفراد الواحد ثم أنشأ يقول :

أحرف أربع بها هام قلبي وتلاشت بها همومي وفكري  
ألف قد تألف الخلق بالصنع ثم لام على الملاحاة تجري  
ثم لام زيادة في المعاني ثم هاء بها أهيم أتدري <sup>(٢)</sup>

قال : فكتبتها عنه وحفظتها منه ، فلما كان في اليوم الثاني عدت إليه فقال

إذا هجرت فمن لي ومن يجمل كلي  
ومن لروحي وراحي يا أكثرى وأقل

---

( ١ ) بالالة العربية ( ٢ ) في النص : عظيم بدلا من عظيم ولدى بدلا من لديه

أَحَبُّكَ      الْبَعْضُ      مِنِّي      فَقَدْ      ذَهَبْتَ      بِكُلِّي  
يَا كَلَّ      كَلِّي      فَكُنْ      لِي      إِنْ      لَمْ      تَكُنْ      لِي      فَمَنْ      لِي  
يَا كَلَّ      كَلِّي      وَأَهْلِي      عِنْدَ      انْقِطَاعِي      وَذِي  
مَالِي      سِوَى      الرُّوحِ      خَذَهَا      وَالرُّوحِ      جَهْدُ      الْمَقْلِ<sup>(١)</sup>

قال : فكتبتُها عنه وحفظتها منه . فلما كان اليوم الثالث عدت إليه فقال : (ص ٢٣٧)

لِي      حَبِيبُ      أَزُورُ      فِي      الْخُلُوتِ      حَاضِرُ      غَائِبٍ      عَنِ      اللَّحْظَاتِ  
مَا      تَرَانِي      أَصْغَى      إِلَيْهِ      بِسَمْعٍ      كَيْ      أَعَى      مَا      يَقُولُ      مِنْ      كَلِمَاتٍ  
كَلِمَاتٍ      مِنْ      غَيْرِ      شَكْلِ      وَلَا      نَطْقٍ      وَلَا      مِثْلَ      نَغْمَةِ      الْأَصْوَاتِ  
حَاضِرُ      غَائِبٍ      قَرِيبُ      بَعِيدٍ      وَهُمْ      لَمْ      تَحْدِهِ      رَسُومُ      الصِّفَاتِ  
وَهُوَ      أَدْنَى      مِنَ      الضَّمِيرِ      إِلَى      الْوَهْمِ      وَأَخْفَى      مِنَ      لَائِحِ      الْخَطَرَاتِ<sup>(٢)</sup>

قال : فكتبتُها عنه وحفظتها منه . فلما كان اليوم الرابع عدت إليه فقال :

لَبِيبُكَ      لَبِيبُكَ      يَا      سَرَى      وَنَجْوَانِي      لَبِيبُكَ      لَبِيبُكَ      يَا      قَصْدِي      وَمَعْنَانِي  
أَدْعُوكَ      بَلْ      أَزْنَتْ      تَدْعُونِي      إِلَيْكَ      فَهَلْ      نَادَيْتَ      إِيَّاكَ      أَمْ      نَاجَيْتَ      إِيَّائِي  
يَا      عَيْنَ      عَيْنٍ      وَجُودِي      يَا      مَدَى      مَدَى      يَا      مَنطِقِي      وَعِبَارَاتِي      وَإِعْيَانِي  
يَا      كَلَّ      كَلِّي      وَيَا      سَمْعِي      وَيَا      بَصْرِي<sup>(٣)</sup>      يَا      جَمَلْتِي      وَتَبَاعِيضِي      وَأَجْزَانِي

(١) في النص : خذها والمقطوعة : ديوان رقم ١٢٥

(٢) ديوان : رقم ١١ . (٣) في النص بصري بدون ياء

يامن به علقت روجى فقد تلفت      وجدا فصرت رهينا تحت أهوائى  
 أبكى على شجنى من فرقى وطنى      طوعا ويسعدنى بالنوح أعدائى  
 أدنو فيبعدنى خوفى فيقلقنى      شوق تمكن من مكنون أحشائى  
 فكيف أصنع فى حب كلفت به      مولائى قد مل من ستمى أطبائى  
 قالوا تداوبه منه <sup>(١)</sup> فقلت لهم      يا قوم هل يتداو الداء بالدائى  
 حى لمولائى أضنائى وأستمنى      فكيف أشكو إلى مولائى مولائى <sup>(٢)</sup>  
 يا ويح روجى منه يا روجى <sup>(٣)</sup> فوا أسفى

على منى فإنى أصل بلوائى  
 إنى لأرمله والقلب يعرفه      فما يترجم عنه غير إيمائى  
 ذاك العليم بما لا قيت من دنف      وفى مشيئته موتى وإحيائى  
 يا غاية السؤل والمأمول ياسكنى      يا عيش روجى يا دينى ودنياء  
 قللى فديتك يا سمعى ويا بصرى      لم ذا اللجاجة فى بعدى وإقصائى  
 إن كنت بالغيب عن عيني محتجبا      فالقلب يرعاك فى الأبعاد والنائى <sup>(٤)</sup>

(ص ٢٣٨) قال : فكتبها عنه ، وحفظتها منه ، فلما كان فى اليوم الخامس عدت إليه فقال : يا ابن خفيف من اليوم إلى خمسة عشر يوما ، يكون من أمرى كذا وكذا ، ثم قام وتوضأ للصلاة . وكان

( ١ ) فى النص : من وصحته منه .

( ٢ ) فى النص ملائى .

( ٣ ) غير موجودة فى النص ورأيتها لازمة للوزن .

( ٤ ) ديوان : ١ .

فى السجن حبلى مشدود ، وعلله خرقة فآتته الخرقة من مكان بعيد  
فلا أدرى أآجارى <sup>(١)</sup> الخرقة إلهه ، أم مد يده فأآأها . فبت <sup>(٢)</sup>  
متعجبا ، وبهت شاخصا نحوه ، ففهم عنى ، وأشار إله الحائظ  
فإذا به قد انفتح ، ورأيت الدجلة والمراكب والناس قيام على الشاطئين <sup>(٣)</sup>  
فأآأنى عند ذلك زمع <sup>(٤)</sup> ، ثم اشتغل فمخرجت من عنده وكنآ  
أريد أن أخرج إله بلدى ، فصبرت حى أرى ما يكون من أمره .

فلما كان بعد خمسة عشر يوما : دعا به المقتدر فقطع يديه  
ورجله على طرف الجسر فمشى على الخشبة التى صلب عليها تسع  
عشرة خطوة على ركبه حتى صلب ، وجاءه حامد بن العباس البلخى  
الوزير إله عند خشبته فقال : الحمد لله الذى أمكن ياعدو الله ، فكيف  
رأيت نقبيل الناس يديك ورجليك وقولهم سيدى ومولأى وأنت  
راض بذلك ، فالتفت الحسين بن منصور وقال : اسمع يا ألكع  
إن كنآ تحسن تسمع : قال :

تأمل الوجد وجد والفقد فى الوجد وجد <sup>(٥)</sup>

قال ابن خفيف : فقدمت إله فى الليلة التى صلب فيها ، فلما رأيت  
كان على خشبته التى صلب عليها : قال فرأيت وأنا مفكر فى أمره  
وإذا به ينادينى أن أقبل إله : فأقبلت إله فقال لى : دعانى بالحقيقة

( ١ ) مكذافى النص .

( ٢ ) فى النص فبتيت . ، ( ٣ ) فى النص : الشاطئين

( ٤ ) انزمع : رعدة من الخوف والنشاط . أساس البلاغة ج ١ ص ٤٠٧ .

( ٥ ) ذكرآ الشطرة الثانية فى النص : والعقد فى الوجد ..... وتكملتها وجد الأخيرة .

ديوان مطبوعة رقم ١٤٩ .



ففعل (ص ٢٣٩) بنا ما ترى . فلما أصبحنا جاءه حامد بن العباس  
الوزير . ومعه موكبه وصاحب الشرطة محمد بن عبد الصمد ،  
فنشره . فإذا فيه شهادة أربعة وثمانين من الفقهاء والقراء ،  
بأن في قتله صلاح المسلمين ودمه في رقابنا ، فقال  
الوزير : أريد الشهود، فإذا هم يهرعون إليه فقال لهم: هذه شهادتكم  
وخطوطكم ، فقال الوزير : للشهود : أمير المؤمنين برئ من دمه ،  
قالوا : نعم ، قال : وأنا يرى من دمه ، قالوا : نعم فتقدم إليه  
السياف فأنشأ يقول

نديمى غير منسوبٍ إلى شئ من الحيف  
سقاني مثلاً يشرب كفعل الضيف بالضيف  
فلما دارت الكأس دعا بالنطع<sup>(١)</sup> والسيف  
كذا من يشرب الراح مع التنين في الصيف<sup>(٢)</sup>

قال : ثم ضرب عنقه ، فبقى جسده ساعتين من النهار قائماً ورأسه  
بين رجليه، يتكلم بكلام لا يفهم إلا أن آخر كلامه : أحد أحد  
فتقدمت إليه فإذا الدم يخرج ، ويكتب على الأرض : الله . .  
الله في إحدى وثلاثين موضعاً ، ثم حرق بالنار

قال ابن خفيف : فرجعت إلى شيراز . فبقيت مفكراً  
في أمره مدة أربعين يوماً . فنمت ليلة من الليالي فرأيت كأن

(١) في النص : النطع (٢) ديوان : رقم ٧٣ .

القيامة قد قامت ، <sup>(١)</sup> والناس في الحساب وأنا أقول : سيدى الحسين ابن منصور ولى من أوليائك ، سلطت <sup>(٢)</sup> عليه خلقك ، فنوديت من الحق : علمته أسمائى يدعو بها الخلق إلى ، فباح بسرى بين خلقى وسلطت عليه خلقى . ( ص ٢٤٠ ) قال ابن خفيف : قتل الحلاج يوم الثلاثاء لسته بقين من ذى الحجة سنة تسع وثلثمائة <sup>(٣)</sup>

### فصل (١٠) <sup>(٤)</sup>

قال شيخ الإسلام : سألت الشيخ أبا عبد الله بن باكو : ما تقول في الحلاج قال : سألت شيخى أبا عبد الله بن خفيف هذا السؤال فقال : ما أقول في حق امرئ يقول :

وحدنى واحدى بتوحيد صادق      ما إليه من المسالك طرق <sup>(٥)</sup>  
أنا الحق والحق للحق حق      لا بس ذاته فما ثم فرق  
قد تجلت <sup>(٦)</sup> طوالع زهرات      يتشعشعن في لوامع برق <sup>(٧)</sup>

### فصل (١١) <sup>(٨)</sup>

وقد حكى في هذا المعنى عن الشبلى رحمه الله أنه سئل عن معنى قوله تعالى « وَمَكْرُؤًا وَّمَكْرَ اللَّهِ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ » <sup>(٩)</sup> فقيل

( ١ ) في النص : كُنْ القِيَامَةُ قد قامت . ( ٢ ) في النص : سلطت .

( ٣ ) كل هذا الفصل من asl Permamm II 333

( ٤ ) باللغة الفارسية . ( ٥ ) في النص : من المالك طراق .

( ٦ ) في النص : تجلت . ( ٧ ) ديوان ٧٥ ، طواسين ١٣٨ ، أنصاري :

٣١٦ والبيت الأخير عنده : هو حق الحق للحق حق لا بس ملبس حقائق حق .

( ٨ ) باللغة العربية . ( ٩ ) آل عمران ٥٤ .

له : قد علمت موضع مكرهم . فما موضع مكر الله بهم؟ فقال :  
تركهم على ما هم فيه ، ولو شاء أن يغير لغير ، فقال :  
فشهد الشبلي رحمه الله لى السائل أنه لم يغنه جوابه ،  
فقال : أما سمعت بفلانة الطنبرانية فى ذلك الجانب تقول : ص ٢٤١  
ويقبح من اسواك الفعل عندى . وتفعله فيحسن منك ذاك  
قال الشيخ رحمه الله : فانظر أين تقع إشارته من قصدها ،  
وجميع ذلك داخل فى الذى قيل : « إن الحكمة ضالة المؤمن »<sup>(١)</sup>  
وصاحب المسألة والسؤال أبو عبد الله خفيف كما بلغنى والله أعلم<sup>(٢)</sup>  
فصل (١٢)<sup>(٣)</sup>

وقال الشيخ أبو عبد الله : من كثرة ما كان على بن شلوويه  
يتردد على الصحارى والجبال ، شغف به جماعة من الأكراد ،  
أتى إليه قرويان وقالوا : إن لكل منا ابنة . ولكل واحدة منهما  
أربعة آلاف رأس من الغنم ، ونريد أن ننكحك إياهما ، وأن  
تكون هذه الأغنام للصادر والوارد من الفقراء . فتزوج الفتاتين .  
و ذات يوم رآه مؤمل فقال له : لاتفضل حالك على حالنا  
فقد صرت مثلنا ، قال : لقد فعلت هذا من أجل الله تعالى .  
قال مؤمل : قد فعلناه من أجل الله تعالى . فقال على بن شلوويه  
طلقتهما ثلاثا ، طلقوا أيضا إن كنتم صادقين . فقال له مؤمل  
يامشئوم نسيت السنة فى الطلاق<sup>(٤)</sup>

(١) رواه الثعلبى . كنوز اخفئق للمناوى ١-١٠٨ .

(٢) (٧١) . . ٢٩٨ ، السكبر ٢-١٥٠ . (٣) نائفة الفارسة .

### فصل (١٣) <sup>(١)</sup>

ولقد سمعت الأستاذ أبا عبد الله محمد بن عبيد الله الشيرازي الصوفي ، رحمه الله يقول سمعت بعض أصحاب أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي - رحمه الله - يقول سمعت أبا عبد الله ابن خفيف رحمه الله يقول : ( ص ٢٤٢ ) دخلت البصرة في أيام شباني لأرى أبا الحسن الأشعري ، رحمه الله عليه لما بلغني خبره . فرأيت شيخا بهي المنظر فقلت له : أين منزل أبي الحسن الأشعري : فقال : وما الذي تريد منه ، فقلت : أحب أن ألقاه ، فقال : ابتكر غدا إلى هذا الموضع ، قال : فابتكرت . فلما رأيته تبعته ، فدخل دار بعض وجوه البلد ، فلما أبصروه أكرموا محله ،

وكان هناك جمع من العلماء ومجلس نظر ، فأقعدوه في الصدر ، فلما شرع في الكلام دخل هذا الشيخ فأخذ يرد عليه ، وينظره حتى أفحمه ، فقضيت العجب من علمه وفصاحته ، فقلت لبعض من كان عندي . من هذا الشيخ ، فقال : أبو الحسن الأشعري ، فلما قاموا تبعته ، فالتفت إلي وقال يافتي كيف رأيت الأشعري ، فخدمته وقلت : ياسيدي لما هو في محله ولكن مسألة ، قال : قل يا بني فقلت مثلك في فضلك وعلو منزلتك كيف لم تسأل ويسأل غيرك ، فقال : أنا لا أتكلم مع هؤلاء ابتداءً ، ولكن إذا خاضوا في ذكر ما لا يجوز في دين الله ،

رددنا عليهم بحكم ما فرض الله عليه من الرد على مخالفى الحق ،  
وعلى هذه الجملة سيرة السلف ، أصحاب الحديث المتكلمين  
منهم فى الرد على المخالفين ، وأهل الشبه والزيف <sup>(١)</sup> .

### فصل (١٤) <sup>(٢)</sup>

وهذا فصل عن ابن خفيف يتضمن رحلته إلى الشيخ  
أبى الحسن الأشعرى - رحمه الله ورضى عنه - :

قال الإمام الجليل ضياء الدين الرازى أبو الإمام فخر الدين ،  
- رحمهما الله - فى آخر كتابه « غاية المرام فى علوم الكلام » حكى  
عن الشيخ أبى عبد الله بن ( ص ٢٤٣ ) خفيف شيخ الشيرازيين  
وإمامهم فى وقته - رحمه الله - أنه قال :

دعائى أرب ، وحب أدب ، ولوع ألب ، وشوق غلب ،  
وطلب ياله من طلب : أن أحرك نحو البصرة ركابى . فى عنفوان  
شبابى ، لكثرة مابلغنى ، على لسان البدوى والحضرى . من فضائل  
شيخنا أبى الحسن الأشعرى ، لأستسعد بقاء ذلك الوحيد ،  
وأستفيد مما فتح الله تعالى من ينابيع التوحيد ، إذ حاز فى ذلك  
الفن قصب السباق ، وكان مما يشار إليه بالأصابع فى الآفاق  
وفاق الفضلاء من أبناء زمانه ، واشتاق العلماء إلى استماع  
بيانه ، وكنت يومئذ لفرط اللهج بالعلم واقتباسه ، والطمع  
فى تقمص لباسه ، أختلف إلى كل من جل وقل ، واستسقى الوابل والطل

( ١ ) السبكي ٢- ٢٧٧ .

( ٢ ) بالغة العربية السبكي ٢- ١٥٥- ١٥٩ .

وَأَتَعَلَّلَ بِعُصَى وَلَعَلَّ : فَأَخَذَتْ إِلَيْهِ أَهْبَةَ السَّيْرِ . وَخَفَقَتْ إِلَيْهِ خَفُوقَ الطَّيْرِ ، حَتَّى حَلَلَتْ رَبُوعَهَا ، وَارْتَبَعَتْ رَبِيعَهَا . فَوَجَدَتْهَا عَلَى مَاتَصَفِ الْأَلْسَنِ ، وَتَلَدَ الْأَعْيُنَ ، نَظِيفَةَ الْمَكَانِ ، تَرْغَبَ الْغَرِيبِ فِي الْأَسْتِيْطَانِ ، وَتَنْسِيهِ هَوَى الْأَوْطَانِ ، فَأَلْقَيْتَ بِهَا الْجِرَانَ ، وَأَلْقَيْتَ أَهْلَهَا الْجِرَانَ . فَلَمَّا أَنْخَتَ بِمَغْنَاهَا الْخَضِيبَ ، وَأَصَابَتْ مِنْ مَرَعَاهَا بِنَصِيبٍ ، كُنْتُ أُرُوزُ <sup>(١)</sup> فِي مَسَارِحَ لِمَحَاتِي ، وَمَسَايِجَ غَدَوَاتِي وَرُوحَاتِي ، أَحَدًا يَشْنُو أَوَامِي ، وَيُرْشِدُنِي إِلَى مَرَامِي ، حَتَّى أَدْتَنِي خَاتِمَةَ الْمَطَافِ ، وَهَدْتَنِي فَاتِحَةَ الْأَلْطَافِ ، إِلَى شَيْخٍ بِهِى مَنْظَرُهُ ، شَهَى مَخْبَرِهِ ، تَعْلُوهُ حِمْرَةٌ مَتَحِيْزٌ إِلَى زِمْرَةٍ ، فَلَمَحْتَهُ بِبَصَرِي ، وَأَمَعْنَتْ فِيهِ نَظْرِي وَفَرَحْتَ بِهِ فَرَحَةَ الْحَبِيبِ بِالْحَبِيبِ ، وَالْعَلِيلِ بِالطَّيِّبِ ، لَمَّا وَجَدْتَ فِيهِ رِيحَ الْمَحْبُوبِ ، كَمَا وَجَدْتُ فِي قَمِيصِ يَوْسُفَ يَعْقُوبَ ، عَلَى مَا قَالِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ « الْأَوْرَاحُ جُنُودٌ مَجْنُودَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ » <sup>(٢)</sup>

فَنَاجَانِي فِكْرِي بِالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ ، وَتَقَاضَانِي قَلْبِي بِالسَّلَامِ عَلَيْهِ ، فَاهْتَرَزْتَ لِدَلِّكَ ( ص ٢٤٤ ) اهْتِرَازَ الْمُحِبِّينَ ، إِذَ التَّقْيَا بَعْدَ الْبَيِّنِ ، وَحَيِيَّتَهُ تَحِيَّةَ مُحْتَزِّزٍ عَنِ الْقُدْرِي ، وَاسْتَخْبِرْتَهُ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ ، فَرَدَّ عَلَى السَّلَامِ ، بِأَوْفَرِ الْأَقْسَامِ وَأَجْزَلِ السَّهَامِ وَأَجَابَنِي بِلِسَانِ ذَلِكِ : وَوَجْهَ طَلْقٍ ، كَهَيْئَةِ الْمَقِيدِ ، مَا الَّذِي مِنْهُ تَرِيدُ ، فَقُلْتُ : قَدْ بَلَغْنِي ذِكْرَاهُ ، تَقَتِ أَنَّ أَلْقَاهُ ، لِأَحَى

(١) أُرُوزُ : مِنْ الْمَادَّةِ أُرُزَ وَلَا يَزَالُ فَلَانُ يَأْرُزُ إِلَى وَطْنِهِ أَيْ حَيْثُ ذَهَبَ رَجَعَ إِلَيْهِ .  
أَسَاسُ الْبَلَاغَةِ لِلْمُخَشَّرِ ١ - ٩ الْمُرْجَعُ .

(٢) وَرَدَ فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ . الْجَمْعُ الصَّغِيرُ ١ - ١٠٦ الْمُرْجَعُ .

بحياه ، وأتطيف برياه ، واستسعد بلبياه ، واستفيد من  
نمائس أنفاسه جداه وجدواه ، واحر قلباه . وواشدة شوقاه ،  
عسى الله أن يجمعنى وإياه .

فلما رأى الشيخ أن شغف الحب زادى <sup>(١)</sup> فى سنجرى ،  
وعنائى فى حضرى . وملك خلدى ، واستنقد جلدى ، وأن  
الشوق قد بلغ المدى ، واللوع قد جاوز الحد ، قال : ابتكر  
إلى موضع قدمى هاتين غدا ، فبذلت القياد ، وفارقت على  
الميعاد ، وبنت أساهر النجوم ، وأساور الوجوم : وما برح  
الحب سمير ذكرى . ونديم فكرى . يستعر استعارا  
ويلتهب بين ضلوعى نارا . إلى أن قضى الليل جلبابه ،  
واستلب الصبح خضابه ، فلما رأيت الليلة قد شابت ذوائبها ،  
وذابت شوائبها . ودر قرن الغزالة وثبت وثبة الغزالة وبرزت أنشد  
الشيخ البهى : وأتوسم الوجوه بالنظر الجلى ، فألقىته  
فى المقام المعهود متذكرا ، واقفما لى منتظرا ، فدلفت إليه ،  
لأقضى بحق السلام عليه ، فلما رآنى سبقتنى بالسلام ،  
وحفى للأقدام ، فقمضيت الزمام ، وقرنت رد جوابه بالاستسلام ،  
وقلت حييت بإكرام ، وحييت بين الكرام .

ثم استصحبنى وسار ، فتبعته متابعة العمارة أولى الأبصار  
حتى انتهى إلى القصد ، ودخل دار بعض وجوه البلد ، وفيها  
قد حضر جماعة للنظر ، فلما رأهم النيام ، تسارعوا إلى القيام ،

---

(١) فى النص : زادنى .

واستبقوا<sup>(١)</sup> إلى الباب ، وتلقوه بالترحاب ، وبادروا  
بالسلام ، وما يليق من الإكرام ، ثم عظموه ، وإلى الصدر  
قدموه . وأحاطوا به إحاطة الهالة بالقمر (ص ٢٤٥) والأكمام  
بالثمر ، ثم أخذ الخصام يتبادلون في المناظرة أطراف  
الكلام ، وكنت أنظر من بعيد ، متكئاً على حد سعيد  
حتى التقى الجمع بالجمع ، وقرن النبع بالنبع ، فبينما هم  
يرمون في عمايتهم ، ويخبطون في غوايتهم ، إذ دخل الشيخ  
دخول من فاز بنهرة الطالب ، وفرحة الغالب ، بلسان يفتق  
الشعور ، ويفلل الصخور ، وألفاظ كغمرات الألفاظ . والكرى  
بعد الاستيقاظ ، أرق من أديم الهواء ، وأعذب من زلال  
الماء ، ومعان كأنها فك عان . وبيان كعتاب الكعاب ،  
ووصل الأحباب في أيام الشباب ، تفيد الصم بيانا . وتعيد  
الشباب شبابا ، تهدي إلى الروح روح الوصال ، فتهب على  
النفوس هبوب الشمال ، وكان إذا نشأ وشى ، وإذا عبر حبر ،  
وإذا أوجز أعجز ، وإذا أسهب أذهب ، فلم يدع مشكلة  
إلا أزالها ، ولا معضلة إلا أزاحها . ولا فسادا إلا أصلحه . ولا  
عنادا إلا زحزحه ، حتى تبين الحى من المي ، والرشد من  
الغى ، ورفل الحق في أذياله ، واعتدل باعتداله ، وأقبل عليه  
الخاصة والعامة بإقباله .

فلما فرغ من إنشاء دلالتة . بعد جولاني في هيجان  
البلاغة من بسالته ، حار الحاضرون في جوابه ، وتعجبوا من

---

(١) في النص : استبقوا .



فصل خطابه . وعاد الخصوم كأنهم فراش النار وخشاش  
الآبصار . وأوباش الأمصار ، عليهم الدبرة . وعلى وجوههم  
الغبرة . قلت لبعض الحاضرين من الناظرين : من هذا الذى  
أكثر اختلاف القلوب . ونظم على هذا الأسلوب . الذى  
لم ينسج على منواله ، ولم تسمح قريحة بمثاله . وأجابنى  
وقال : هو الباز الأشهب والمبارز الأشعب . والبحر الطامى  
والطود السامى ، والغيث الهامى . والليث الحامى . ناصر الحق  
وناصح الخلق . قاطع البدعة ، ولسان الحكمة . وإمام الأمة ،  
وقوام الملة ، ذو الرأى ( ص ٢٤٦ ) الوضىء . والرواء المرضى  
ذو القلب الذكى ، والنسب الزكى . السرى بن السرى ، والبجل  
الحرى ، والسيد العبقرى . أبو الحسن الأشعرى ، فرمت  
طرفى فى ميسمه ، وأمعنّت النظر فى توسمه . متعجبا من تلهف  
جدوته . وتألّف جلوته ، دعوت له بامتداد الأجل ، وارتداد  
الوجل . فبينما أنا فيه إذ شمر للانشاء بعد حيازة  
الثناء . وشجذ للتحفز غرار عزمته : وخرج يقتاد القلوب  
بأزمته . فتبعته مقتفيا لخدمته ، ومنتهجا مواطىء قدمه  
فالتفت إلى وقال : يافى كيف وجدت أبا الحسن حين أفى  
فهرولت لالتزام قدمه ، وإستلام يده ، وقلت

ومسحل مثل حد السيف منصلت

تزل عز غيرة الألباب . الفكا

طعننت بالحجة الغراء جيلهم  
ورمح غيرك منه العى والحصر

لا قام ضدك، ولا قعد جدك . ولا فض فوك ، ولا لحقك  
من يقفوك ، فوالذى سمك السماء ، وعلم آدم الأسماء ،  
لقد أبديت اليد البيضاء ، وسكنت الضوضاء وكشفت الغماء ،  
ولحنت الدهماء . وقطعت الأحشاء وقمعت البدع والأهواء ،  
بلسان غضب وبيان عذب . آنس من الروض المحطور ،  
والوضى المنشور ، وأصفى من ذار الأمطار . ودرّ البحار وجررت  
ذيل النخار على هامة الشعراء . وقديما قيل إن من البيان  
لسحرا .

بيد أنه قد بقى لى سؤال . لما عراني من الأشكال . فقال  
أذكر سؤالك ولا تعرض عما بداك فقلت : رأيت الأمر لم يجر  
على نظام ، لأنك ما افتتحت فى الكلام ، ودأب المناظر  
ألا يسأل غيرك ، ومثلك حاضر . قال : أجل لكنى فى الابتداء  
ولا أذكر الدليل ، ولا أشتغل بالتعليل ، إذ فيه تسبب  
إلى إلجاء الخصم فى شبهه بطريق الاعتراض . ( ص ٢٤٧ )  
وما أنا بالتسبب إلى المعصية راض ، فامهله حتى يذكر ضلالتة ،  
ويفرد شبهه ومقالته ، فحينئذ نص على الجواب . فأرجو  
بذلك من الله الثواب .

قال الراوى : فلما رأيت مخبره ، بعد أن سمعت خبره :

وما دونه صفر . قد بلغ من الديانة أعلى النهاية ، وأوفى من  
الأمانة كل غاية ، وأنه هو الذى أوماً إليه الكتاب والسنة ،  
بحيارة هذه المنة ، نصر الحق . ونصح الخلق ، وإعلان الدين .  
والذب عن الإسلام والمسلمين ، فشادلى من الاعتداد بأوفر  
الأعداد . وأودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد ، فتعلقت  
بأهدابه . لخصائص آدابه . ونافست فى مصافاته : لنفائس  
صفاته . وابشت معه برهة أستفيد منه فى كل يوم نزهة ،  
وأدراً عن نفس للمعتزلة شبيهة ، ثم ألفت مع عار درجته ،  
وتفانم مرتبته . كان يقوم بتثقيف أوده من كسب يده ،  
من اتخاذ تجارة العقاقير معيشة . والاكتفاء بها عيشته ،  
تقاء للشبهات ، وإبقاء على الشهوات . رضى بالكفاف وإيثارا للنفاد

( ص ٢٤٨ )

## النَّبَأُ الشَّارِعُ

في ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا في شیراز

### فصل ( ١ )<sup>(١)</sup>

روى الديلمي عن الشيخ الكبير أبي عبد الله أنه قال : ما رأيت واجدا متحققا في وجده على السمرمية مثل أحمد بن يحيى ، وهو أول شيخ صحبه أبو عبد الله<sup>(٢)</sup> .

### فصل ( ٢ )<sup>(٣)</sup>

أبو العباس أحمد بن يحيى الشيرازي هو أستاذ الشيخ أبي عبد الله بن خفيف ، قال أبو عبد الله : لم أر واجدا متحققا مثله . كان تام السكر ، وحين كان يذهب إلى الصحراء ، كان يلعب مع السباع . ولحق بالجنيد . وریم . وسهل بن عبد الله<sup>(٤)</sup>

### فصل ( ٣ )<sup>(٥)</sup>

عبد الرحيم الاصطخرى : قال الديلمي : كان طريقه الشطح<sup>(٦)</sup> وإظهار الشطارة ، يلبس الأكسية الشيرازية ، كأنه شاطر يذهب إلى الصيد معه الكلاب . وكانت عنده حمائم .

(١) باللغة العربية . (٢) شد ١٣٨ .

(٣) باللغة الفارسية . (٤) نفحات ١٤٤ .

(٥) باللغة العربية . (٦) في النص : شطح .

وسئل الشيخ الكبير عن أحواله فقال : كان يتسلى بتلك الحمايم عن ثقل له ، قال : وعزم ليلة على الصيد : فرصده أحد (ص ٢٤٩) حين خرج ، فقفا أثره من غير أن يعلم به ، قال : فلما توسط الجبال أطلق الكلاب . ولبس مدرعة كانت معه ، وانتصب قائما يذكر الله عز وجل . فسمعت جلبة في الجبل ، حتى ظننت مابق شجر ولا حجر ولا ذو روح ، إلا ذكر الله بذكره <sup>(١)</sup> .

### فصل ( ٤ ) <sup>(٢)</sup>

بندار بن الحسين بن محمد بن المهلب الأركاني :

. . . وبينه وبين محمد بن خفيف مفاوضات في مسائل ، رد على محمد بن خفيف في مسألة الأيمان وغيرها حين رد محمد بن خفيف على أقوال المشايخ . فصوب بندار أقاويل الشيخ ورد عليه مراراً عليهم <sup>(٣)</sup>

### فصل ( ٥ ) <sup>(٤)</sup>

يقول الشيخ أبو عبد الله بن خفيف : قال لي الشيخ أبو بكر القصرى ذات يوم : هلم بنا نخرج إلى الصحراء ، فبينا نحن نسير . رأينا قوماً ما جنين <sup>(٥)</sup> يلعبون النرد على نجد ، فذهب أبو بكر وجلس بينهم ، وانهمك في اللعب معهم ، فتصببت عرقاً من الخجل ، إذ كان يفعل هذا والناس ينظرون إلينا .

(١) شد ٥١ . (٢) باللغة العربية .

(٣) ابن عساكر ١٧٩ ، أنصاري : ٢٣ ، سلمى : ٦٥ ، السبكي ٢ - ١٩٥ .

(٤) باللغة الفارسية . (٥) ذر النور : أ : مخنون وصحفاً أ : مخمون . المتأخر .

وفي النهاية هبطنا وسرنا : فرأينا بضعة أشخاص يعبون الشطرنج ، فاندفع إليهم<sup>(١)</sup> ، وجذب رقعتهم فمزقها ، وألقى بعيداً بتلك القطع الخشبية ، فسحب اثنان منهما السكين . فقال لهما القصرى : أعطيتاى السكين لآكلها ، فتعجبوا . وتركناهم وقلت بحدة (ص ٢٥٠) شديدة : ذلك التجاوز هناك وهذا الاحتماب هنا . فما هى جريرتهم هنا ؟ قال حينذاك كنت أنظر بالنظر اللدنى فلم أفرقا . والآن نظرت بالنظر العلمى : فرأيت حكمه<sup>(٢)</sup>

### فصل ( ٦ )<sup>(٣)</sup>

وقال الشيخ أبو عبد الله أيضا : كان الشيخ أبو بكر القصرى كثير الإطراق . فسألته عن سبب ذلك ، فقال : فيما مضى وى سالف عهذى ، كنت آكل شيئا كل سبعة أيام بلياليها . وكان رجل من الجن يأتينى ويسلم على من حيث لا أراه فقلت له ذات يوم : ماذا يكون لو ظهرت ؟

وفجأة رأيت شخصا قد بدا لى على أبهى صورة . قلت : من أنت ؟ قال : أنا من مؤمنى الجن ، وحينما نرى أمثالكم نحب أن نأتى ونسلم عليهم ، ثم قلت : من الآن اظهر لى فى كل آن . وانعقدت بيننا ألفة ، وآنس بى كثيرا . وكان يعلمنى أشياء . فقلت : ذات يوم : هيا بنا نذهب إلى المسجد ونجلس ساعة . قال : حين

(١) فى النص بك باز رفت وصحبایك باردفت : أى ذهب دفعة واحدة أو اندفع

(٢) أنصارى ٤٣١ ، نفحات ١٩٨ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ (أبو القاسم القصرى) .

(٣) باللغة الفارسية .

تجنس وتحدث ويراك الناس ولا يروننى . ينسبونك إلى الوسواس ، قلت : هيا ولنجلس فى طرف المسجد . فلا يرانا أحد . فدخلنا وجلسنا : قال : كيف ترى هؤلاء الناس ؟ قلت : بعضهم نعانس والبعض نائم . والبعض الثالث يقظ . قال : هل ترى مافوق رؤوسهم ؟ قلت : لا . فمسح على عيني فرأيت فوق رأس كل واحد قد حط غراب . (ص ٢٥١) وقد رفرف بجناحيه على أعين البعض . وجلس فوق رؤوس البعض بينما أخذ يحط حيناً . ويطير حيناً آخر على رؤوس البعض الآخر قلت : ماهذا ؟ قال : أو لم تقرأ قول الله تعالى « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » <sup>(١)</sup> : هؤلاء هم الشياطين . قد جلسوا فوق رؤوسهم ، واستولوا على كل واحد بقدر غفلته .

وظل ذلك الجنى يأتينى هكذا . ويظهر لى : حتى كان ذات يوم أصابنى فيه جوع شديد ، وكان عندى بقية من خبز الصدقة ، كما كان قد بقى على وقت الإفطار الذى اعتدته أربعة أيام فأخذت كسرة من ذلك الخبز وأكلتها ، فسكن جوعى . وفجأة أتانى ذلك الجنى وسلم على . ولكن لم يظهر وقال : كنا نريدك من أجل هذه الرياضة وذياك الصبر ولكن حين امتحناك لم تكن صبوراً : قال هذا وذهب . ولم يعد مرة ثانية ، واطراقى هذا من ذلك الوقت <sup>(٢)</sup>

(١) الزخرف : ٣٦ (٢) نفحات ٢٥٢ - ٢٥٣ ( أبو انعام )

### فصل ( ٧ ) <sup>(١)</sup>

وكان الحصرى وابن خفيف قرينين : كانا فى نفس الزمن ، وغادرا الدنيا فى سنة واحدة . أما ابن خفيف فكان أكثر عدة . وكان الحصرى أنقى باطنا ، قال شيخ الإسلام : كنت فى سنة إحدى وسبعين بمكة قلت : حين أعود أذهب لزيارة الحصرى وأبى عبد الله بن خفيف : وبلغت الأنبياء مكة فى تلك السنة أن الحصرى ذهب إلى بغداد ، وأن ابن خفيف ذهب إلى شيراز وتوفيا فى نفس السنة <sup>(٢)</sup> .

### فصل ( ٨ ) <sup>(٣)</sup>

( ص ٢٥٢ )

كان على بن بندار : يسير ذات مرة فى الطريق . مع أبى عبد الله ابن خفيف ، فبلغا جسرا ضيقا . فقال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف له : تقدم . فقال : بل تقدم أنت . قال : لا يكون . قال : ولم ؟ قال : لقد رأيت الجنيد ولم أراه <sup>(٤)</sup> .

### فصل ( ٩ ) <sup>(٥)</sup>

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف : قال واحد من هذه الطائفة لى : خرجت إلى الصحراء فرأيت إبراهيم المتوكل قد غسل ملابسه ، ونشرها فى الشمس قلت له : هيا نذهب معا ونأكل شيئا فارتدى ملابسه وهى مبللة . واصطحبني . وحينما قطعنا جزءا من الطريق :

---

(١) باللغة الفارسية . (٢) أنصارى ٤٤٧ : ٤٥٢ ، نفخت ٢٣١ - ٢٣٢ .

(٣) باللغة الفارسية .

(٤) أنصارى ٢٤٨ ، ٣٢ جريرى ( لا على بن بندار ) ١١٣ bs ٧٤ .

(٥) باللغة الفارسية .



رأى قليلا من عنب الثعلب ملقى في الطريق : فالتقطه وغسله وأكله وجلس . وقال : اذهب أنت فهذا يكفيني . ومهما ألححت لم يأت معي<sup>(١)</sup>

### فصل (١٠) <sup>(٢)</sup>

قال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف قدس الله سره : جاء أبو على الوارجي إلى شیراز للعمل والحكومة ومد السماط لصادر الفقراء وواردهم ، وبند كل صلاة عشاء ، كان يأتي ويجلس معي فكننا نتحدث معا (مُص ٢٥٣) .

و ذات ليلة جرى ذكر أيام الإرادة : فرفع قميصه : وكان على رقبته أثر على هيئة الطوق ، قلت : ما هذا ؟ قال : كنت في جبل لكام ، وكنت أرتدى خرقة ، أكلت في رقبتي ، وحينما عدت من هناك نبت اللحم ، وهذا ما تبقى من أثر ذلك فقلت : إذن وما السبب في دخولك في هذا العمل ؟ قال : لقد شاخت أمي وضعفت ، وتجمع على دين كثير ، فاحتجت إلى مأتري<sup>(٣)</sup>

### فصل (١١) <sup>(٤)</sup>

قال الشيخ أبو عبد الله : أبلغ جعفر الجعدي أن أبا عمرو الاصطخرى قال : كنت أغتسل فأنحل إزارى ، فرأيت يدين قد ظهرتا وراء ظهري ، وأحكمتا إزارى على وسطى . فنهض جعفر الجعدي وذهب إلى اصطخر ، ودخل دار أبي عمرو ، وأمسك

(٢) باللغة الفارسية .

(٤) باللغة الفارسية .

(١) صفحات ٢٤٨

(٣) صفحات ٢٥١ .

بقدمه ، فنهض أصحاب أبي عمرو فقال : دعوه ، فغضبه الله ،  
وقد جاء ماشيا مسافة اثني عشر فرسخا ، ودخل أبو عمرو  
في مقام الاعتذار ، ، وقال : لم أقل ذلك بل قلت كذا وكذا ،  
ثم أمر أصحابه بعد ذلك أن يحسنوا خدمته<sup>(١)</sup>

### فصل (١٢)<sup>(٢)</sup>

قال شيخ الإسلام : حين وقع خلاف<sup>(٣)</sup> بين الشيخ  
أبي عبد الله ، والشيخ موسى بن عمران الجيرفتي : أنفذ إليه رسالة  
إلى جيرفت ، يقول فيها : إن لي في شیراز ألف مريد . لو طلبت  
من كل واحد منهم ألف دينار ( ص ٢٥٤ ) لما تأخر ليلة . فأرسل  
موسى بن عمران في رده : إن لي في جيرفت ألف عدو . لو لحق  
بني واحد منهم ، لما أخرجني إلى ليلة . ولما تركني حيا . فهل أنت  
الصوفي أم أنا ؟<sup>(٤)</sup>

### فصل (١٣)<sup>(٥)</sup>

أحمد بن الحسين : جرى بينه وبين الشيخ الكبير أبيحات  
في الورع ، وروى أن الشيخ الكبير رأى يوما غصنا من الكرم  
على طريقه ، فتملكه وغرسه وكان يستقيه من فضل وضوئه

---

(١) نفحات ٢٥١ المترجم : روى شبيهها عن أبي حنيفة في كشف الخجوب .

(٢) باللغة الفارسية .

(٣) في النص الفارسي خونسية وصحتها خويسه كما ضبطها حبيبي في حواشي طبقات

الأنصاري حواشي ص ٥٨ :

(٤) أنصاري ٤٥٨ - ٤٥٩ ، نفحات ٢٦٣ .

حتى أثمر ، ثم بعث إلى الشيخ أحمد بقطف عنب من ذاك  
فلم يأكله ، وقال : كيف آكله ولا أدري من أين أصل ذاك الكرم<sup>(١)</sup>

### فصل (١٤)<sup>(٢)</sup>

الشيخ أبو عبد الله الحسين بن أحمد المعروف بالبيطار :  
....وقيل : إن بعض الولاة مرض . فدعا له الشيخ فشفي  
ببركة دعائه : فلقبه الشيخ الكبير . فقال له : متى صرت  
بيطارا ؟ فاشتهر به<sup>(٣)</sup>

---

(١) شد ١٦٢

(٢) بالعربية

(٣) شد ١٠٥ .

## البَابُ السَّابِعُ

### في ذكر عدد من المشايخ الذين مروا بشيراز

#### فصل (١) (١)

أبو طالب الخزرجي :

ذات ليلة سمع صوت قرقرة . قال الشيخ أبو طالب : ما هذا الصوت يا شيرازي ، فقال أبو عبد الله ابن خنيفة : كنت آكل في اليوم بليلة حبة باقلاء جافة ، فأخذت أقللها يوما بعد يوم ، حتى نزلت بها إلى تسع عشرة حبة في الشهر ، فقال الشيخ أبو طالب : يا شيرازي عض على هذا بالنواجذ ، فقد وقع ما وقع لي ، منذ أن حضرت مع أبي الحسن المزين وليمة ، فجاءوا بحمل مشوى على المائدة ، وكنت قد عاهدت ألا آكل مشويا ، فكففت يدي عنه فقال أبو الحسن المزين : كل بلا أنت (٢) ، أي كل ماتراه أمامك ، فظننت الأمر كما يقول ، فأكلت لقمة ، فأحسست أن إيماني قد خرج مني ، ومن ذلك اليوم فما بعد وأنا متأخر (٣)

(١) باللغة الفارسية .

(٢) وردت هكذا بالعربية . وكانت عضة إلى حد ما . وترجمها الأنصاري بالفارسية (٤٦٨) في خويشتن بخور : أي كل دون أن تتدخل بأنيتك .

(٣) نفعات : ٢٤٩ ، أنصاري ٤٦٧ - ٤٦٨ : فإذا أنا بريء مني أحسست قد خرج .

## فصل (٢) <sup>(١)</sup>

قال الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف : قال الشيخ أبو طالب :  
جاء شاب من خراسان لزيارة الجنيد ، فوضع الجنيد عصاه  
وركوته في دار ( ص ٢٥٦ ) وأغلق الباب ، وكان الصحاب  
مجتمعين في تلك الليلة .

فقال الجنيد : خذوه معكم : وإيتوني به صباحا ، وحينما  
تناولوا الطعام ليلا ، بدأوا اللعب بالحلقات على سبيل المزاح  
والمطايبة . وأشاروا إلى ذلك الشاب قائلين : شاركنا ، فأبى  
وغيرهم ، فنظر إليه الشبلي وقال : اصمت وإلا قمت ففصلت  
رأسك عن جسدك ، فصمت ذلك الشاب ، ولم ينبس ومضى .

وفي اليوم التالي قصوا على الجنيد هذا الأمر ، فنهض وذهب  
إلى الدار ، ليتفقد العصا والركوة ، فلم يجدهما ، فخرج وقال  
لأصحابه : عدة مرات وأنا أوصيكم ، ألا تحقروا غريبا يأتي  
إلى هنا ، فوالله لقد حمل عصاه وركوته من الدار دون أن أعطيه  
إياهما ، ومضى <sup>(٢)</sup> .

## فصل (٣) <sup>(٣)</sup>

روى أنه كان في زمانه شيخ محقق ، ولكنه لم يكن من علماء  
الطريقة ، وقد اتخذ فارس مقاما له ، واسمه محمد الذكيري ، ولم  
يرتد مرقعا ، وسألوا عبد الله ابن خفيف : ماهو الشرط في المرقع ،

---

(١) باللغة الفارسية .

(٢) نفعات : ٢٥٠ - ٢٥١

(٣) باللغة الفارسية .

ولمن يجوز ارتدأؤه ؟ قال : شرط المرقع القيام بما يقوم به محمد  
الذكيرى فى ردائه الأبيض ، وجازله به ارتدأؤه ونحن بين السماء  
لاندرى . هل نستطيع القيام به أولاً نستطيع ؟<sup>(١)</sup> .

(ص ٢٥٧)

### فصل (٤)<sup>(٢)</sup>

روى أنه نزل عند الشيخ مسافر ، قد ارتدى خرقة سوداء ،  
واشتمل بشملة سوداء ، واثنزرت بمئزر أسود ، ووضع قميصاً أسود .  
فداخلت الشيخ غيرة وقال : يا أخى لماذا ترتدى ثياباً سوداء ؟ قال :  
مات إلا هاى . أى النفس والهوى ، وقال : « أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ  
هَوَاهُ »<sup>(٣)</sup> فقال الشيخ : أخرجوه ، فأخرجوه بإذلال ، ثم أمر :  
أرجعوه فأرجعوه . وهكذا أمرهم أربعين مرة أن يخرجوه بإذلال  
ويرجعوه ، ثم نهض الشيخ وقبل رأسه ، وطلب العذر وقال : لقد  
سلم لك بارتداء السواد ، ففى هذه المرات التى أخرجوك فيها بذلة ، لم  
تتغير (٤) .

### فصل (٥)<sup>(٥)</sup>

سمعت رستم الشيرازى الصوفى يقول : كان أبو عبد الله بن  
خفيف فى دعوة ، فمد واحد من أصحابه يده إلى الطعام قبل الشيخ .

---

(١) تذكرة ٢ / ١٢٥

(٢) باللغة الفارسية .

(٣) الجائبة : ٢٣

(٤) تذكرة ٢ / ١٢٩

(٥) باللغة العربية .

لما كان به من الفاقة : فَأَرَادَ بَعْضُ أَصْحَابِ الشَّيْخِ أَنْ يَنْكَرَ عَلَيْهِ سُوءَ أَدَبِهِ . حَيْثُ مَدَّ يَدَهُ إِلَى الطَّعَامِ قَبْلَ الشَّيْخِ . فَوَضَعَ شَيْئًا بَيْنَ يَدَيْ هَذَا الْفَقِيرِ ، فَعَلِمَ الْفَقِيرُ أَنَّهُ أَنْكَرَ عَلَيْهِ لِسُوءِ أَدَبِهِ ، فَاعْتَقَدَ أَلَّا يَأْكُلُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا عِقَابًا <sup>(١)</sup> لِنَفْسِهِ ، وَتَأْذِيًا لَهَا وَإِظْهَارَ التَّوْبَةِ مِنْ سُوءِ أَدَبِهِ . وَكَانَ قَدْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ قَبْلَ ذَلِكَ <sup>(٢)</sup>

( ص ٢٥٨ )

### فصل (٦) <sup>(٣)</sup>

رَوَى عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَفِيفٍ أَنَّهُ قَالَ : سَأَلْنَا يَوْمًا الْقَاصِيَّ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ سَرِيجٍ ، وَكُنَّا نَحْضُرُ مَجْلِسَهُ لِدَرْسِ الْفَقْهِ ، فَقَالَ : مَحَبَّةُ اللَّهِ فَرَضٌ أَوْ غَيْرُ فَرَضٍ ؟ قَالَ : مَا الدَّلَالَةُ عَلَى ذَلِكَ ، فَقَرَأَتْ قَوْلُهُ تَعَالَى : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ » <sup>(٤)</sup> فَتَوَاعَدَهُمُ اللَّهُ عَلَى تَفْضِيلِ مَحَبَّتِهِمْ لغيره عَلَى مَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ، وَالْوَعْدَ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَى الْغَرَضِ ، قُلْتُ : وَمِثْلُ هَذَا الدَّلِيلِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَحَبَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » <sup>(٥)</sup>

(١) فِي النَّصِّ : عِقَابٌ (٢) رِسَالَةٌ ٨٨

(٣) بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ : مِنَ الْكُفْرِ ١١١ : اَلَّذِي ١١٤

(٤) اَلتَّوْبَةُ آيَةُ ٢٤

(٥) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَابْنُ خَلِّكَانٍ وَابْنُ مَاجَةَ عَنْ أَنَسٍ - اَلْجَمْعُ

صَغِيرٌ ٢ / ١٧٦ . اَلْمُتَرَجِّمُ

## فصل (٧)

مريدو الشيخ في شيراز ومعاصروه

(أ) أبو بكر أحمد بن محمد بن سلمه :

قد صحب أبا عبد الله المقاريضي . والشيخ الكبير  
أبا عبد الله عاش مائة سنة ، وجاور في رباط المقاريضي  
سبعين سنة ، توفي سنة سبع وأربعين وسبعمائة<sup>(١)</sup> .

(ب) الأكار : أبو علي الحسين بن محمد بن أحمد (بازيار) :  
(ص ٢٥٩) صحبت الشيخ الكبير . وسافر ولقى  
المشايخ ، وسلم له الشيخ الكبير الكسب في عمل الأكارية ،  
ويقول الشيخ فيه : تصوف الحسين في مسحاته وتأدب  
بصحبه الشيخ المرشد أبي إسحق الكارزوني ، وتوفي  
سنة إحدى وسبعين وثلثمائة ، ودفن بباب مرقد الشيخ  
الكبير حذاء وجهه<sup>(٢)</sup> . ولبس خرقة التصوف من حضرة  
الشيخ الكبير ، ورسخ قدمه سنوات في خدمته وصحبته<sup>(٣)</sup> .  
(ج) بابا كوهي الشيرازي :

مريد الشيخ عبد الله بن خفيف - باكويه : أبو عبد الله  
محمد بن عبد الله :<sup>(٤)</sup> لقي الشيخ أبا عبد الله محمد بن  
خفيف في أيام شبابه . توفي سنة اثنتين وأربعين وأربعمائه .

(١) بالعربية شد ١٠٢ ، شيرازنامه : ١٠٩

(٢) شد : ٤٩ المترجم : ولا أدري من أين أتت النشرة بسنة وفاته وهي بياض في  
نسخة القزويني وإن أشار في حواشيه أنها إحدى وتسعين وثلثمائة استنادا على شيرازنامه .

(٣) بالفارسية شيرازنامه ٩٨ ، نفحات ٢٥٤

(٤) تاريخ كزیده : ٧٨٥ ، شد : ٣٨٠ ، نفحات : ٣٢٠ ، شيرازنامه ١٠٣ المترجم  
وانظر حواشي القزويني بالنسبة للخلط بين هذه الشخصية والشاعر بابا كوهي ص ٣٨٠

ص ٣٨٢ ، ص ٥٥٠ - ص ٥٦٦ .



(د) البيضاوى : أبو الحسن سالبه بن أحمد .

كانت بدايته في أواخر الشيخ الكبير<sup>(١)</sup>

(هـ) حسين بن أحمد بن حسين (ابن أبي بكر الزاهد الشافعي

سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ) قال الديلمي : مارأيت أحدا

صاح من الوجد في مجلس الشيخ الكبير فرضيه غيره<sup>(٢)</sup> .

(و) الحضرمي : أبو العلاء . المشهور بالقفصي :

يقال : إنه أدرك صحبة الشيخ الكبير أبي عبد الله<sup>(٣)</sup> .

(س) (ص ٢٦٠) الشيباني : السيد يحيى بن عمار .

وقد رأى أبا عبد الله بن خفيف في شيراز وكان قد

وضع له مجلسا<sup>(٤)</sup>

(ح) المقاريضي : أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن : قد صحب

الشيخ الكبير أبا عبد الله محمد بن خفيف من مبدأ حاله

إلى منتهى كماله ، وكان بالباهلية مجلس يتكلم فيه ، وكان

في الحديث والتصوف مشارا إليه ، توفي في سنة إحدى عشر

وأربعمائه ، ودفن في قضاء مسجد على طرف المقبرة الباهلية ،

وزيارة قبره في قضاء الحوائج أثر عظيم جربه المشايخ .

وأخبروا عنه<sup>(٥)</sup>

(ط) المقاريضي : أبو سعيد عبد السلام بن محمد بن عبد الرحمن :

أدرك صحبة الشيخ الكبير . توفي في سنة أربعة وعشرين

وأربعمائه<sup>(٦)</sup>

(٢) شد : ١٦٣

(١) شيرازنامه : ١٠٠

(٤) نفحات : ٣٣٥

(٣) شد ١٠٨ / ١٠٩

(٦) شيرازنامه : ١٠٢

(٥) شد : ٩٩ شيراز نامه : ١٠١

(ص ٢٦١)

## الباب الثامن شرح كرامات الشيخ

### فصل (١)<sup>(١)</sup>

روى أن اثنين من الصوفية جاءا من مكان بعيد لزيارة الشيخ . فلم يجدا الشيخ في زاويته . فسألا : أين الشيخ ؟ فقيل لهما : في قصر عضد الدولة . قالا : أي أمر للشيخ في قصور السلاطين ، وآسفا على ظننا في الشيخ . ثم قالا : لنقم بجولة في المدينة فندخل السوق ، وذهبا إلى دكان خياط ، ليخطا جيب المرقعة . فضع للخياط مقراض ، فقال لهما : لقد أخذتماه ، وسلمنا إلى شرطى ، وحملا إلى قصر عضد الدولة . فأمر عضد الدولة بقطع يد كل منهما . وكان الشيخ أبو عبد الله بن خفيف حاضرا فقال : اصبروا فليس هذا من فعلهما ، فأطلقوهما ، ثم قال : للصوفيين : أيها الشباب ، لقد كان ظنكما في صادق ، ولكن مجيئى إلى قصور السلاطين بشأن هذه الأعمال . فصار كلاهما مريدا له . وذئك حتى تعلم أن كل من تعلق بالرجال لا يضيعوه ولا يكون ارتكانه على الريح .

---

(١) باللغة الفارسية .

(٢) تذكرة ٢ / ١٣٩ نامه دانشوران ٢ / ٤٤٢

(ص ٢٦٢)

## الباب التاسع

### في ذكر الأحاديث ( التي رواها الشيخ )

#### فصل (٢)

حدثنا ابن خفيف : حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد  
ابن إبراهيم . حدثنا شعيب بن أحمد الدارعي : حدثنا الخليل  
أبو عمرو وعيسى بن المسور قالا : حدثنا مروان بن معاوية ، حدثنا  
قنان بن عبد الله النهمي ، عن ابن ظبيان ، عن أبي عبيدة بن عبد الله  
ابن مسعود عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : سمعت  
كلأما في السماء فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال هذا موسى ، قلت :  
ومن يناجي ؟ قال : ربه قلت : ويرفع صوته على ربه ، قال : إنه  
قد عرف له حديثه .<sup>(١)</sup>

#### فصل (٣)

ومن مفاريد ما سمع منه ما أخبرنا في إجازته وكتابه إلى قال :  
حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن شاذ هرمز : حدثنا زيد بن  
احزم عن أبي داود عن شعبه ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما عرج بي إلى السماء سمعت

(١) كل فصول هذا باب باللغة العربية .

(٢) حذيفة ١٠ - ٣٦٨

تذمرا فقلت : يا جبريل من هذا ؟ قال موسى يتذمر على ربه فقلت : ولم ذلك قال : عرف ذلك منه ، فاحتمله ، هذا من حديث شعبة (ص ٢٦٣) متكرر - وأبو داود وزيد ثبتمان لا يحتملان هذا ، ولعله أدخل لابن شاذ هرمرز حديثا في حديث عبد الله بن مسعود .<sup>(١)</sup>

### فصل (٤)

قال محمد بن خفيف : لما خلق الله للملائكة والجن والإنس . خلق العصمة والكفاية والحيلة ، فقال للملائكة : اختاروا فاختراروا العصمة . ثم قال للجن : اختاروا ، فاختراروا العصمة ، فقال : قد سبقتم ، فاختراروا الكفاية . ثم قال للإنس : اختاروا ، فاختراروا العصمة قال : قد سبقتم . قالوا : الكفاية قيل : قد سبقتم . فأخذوا الحيلة . فبينوا آدم يحتالون بجهلهم .<sup>(٢)</sup>

### فصل (٥)

قال ابن خفيف : حدثنا أحمد بن سمعان . قال حدثنا الفضل بن حماد . حدثنا عبد الكبير بن معاذ بن عمران قال : حدثنا صالح بن موسى الطلحي قال عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو عدلت الدنيا عند الله جناح بعوضة ما أعطى كافرا منها شربة ماء<sup>(٣)</sup>

(١) حمية ١٠ - ٣٦٨

(٢) التسمية ٤٦٤ . تذكر ٢ - ١٣٠ . المترجم لم يذكر الحديث بل ذكر كقول من قال ابن خفيف .

(٣) السامي : ٤٦٣

(س ٢٦٥)

## الْبَابُ الْعَاشِرُ في ذكر مصنفات الشيخ

### فصل (١) <sup>(١)</sup>

كتاب الفضائل وحامع الدعوات والأذكار : للشيخ أبي عبد الله محمد الخفيف التبرازي الصوفي المتوفى سنة ٣٧١ مجلد : أوله : الحمد لله رفع السماء وما معها .... إلى آخره . رتبها على اثنين وستين ومائتين بابا . ذكر فيها فضائل القرآن ، وأدعية الصلوات . وسائر العبادات . وأدعية الأنبياء والصحابة والزهاد والتابعين . <sup>(٢)</sup>

### فصل (٢) <sup>(٣)</sup>

ليس أضرب بالمرير من مسامحة النفس في ركوب الرخص وقبول التأويلات .

قال عبد الله بن خفيف مثله . <sup>(٤)</sup>

---

(١) باللغة العربية .

(٢) حاشي خيفة ه - ١٣

(٣) هذا النص تورد النشرة الحمل بالعربية ثم يترجمها بالفارسية . ومنكنى هنا بذكر كلمة مثله إذا كانت إجملتان متطابقتين ، أما إذا كانتا مختلفتين ، فستقدم الترجمة العربية مع النص الفارسي ومثل هذا في كل الفصول المتناهية فيما بعد .

(٤) السنن ٤٦٥ ، رسالة : ٣٧ ، ٩٧٤ : السبكي ٢ - ١٥٤ ، أنصاري ٦٤٩

نفعات ٢٤٩ ، الشعر في ١ - ١٢٠

### فصل (٣) في الخجة<sup>(١)</sup>

(١) الباب الثاني : هل يجوز إضلاق العشق من الله على الله ،  
وما شيخنا أبو عبد الله بن خفيف رحمة الله عليه .  
فقد كان ينكر ذلك ( ص ٢٦٥ ) زمانا . وحتى وقعت  
إليه مسألة لأنّ القاسم الجنيد في العشق واشتقاقه وماهيته .  
فقال به ورجع عن إنكاره . وجوزده . وصنف فيه مسألة .<sup>(٢)</sup>

(ب) الحب : وقال شيخنا أبو عبد الله بن خفيف : يحتمل  
أنّه (هكذا في النص) مأخوذة من قوله : (يحبهم) فأفاض  
على الأسرار من حبه فاحتواها وألبسها لبسه من حُبوبه ،  
فساغ في وضعه فسمى ذلك حبايا باسم الحق ووصفه .<sup>(٣)</sup>

(ج) وحكى شيخنا أبو عبد الله عن أهل دمشق أنهم قالوا :  
إن أصل العشق الحب . ثم الرؤية . ثم العشق ، وذكر أن  
الله تعالى قال لأرميا النبي رضى الله عنه : يا أرميا إني من  
قبل أن خلقتك نبيتك . ومن قبل أن صورتك قد ستك ، ومن  
قبل أن أخرجتك إلى الأرض طهرتك ولأمر عظيم اجتبيتك<sup>(٤)</sup>

---

(١) هذا الفصل باللغة العربية أما العنوانان فبالفارسية .

(٢) الديلمي : ٥٧ ا

(٣) الديلمي : ٣١ ا هنا إشارة للآية ٥٤ من المائدة .

(٤) الديلمي br.٨ . التوراة باب ١ .

(د) وقال شيخنا أبو عبد الله بن خفيف في أصل المحبة ،  
فقال : إن من الحق لعبده يتولد تأثيرات لايسة  
لقلوبهم ، وغشاوة تظهر على أسرارهم . ليكونوا بذلك  
موصوفين . وإن لم يكونوا لها كاسبين

قال : واحتمل أن يقال أن تأثيرات محبة الحق أغار  
على القلوب ، فألبسها لبسة نورية وبهجة سماوية ،  
فوله المحبوب لما غشيه من حبه <sup>(١)</sup> .

(هـ) المحبة ظهور الطاقة . وبوادي نعمائه اللابس للقلوب  
للاستلذاذ بذكر المحبوب <sup>(٢)</sup>

(و) المحبة وجد يسر تشعر الأرواح نسيم روحه <sup>(٣)</sup>

## فصل (٤) <sup>(٤)</sup> في الذكر

( ص ٢٦٦ )

أعلم أن المذكور واحد . والذكر مختلف ومحل قلوب  
الذاكرين متفاوتة ، فأصل الذكر إجابة الحق من حيث اللوازم  
لقوله عليه السلام « من أطاع الله فقد ذكر الله . وإن قلت صلاته  
وصيامه وتلاوته » <sup>(٥)</sup> .

(١) الديلمي ٣٩ b

(٢) الديلمي ٤٩ a

(٣) الديلمي ٤٩ a

(٤) باللغة العربية

(٥) الحديث : رواد الطبراني عن واقف . جامع ٢ - ١٢٠

ثم ينقسم الذكر قسمين ظاهرا وباطنا . فأما الظاهر .  
فالتهليل والتحميد والتمجيد وتلاوة القرآن : وأما الباطن .  
فتمنيبه القلوب على شرائط التبتط . على معرفة الله وأسمائه وصفاته .  
وعلى أفعاله ونشر إحسانه . وإمضاء تدابير ونماذ تمديده على  
جميع خلقه .

ثم يقع ترتيب الأذكار على مقدار الذاكرين . فيكون ذكر  
الخائفين على مقدار قوارع الوعيد . وذكر الراجين على ما استبان  
لهم من مواعده ، وذكر المجتبيين على قدر تصفح النعمان ، وذكر  
المراقبين على قدر العلم باطلاع الله عليهم . وذكر المتوكلين على  
قدر ما انكشف لهم من كفاية الكافي لهم . وذلك مما يطول  
ذكره ، ويكثر شرحه . فذكر الله منفرد . وهو ذكر المذكور  
بأنفراد أحديثه على كل مذكور سواه ، لقوله تعالى في الحديث  
القدسي : « من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي » <sup>(١)</sup> والأصل  
إفراد النطق بالوحيته لقوله عليه السلام « أفضل الذكر لا إله  
إلا الله » <sup>(٢) (٣)</sup> .

---

(١) عبدی إذا ذکرنی خالیا ذکرک خالیا وإن ذکرنی فی مؤذ ذکرک فی ملأخیر منہ .

رواه البيهقي في الشعب عن ابن عباس جامع ٢ - ٧١ .

(٢) «أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله» روى ترمذي والبيهقي عن

جابر (جامع ١ - ٤٢) .

(٣) حلية ١٠ - ٣٨٦ ، السبكي ٢ - ١٥٤ ، لبعضه الشعرائي ١ - ١٢٠ .



٢٧٦ ص فصل (٥)

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
١ - الإيمان تصديق القلوب بما أعلمه الحق من الغيوب ، ومواهب الإيمان بؤادى أنواره والملبس لأسراره . وظاهر الإيمان النطق بالوحيته على تصديق أحديته : وأفعال الإيمان الالتزام عبوديته . والانقياد لقوله . (١)	١ - الإيمان تصديق القلب بما ينكشف له من الغيب . (٢)
٢ - الإنبساط سقوط الاحتشام عند السؤال . (٤)	٢ - الهم كف الجسد عن الطرب . (٣)
٣ - سئل ثم صار بلاء المحبين أعظم من سائر الأحوال . فقال : لأنهم آثروه على أرواحهم فابتلاهم بحبه لهم . (٦)	٣ - مثله . (٥)

(١) حلية : ١٠ - ٣٨٦ إلى الغيوب ، رسالة ٥ ، اسمى : ٤٦٥ : كشف ٣٧٣  
الإيمان تصديق القلب بما أعلم الغيوب .

(٢) تذكرة : ٢ - ١٣١ (٣) تذكرة ٢ - ١٣١

(٤) أنصاري : ٤٦٩ ، سبكي ١٥٤/٢

(٥) تذكرة ٢ - ١٣١ (٦) اسمى : ٤٦٦ .

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
٤ - الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب . <sup>(١)</sup>	انظر رقم ٢ في الأفعال المترجمة عن الفارسية .
(ص ٢٦٨)	
٥ - الخوف اضطراب القلب مما علم من سطوة المعبود . <sup>(٢)</sup>	
٦ - الدنف من احترق في الأشجار : ومنع من بث الشكوى . <sup>(٣)</sup>	
٧ - الرجا ارتياح القلوب لرؤية كرم المرجو المحبوب . <sup>(٤)</sup>	
٨ - حقيقة الرجا الاستبشار بوجود فضله وصحة وعده . <sup>(٥)</sup>	٤ - الرجا الاستبشار بوجود وصاله . <sup>(٦)</sup>

(١) رسالة : ٦٥

(٢) حنية : ١٠ - ٣٨٦

(٣) السبكي : ١٥٤/٢

(٤) رسالة ٨٢ المرجو المحبوب حنية ١٠ - ٣٢٦ الموحدة .

(٥) حنية ١٠ - ٣٨٦ . لوجود . رسالة ٨٢ بوجود وصحته وعده ناقصة .

(٦) تذكرة ٢ - ١٣١

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
٩ - الرجا سكون القلب إلى أحكامه وموافقة القلب بما رضى به واختاره . (١)	٥ - الرضا على قسمين : رضاه ورضا عنه ، فالرضا به يكون في التدبير ، والرضا عنه يكون بما يعجرى به القضاء . (٣)
١٠ - الرضا قسمان : رضا به ورضا عنه . (٢)	(ص ٢٦٩)
١١ - حقيقة الإرادة استدامة الكسر وترك الراحة . (٥)	٦ - الراحة التعنف عن الدنيا وعين الراحة في الخروج منها . (٤)
١٢ - الرياضة كسر النفوس بالخدمة ، ومنعها عن الفترة . (٧)	٧ - مثله . (٦)
	٨ - الرياضة كسر النفوس بالخدمة ومنعها عن الفترة في الخدمة . (٨)

(١) رسالة : ١١٦ ، نامه : ٢ - ٥٤٦

(٢) نامه - ٢ - ٥٤١

(٣) تذكرة ٢ - ١٣١ (٤) تذكرة ٢ - ١٣٠

(٥) السلي ٤٦٥ (٦) تذكرة ٢ - ١٣١

(٧) السلي : ٤٦٥ ، حلية ١٠ - ٣٨٧

(٨) تذكرة ٢ - ١٣١

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
٩ - مثله . (١٢م)	١٣- الزهد سلو القلاب عن
	الأسباب ، ونفض الأيدي عن الأملاك <sup>(١)</sup>
	١٤- وحقيقة الزهد التبرم بالدنيا ووجود الراحة في الخروج منها . <sup>(٢)</sup>
	١٥- علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن المثل . <sup>(٣)</sup>
	١٦- الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . <sup>(٤)</sup>
	١٧- سئل عن السكر فقال : غليان القلب عن معارضات ذكر المحبوب . <sup>(٥)</sup>

(١) حلية ١٠ - ٣٨٦ ، رسالة ٧٢ .

(٢) حلية : ١٠ - ٣٨٦ .

(٣) رسالة ٧٢ الملك ، إحياء : ٤ - ٢١٦ .

(٤) إحياء : ٤ - ٢١٦ .

(٥) حلية ١٠ - ٣٨٦ ، السبكي ٢ - ١٤٥ .

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
	<p>(ص ٢٧٠)</p> <p>١٨-المشاهدة اطلاق</p> <p>القلوب بصفاء اليقين إلى          ما أخبر الحق من الغيوب .<sup>(١)</sup></p> <p>١٩-الشوق ارتياح القلوب          بالوجد ومحبة اللقاء والقرب<sup>(٢)</sup></p>
<p>١٠- الصوفي هو من ليس          الصوف على الصفا ، وذاق          الهوى في طعم الجفا ، وألقى          بالدنيا وراء القفا .<sup>(٤)</sup></p>	<p>٢٠- الصبر على ثلاثة          أقسام : متصبر وصابر          وصبار .<sup>(٣)</sup></p>
<p>١١- التصوف الصبر تحت          مجارى الأقدار ، والتقرب          من يد الملك الجبار ، وقطع          الصحارى والقفار .<sup>(٦)</sup></p>	<p>٢١- الصوفي من استصفاه          الحق لنفسه توددا . والفقير          من استصغى نفسه في فقره          تقربا .<sup>(٥)</sup></p>

(١) حلية ١٠ - ٣٠٨ ، السبكي ٢ - ١٥٤ الغيب .

(٢) رسالة : ١٩٥ .

(٣) رسالة : ١١١ . ثمانية ٢ - ٥٣٩ .

(٤) تذكرة ٢ - ١٣٠ .

(٥) نفحات : ١١ .

(٦) تذكرة ٢ - ١٣١ .

مترجم عن الفارسية	عربي الأصلي
	<p>٢٢ - التصوف تصفية  القلوب عن موافقة البرية .  ومفارقة الأخلاق الطبيعية .  وإخماد صفات البشرية .  ومجانبة الدعاوى ( ص ٢٧١ )  النفسانية ، ومناولة الصفات  الروحانية والنطق بالعلوم  الحقيقية ، واستعمال ما هو  أولى على السرمدية . والنصح  لجميع الأمة ، والوفاء به  لله تعالى على الحقيقة .  واتساع الرسول صلى الله  عليه وسلم في جميع الشريعة<sup>(١)</sup></p> <p>٢٣ - التصوف وجود الله  في حين الغفلة<sup>(٢)</sup></p>

١٢ - مثله<sup>(٣)</sup> .

(١) سلمى : ٤٦٤ ، أنصاري : ٤٤٧ ، السبكي ٢ - ٤٤٥ :

(٢) أنصاري ٤٤٥ ، إعلام ١١١ .

(٣) أنصاري ٤٤٥ ، نفحات : ٢٣٥

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
٢٤ - متى تصح عبودية فقال : إذا ضُرح كنهه على مولاه وصبر معه على بنوّه <sup>(١)</sup>	١٣ - مثله <sup>(٢)</sup>
٢٥ - المعرفة مطالعة القلوب لأفرادها عن مطالعة تعريفه <sup>(٣)</sup>	
٢٦ - الغنى الشاكر هو الفقير الصبر <sup>(٤)</sup>	
٢٧ - الفقر عنده للأمل والخروج عن أحكام الصفات <sup>(٥)</sup>	١٤ - مثله <sup>(٦)</sup>
٢٨ - الأكل مع الفقراء قربة إلى الله تعالى <sup>(٧)</sup>	

(١) رسالة : ١١٨ ، السبكي ٢ : ١٥٤

(٢) تذكرة ٢ - ١٣١ .

(٣) حلية : ١٠ - ٢٨٦ الصراج ٣١ دون ذكر اسم الشيخ : المعرفة مطالعة القلوب  
لأفرادها على لطائف تعريفه .

(٤) السبكي ٢ : ١٥٥

(٥) رسالة ١٦٣ ، نفحات : ١١

(٦) تذكرة : ٢ - ١٣١ .

(٧) ٧٥ ، شذرات : ٣ - ٧٧ ،

مترجم عن "فارسية"	عربي الأصل
	( ص ٢٧٢ )
	٢٩ - قربك منه بخدمة الموافقات ، وقربه منك بدوام التوفيق <sup>(١)</sup>
	٣٠ - القرب طى المسافات بلطيف المدانة <sup>(٢)</sup> .
٥ - القناعة ألا تطلب من ليس في يدك <sup>(٤)</sup> ولا تحتاج إلى ما في يدك	٣١ - القناعة الاكتفاء بالبلغة . وحقيقة القناعة ترك التشوف إلى المفقود . والاستغناء بالموجود <sup>(٣)</sup>
١٦ - نفي الذات في الشريعة زهدية وفي الحقيقة شرك <sup>(٥)</sup>	٣٢ - الإنابة : التزام الخدمة وبذل المحبة <sup>(٦)</sup> .

(١) السلمي : ٤٦٦ ، السبكي ٢ - ١٥٤ ملازمة .

(٢) السبكي : ٢ - ١٥٤

(٣) حلية ١٠ - ٣٨٦

(٤) تذكرة ٢ - ١٣١

(٥) أنصاري ٤٥٧ .



عربي لأصل	مترجم عن الفارسية
٣٣ - التوحيد - تحقق القلوب بإثبات الموحّد كمال أسائه وصفاته . ووجود التوحيد مطالعة الأحدية على إرضاء السرمديّة <sup>(١)</sup>	١٧ - مثله <sup>(٣)</sup> .
٣٤ - التوحيد : لإعراض عن الطبيعة <sup>(٢)</sup> .	١٨ - مثله <sup>(٥)</sup> .
(ص ٢٧٣)	
٣٥ - الرّض من اتّصل لمحبوبه في كلّ شيء ونحب عن كلّ شيء سواه <sup>(٤)</sup>	١٩ - مثله <sup>(٧)</sup> .
٣٦ - التقوى : مجانسة كلّ شيء يبعدك عن الله <sup>(٦)</sup> .	

(١) حية : ١٠ - ٣٨

(٢) كشف : ١٩٩

(٣) كشف : ١٩٩

(٤) السبكي : ٢ - ١٥٥

(٥) تذكرة : ٢ - ١٣١

(٦) غنية : ١٣٧ : كلّ شيء - السلمي ٤٣٥ ، حلية : ١٠ - ٣٨٦ ، السبكي ٢ - ١٥٤

(٧) تذكرة : ٢ - ٣١

عربي الأصل	مترجم عن لفارسية
٣٧ - نتوكل: الاكتفاء بضمانه وإسقاط التهمة عن قضائه <sup>(١)</sup>	٢٠ - مثله <sup>(٢)</sup>
٣٨ - اليقين تحقيق الأسرار بأحكام الغيبيات <sup>(٣)</sup>	

## فصل ٦

وتكتم الشيوخ في الخاطر الثاني . إذا كان الخاطران من الحق سبحانه وتعالى هو هو أقوى من الأول . فقال الجنيد : الخاطر الأول أقوى لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل ، وهذا بشرط العلم . فترك الأول يضعف الثاني . وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول . وقال أبو عبد الله بن خفيف من المتأخرين : هما سواء لأن كليهما من الحق ، فلا مزية لأحدهما على الآخر . والأول لا يبقى في حال وجود الثاني . لأن الآثار لا يجوز عليها البقاء<sup>(٤)</sup>

(١) السلي : ٣٦٥ ، حلية ١٠ - ٣٨٦ ، السبكي ٢ - ١٥٠

(٢) السلي : ٣٦٥ تحقق ، حلية ١٠ - ٣٨٦ تحقيق ، رسالة ١٠٨ ، السبكي

٢ - ١٥٠ تحقق .

(٣) تذكرة : ٢ - ١٣١ ، ثامة ٢ - ٣٧ د محقق : في أن اليقين به ما قد قدر في حجب

النايب

(٤) بالغة العربية .

(٥) رسالة : ٥٧ ، وللمهروردى في إحياء : ٤ - ١٩١ .

(ص ٢٧٤)

وصية ابن خفيف

الوصية المترجمة عن الفارسية	الوصية العربية الأصل
<p>بسم الله الرحمن الرحيم</p> <p>هذه ترجمة مختصرة للخصان الخمس وعشرين ، أوصى بها حضرة سلطان المشايخ المحققين ، برهان قواعد المدققين ، قطب الأولياء الناسكين ، الهادي إلى طريق حق اليقين . آية من آيات الله الملك اللطيف ، الشيخ أبو عبد الله محمد بن خفيف قدس الله سره ، ثم ختمه كتب : على المرید القاصد الصادق أن يرى أن رعيتها وحفظها واجبان ولازمان عليه . أملا في أن يثبت من مضيق النفس والطبيعة في بساط العبودية . بفضل الله وحسن توفيقه ، وهي على خمس وعشرين خصلة .</p>	<p>بسم الله الرحمن الرحيم</p> <p>الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد فهذه وصية من كلام الشيخ الكبير سلطان الأقطاب أبو عبد الله محمد بن خفيف الديلمي الشيرازي قدس الله سره .</p> <p>يجب على المرید إذا قصد سلوك الطريق ، وخرج من المضيق إلى الشفيق الرقيق أن يحفظ هذه الخصال التي أذكرها .</p>

الوصية المترجمة عن الفارسية	الوصية العربية الأصل
<p>الخصلة الأولى : الندم على الأيام التي ضيعها في الغفلة وصرفها في المذاهي والملاهي . (ص : ٢٧٥) والسعي في أداء حقوق الله تعالى من تدارك لما فات ومن فرائض ، وحقوق عباد الله من رد للمظالم .</p>	<p>الأولى : أن يبدأ بالندم على ما سلف من أيامه في الغفلة والتفريط وأن يخرج من المظالم .</p>
<p>الخصلة الثانية : أن يتعلم العلم الذي يفرضه الوقت ويحتاج إليه في العمل ، بحيث لا يجب علم الزكاة على من لا تجب الزكاة عليه .<sup>(١)</sup></p>	<p>الثانية : أن يتعلم من العلم ما يستعمل في وقته .</p>
<p>الخصلة الثالثة : رعاية أمور ثلاثة : الأول : الصمت لعلاج وساوس النفس ، والثاني : الخلوة لجمع الحواس ، والثالث : مداومة الذكر لتصفية القلب .</p>	<p>الثالثة : لزوم الصمت والخلوة وذكر الله تعالى على كل حال .</p>

(١) هنا خلاف مع الهجویری . انظر كشف المحبوب ص ٤٠٦ . المترجم .

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>الخصلة الرابعة : أن يعرف حق الله تعالى في القيام والقعود . وجميع الأحوال . حتى يستطيع أن يشتغل برعاية آدابه .</p> <p>الخصلة الخامسة : ينبغي ألا يشرع في أمر يعن له دون مشورة حتى يحفظ من الفساد .</p>	<p>الرابعة : أن يعرف حق الله تعالى في قيامه وقعوده وجميع أحواله .</p> <p>الخامسة : ألا يستعمل إلا مشورة .... وأن يكون للإنسان أخ ناصح .</p>
<p>الخصلة السادسة : أن يطلب مرشدا ، أو أخا في الدين حتى يأمن ببركته من المخاطر</p> <p>الخصلة السابعة : ينبغي أن يتوافق قلبه ولسانه . حتى لا يقع في ورطة الاختلاف ، وينبغي ألا يعخطر بفكرة إقبال الدنيا وإدبارها ، حتى لا تهجر قلبه لذة السويداء .</p>	<p>السادسة (ص ٢٧٦) أن يوافق قلبه لسانه ، ولا تخطر الدنيا بباله .</p> <p>السابعة : أن يستعمل الصدق في جميع أحواله وأقواله .</p>
<p>الخصلة الثامنة : ملازمة الصدق في جميع الأحوال والأقوال .</p>	

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>يقول الشيخ الشبلي قدس الله سره : مداومة الصدق مع الإخوان ، وملازمة القلب لحضرة الرحمن .</p>	
<p>الخصلة التاسعة : ضبط البطن واللسان ، فحينما يبتلى المرید بحب الشهوة ، يمضي أيامه في الغفلة والبطالة ، ويحرم من الوصول إلى المطلوب ، وحينما يميل إلى كثرة الكلام ، فإن قلبه لا يأنس بالذكر ولا يشغل بالمراقبة إذ أن معصية اللسان أكثر من سائر المعاصي .</p>	<p>الثامنة : أن يضبط بطنه ولسانه ، فإن المرید إذا كان مع شر النفس أكلوا يحب الشهوات ، فإنه لا يجد ما يريد . ويذهب أيامه بالغفلة والباطل ، فإذا كان كثير الكلام فإنه لا يسكن قلبه بذكر الله تعالى ومراقبته . فإن معصية اللسان أكثر من سائر المعاصي .</p>
<p>الخصلة العاشرة : استعمال الأدب بظاهر الجوارح وبباطنها في تزكية النفس ، وتصفية القلب وتجليه الروح .</p>	<p>التاسعة : أن يستعمل الأدب ولا يتكلم إلا بما لا بد منه</p>
<p>الخصلة الحادية عشرة : رعاية أمور ثلاثة : الأول : ألا</p>	<p>(ص ٢٧٧) العاشرة : ألا يأكل حتى يجوع ، ولا يشرب</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>يأكل حتى يأخذ منه الجوع ، فقطّع المسافة بقطع الغذاء . والثاني : ولا يشرب حتى يأخذ منه العطش . حتى لا يغلب عليه النوم . والثالث : ألا يميل إلى النوم حتى يغلب عليه ، وذلك حتى يأخذ نصيبا من الأفكار الحقانية والمخاطبات الربانية .</p>	<p>حتى يعطش ، ولا ينام حتى يغلب عليه النوم .</p>
<p>الخصلة الثانية عشرة : أن يجتنب محادثة النساء ومجالستهن خاصة في مواضع الشهوات حتى يأمن بوائق النفس ووساوس الشيطان .</p>	<p>الحادية عشرة : ألا يحدث مع النساء ولا يجلس معهن في مواضع الشهوات .</p>
<p>الخصلة الثالثة عشرة : ينبغي ألا يسترق النظر إلى حجرات المسلمين من خلف ظهره ، فقد روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه</p>	<p>الثانية عشرة : أن يغض بصره ، ولا ينظر إلى ما بين يديه ، ولا ينظر في حجرات المسلمين . فإنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن من نظر في</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>قال : من نظر في حجرات المسلمين فهو منافق .</p>	<p>حجرات المسلمين فهو منافق .</p>
<p>الخصلة الرابعة عشرة : دوام الطهارة ، خاصة في زمن الأكل والنوم ، فللطهارة فوائد يدرك آثارها أربابها .</p>	<p>الثالثة عشرة : ألا يغفل عن الوضوء كل ساعة ولا يغفل عنه عند الأكل والنوم .</p>
<p>الخصلة الخامسة عشرة : اجتناب مجالسة أهل الغفلة إلا في وقت الضرورة ، وإذا اضطر عليه أن يقوم ، حتى لا يصاب بعدوى الغفلة .</p>	<p>(ص ٢٧٨) الرابعة عشرة إياه ومجالسة الغافلين إلا عن ضرورة أو فيما لابد منه .</p>
<p>الخصلة السادسة عشرة : اجتناب السماع إلى كلام الدنيا ، فمنه يظهر أغلب فساد القلب وتفرقه ، وخوفاً من أن يبتلى بمحبته الدنيا ويهلك .</p>	<p>الخامسة عشرة : إياه واستعمال الكلام في الدنيا .</p>
<p>الخصلة السابعة عشرة : ينبغي أن يجتنب منزلاً فيه عرس ، حتى لا يرتد عن الطريق ، يستل بالثفكر في النكاح .</p>	



مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>الخصلة الثامنة عشرة :</p> <p>أن يحترز من قول هذه الألفاظ : لوفعلت كذا لكان كذا ، ولو لم أفعل كذا لم يكن كذا ، فهذا من قبيل كلام المنافقين بل ينبغي أن يقول : ما شاء فعل . وما يشاء يفعل ، وما قدر كان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .</p>	<p>السادسة عشرة الأيقول :</p> <p>إن فعلت كذا لكان كذا ولو لم أفعل كذا لم يكن كذا . فإنه كلام المنافقين بل يقول : ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وما قدر سيكون ، حسبنا الله ونعم الوكيل .</p>
<p>الخصلة التاسعة عشرة : ينبغي</p> <p>ألا يناظر أبدا قدريا ، أو معتزليا ، أو رافضيا ، أو مبتدعا ، فلا يمكن أن يغير اعتقادهم . كما أن ناقص العقل يتعلق فجأة بحبال الضلالة بواسطة هذه المناظرة</p>	<p>(ص ٢٧٩) السابعة عشرة :</p> <p>ألا يناظر جبريا ولا قدريا ، ولا معتزليا ولا رافضيا ولا أحدا إلا ملا بد منه .</p>
<p>الخصلة العشرون : عليه بترك العتاب والخطاب ، وعليه بالأنس بالله تعالى عن اعوجاج الخلق ولجاجهم وعنادهم ، حتى يعتاد</p>	<p>الثامنة عشرة : إياه والمعاتبة مع أحد الناس ، فإن هذا ليس من أفعال المريدين القاصدين .</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصم
<p>ضبعه على المحاسن الكريمة ، ويكون محصنا من التعرض للسخط وغيره .</p>	
<p>الخصلة الحادية والعشرون : أن يشغل نفسه بأمر يعود عليه بالخير بدلاً من أن يشغل نفسه بالآخرين ، حتى يسرع في الوصول إلى مقصد الصدق ، ويطلع على علم لا اطلاع لأحد عليه .</p>	<p>( التاسعة عشرة : ألا تقبل نفسه شيئاً من الوسوسة أنه خير من غيره ، وأنه يعلم ما لا يعلم غيره .</p>
<p>الخصلة الثانية والعشرون : اجتناب الكبير ، وهو ازدراء الخلائق ، والاستخفاف بأقدارهم ، وهذا من أمراض القلب ، كما أنه عيب كبير جداً ، والخوف من أن توجب له هذه الصفة سخط الأبد .</p>	<p>العشرون : إياه والكبر وعلامته أن يزدري بأحد من الناس ويستخف بهم</p>
<p>الخصلة الثالثة والعشرون : اجتناب العجب ، وعلامته العجب</p>	<p>(ص ٢٨٠) الحادية والعشرون : إياد والعجب . وعلامة العجب أن</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>ألا يسلم بعقل أحد ورأيه وصاحب العجب كثيرا مايقع في الخطأ .</p>	<p>يرضى بنفسه وعقله ، ولايقبل من أحد شيئا إذا نصحه .</p>
<p>الخصلة الرابعة والعشرون : اجتناب الحسد ، وعلامة الحسد أن يعبط عبدا أتاها الله نعمة من لده . ويرجو زوالها ، وهذه الصفة تقيم العبد دائما في عذاب أليم .</p>	<p>الثانية والعشرون : إياه والحسد ولامة الحسد أن يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله .</p>
<p>الخصلة الخامسة والعشرون ألا يشرع في أمر يرد قلبه عن الذكر . ويضعفه ويفسد ذوقه في طلبه ، ويرده عن الطريق . وينبغي أن يسعى حتى يجد الطريق إلى مقعد صدق عند ملك مقتدر . بحيث إن كل بلاء ومشقة يتوجهان إليه يبدو أن نه سهلين بسيطين</p>	<p>الثالثة والعشرون : ألا يشتغل بما يشغل قلبه عن مولاه ، فيقعد عن جهده (١) وأن يقعد في مقعد صدق عند ملك مقتدر حتى تهون عليه كل شدة</p>

(١) في النص : عن جهده .

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>فائدة : في بيان أن هناك أربعة أشياء ضرورية للمريد : أولها : دابة حاذقة ( ص ٢٨١ ) تكون ماهرة في قطع المسافات وسرعة السير .</p>	<p>الرابعة والعشرون : يحتاج المريد إلى أربعة أشياء : دابة قاهرة : ودار واسعة : وثوب حسن ، و سراج مضيء .</p>
<p>ثانيها : دار واسعة ، يسكن إليها ويستريح فيها .</p>	
<p>ثالثها : ثوب حسن ، يبدیه بهى المنظر .</p>	
<p>رابعها : سراج مضيء .</p>	
<p>فالأولى : دابة حاذقة ، هى الصبر . يمتطيها متوجها إلى العبادة . ومجتنبا المعصية . ومتحملا في نزول البلاء .</p>	<p>فأما دابة قاهرة . فهى الصبر .</p>
<p>والثانية : الدار الواسعة ، هى العقل ، فبالعقل يمكن الأمن من مضائق وساوس الشيطان . ومهالك مخالفة النفس .</p>	<p>وأما دار واسعة . فهى العقل .</p>

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
وَأَثُوبَ حَسَنٍ ، فَهُوَ الْحَيَاءُ .	والثالث : الثوب الحسن ، هو الحياء ، فلباس الحياء يمكن اجتناب الأفعال والأقوال المبتذلة . ويمكن أَنْ تُؤَدِّبَ النفس بالآداب الروحانية .
وَأَمَّا سِرَاجٌ مُضِيءٌ . فَهُوَ الْعِلْمُ .	والرابع : السراج المضيء ، وهو العلم النافع ، الذي يبلغ المريد في طريق الاستقامة بنور الهداية ، ويرشده إلى منابع التوفيق .
( ص ٢٨٢ ) وَوَصِيَّتِي <sup>(١)</sup> لَهُمْ بِحِفْظِ الْعَهْدِ ، وَالْوَفَاءِ بِالْوَعْدِ ، <sup>(٢)</sup> وَذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَكَيْفَانِ الْفَقْرَ ، وَالْقَعُودَ مَعَ الْحَقِّ فِي طَرِيقِ الْحَقِّ ، حَتَّى يَصِلَ بِالْحَقِّ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ	واعلم أَنَّ وصيتي حفاظ على ست : الأول : الحفاظ على العهد ، فلا يجوز نقضه فهذه ضعة .

( ١ ) هي الوصية الخامسة والعشرون وإن لم يذكر العدد في النص .

( ٢ ) ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صام وصلى وحج واعتبر وقال إني مسلم من إذا  
حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أئتمن خان . رواه أبو الشيخ عن أنس جامع ١١٩/١ المترجم .

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>الثاني : الوفاء بالوعد ، فوعده الكذب علامة النفاق .</p>	<p>وصلى الله على خير خلقه محمد وآله أجمعين .</p>
<p>الثالث : ملازمة عتبة الحق بالمجاهدات والرياضات ، وتحمل البلاء والمخالفات ، حتى يصير مستعدا لقبول الصدق ، وقابلا للفيض الإلهي وأسراره .</p>	
<p>الرابع : ملازمة ذكر الله تعالى على كل حال ، حتى ينجلي القلب وينشرح ويجد الإخلاص من وحشة الغيرية .</p>	
<p>الخامس : إخفاء الفقر ظاهر أو باطنا من نظر النفس وحب المدح ، وأن يحفظ قدره عن العمل .</p>	
<p>السادس - الجلوس مع أهل الحق ، في الكلام بأسرار الحق حتى يصل بمعونة الحق وهدايته إلى حضرة الحق إن شاء الله تعالى .</p>	

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>(ص ٢٨٣) وحسبنا الله ونعم الوكيل . نعم المولى ونعم النصير . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر المحجلين .<sup>(١)</sup> وسلم تسليما كثيرا والحمد لله وحده .</p>	

( ١ ) في النص بياض يذكر فيه هذه عادة . المترجم .

( ص ٢٨٤ )

## معتقد ابن خفيف

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
<p>قال الشيخ الكبير أبو عبد الله ابن الخفيف ، قدس الله سره : هذا معتقدي ومعتقد الأئمة السادة والعلماء الصياد القادة الذين قبلي وفي زمانى من أهل السنة والجماعة :</p>	<p>معتقد قطب الأولياء والمحققين ، سلطان الموحدين أبي عبد الله محمد بن الخفيف ، قدس الله روحه العزيز .</p>
<p>الحمد لله الذى هدانا السبل ، وأنزل إلينا الكتاب ، ومن علينا بالرسل ، وبين الآثار والسفن ، وفصل الآيات والصور ، فحذر وأنذر ، ونهى وأمر ، وحرم</p>	<p>قال الشيخ أبو الحسن على بن محمد الديلمى نور الله قبره فى .... السير : سمعت الشيخ أبا عبد الله بن خفيف ، قدس الله روحه . وترجمه إلى الفارسية مولانا زين الدين ناينى رحمه الله .</p>



مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>مثله (٢)</p>	<p>وحرص وزجر . وجعلها عظة لمن انعظ . وعبرة لمن اعتبر . ولله الحمد أولا وآخرا . وظاهرا وباطنا . والصلاة على خير خلقه محمد المصطفى وآله الطيبين الأخير .</p>
<p>أما بعد . فحقا وصدقا أن العاقل هو من صحح اعتقاده . حتى لا يخلج حينما يلتقي الله تعالى . ويخلص نيته ويصفيها . حتى يشرع في أعماله وأفعاله طاهرا ، وكما ينبغي أن يكون . ويشتغل بالأعمال الحسنة . وينضي أيامه في الطاعة حتى يكون ذلك عوناً له وذخراً في الغد . حين تقوم الساعة . وينبغي أن يعلم العبد أن الله</p>	<p>(ص ٢٨٥) أما بعد فإن العاقل من صحح اعتقاده علة للقاء ربه ، وأخلص نيته تزكية لأعماله . وأحسن عبادة ربه ذخراً لميعاده وعلم أنه لم يخلق عبثاً ولم يترك سدى فيجتهد في توثيق عرى دينه وتصفيته عمله وتصحيح عبادته فيه يتم ويصفو . ويزيد وينمو . والله الموفق لسبل الرشاد ولما يحب ويرضى .</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>تعالى لم يخلقه عبثاً ، ولن يتركه سدى . إذن فمادام الأمر كذلك ، ينبغي عليه أن يجتهد ، ويكافح في تثبيت دينه وأحكامه ، وتصفية أعماله وأفعاله . وتنقيتها وتصحيح عبادته ، فبهذا الأمر يتم الدين ، ويزداد ويصفو ، والله تبارك وتعالى هو الموفق ، ويبدى (ص ٢٨٦) طرق الخير والصواب ، فياإلهى هب الجميع توفيق الهداية إلى الطريق بحق محمد وآله .</p>	
<p>مثله .</p>	<p>فأول ما يحتاج إليه لعبد</p>
	<p>اعتقاده في التوحيد<sup>(١)</sup> تتم به سائر الأعمال .</p>
<p>والاعتقاد في التوحيد أن يعلم يقيناً ، أن الله تبارك وتعالى</p>	<p>فيعتقد أن الله واحد لا من حيث العدد ولا كالأحاد ، وأنه</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>الجدير بالعبادة واحد ،          لا من حيث العدد ولا كآحاد          الخلق ، شيء ليس كمثله شيء ،          لا شيء نده ، ولا شيء ضده ،          أي لا يوجد من يخالفه أو يخاصمه ،          ولا شريك له في ملكه أو ملكوته ،          لا هو بجسم أو جسماني ، ولا هو          بعرض تكون به حاجة إلى شيء          لكي يوجد ، ولا هو بجوهر ،          ( ص ٢٨٧ ) وليس محلا          للحوادث ، فلا يستطيع حادث          أو حادثة أن يحل به ، ولن          تستطيع ولا يمكن أن تستطيع .          وهو العالم بكل ما كان ، وما هو          كائن . وما لم يكن بعد ،          فما دام خالقه ، فكيف يكون          بدونه .</p>	<p>شيء لا كالأشياء ، وأنه لا شبه          له من خلقه ، ولا ضد له في          ملكه ، ولا ندله في صنعه ،          ولا هو جسم ولا عرض ولا جوهر ،          وليس بمحل الحوادث ولا          الحوادث محل له ، ولا حال في          الأشياء ، ولا الأشياء حالة فيه ،          ولا يتجلى في شيء ، ولا استتر          بالحدث ، وأنه العالم بما كان          وبما يكون وبما لا يكون لو كان          كيف يكون .</p> <p>ويعتقد أنه كان ولا شيء معه ،          أنه عالم لا معلم ، ومقادير</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>وينبغي أن يعتقد أنه كان ولم يكن معه شيء قط ، وأنه عالم ولم يكن ثم معلوم قط ، أي أنه كان يعلم الأشياء قبل أن يخلق هذه الأشياء ، وأنه قادر ولم يكن ثم مقدور . أي أنه قادر على ما يريد ، وإن لم يكن ثم شيء . وأنه الراجي وإن لم يكن ثم مرئي ، أي شي لا يمكن رؤيته . وأنه الرازق ولا مرزوق أي أنه مقسم<sup>١</sup> الأرزاق . وإن لم يكن مرزوق . وخالق ولا مخلوق . أي أنه الخالق وإن لم يوجد المخلوق بعد . أي أنه يستطيع أن يخلق وإن لم يخلق .</p>	<p>ولا مقدور . وراء ولا مرئي . ورازق ولا مرزوق ، وخالق ولا مخلوق .</p>

عربي الأصل	مترجم عن الفارسية
والعلم غير الرؤية . وأنه يرى ( ص ٣٨٨ ) الأشياء موجودة ويعلمها معدومة والمعدوم ليس بمبرئ ولا هو شيء .	مثله .
والصفة لاهي الموصوف بل هو معنى في الموصوف قائم بالموصوف .	مثله .
وهو عالم بعلم ، وقادر بقدرته والصفات مأخوذة من السمع ، أما ما وصف الله به نفسه ، أو وصفه <sup>(١)</sup> به رسوله . أو أجمع المسلمون على صفته . لا تؤخذ أسماؤه تلقيا ولا قياسا ، والاسم والصفة ليسا مخلوقين . وكلام الله تعالى منه وإليه مسموع ومكتوب ومحفوظ ومتنوع ومدروس .	ويعتقد أن الله تعالى عالم بعلم ، أي عالم بكل شيء بعلمه ، لا كذاك العالم لانتفاء الجهل عن ذاته ، وهو قادر بقدرته ، أي قادر على كل شيء بقدرته ، لا كذاك القادر لانتفاء العجز عن ذاته ، وأسمائه وصفاته مأخوذة من السمع ، أي أن أسماءه وصفاته كما بلغتنا عند العبيد من

( ١ ) في النص : أو وصف .

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>الله تبارك وتعالى ، فبعضها  قد وصف به نفسه ، أو  دعا بها نفسه ، وبعضها  الآخر ( ص ٢٨٩ ) قالها  الرسول صلى الله عليه وسلم ،  وبعضها الآخر بإجماع المسلمين ،  أى باتفاق أهل الحل والعقد  الذين لا تلحق بدينهم أو  ديانتهم أدنى شبهة ، مثل  الصحابة والتابعين والعلماء  الراسخين الذين اتبعهم  المجتهدون</p> <p>ولا يقال قياسا ، أى لا تشتمق  أسماء من صفاته ، فهذا لا يصح ،  وأسماءه وصفاته ليست لمخلوق  قط . فكلام الله منه وصفته ،  وليس محدثا ولا حادثا ،  وهو ما يسمع حين القراءة ،  وما يقرأه القراء ، وما كتب</p>	

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>في المصاحف وذكر في القلوب وحفظ .</p>	
<p>ويعتقد أن الله تعالى مستو على العرش ، دون صفة أو كيفية ، وأنه يثزل إلى السماء عند الأسحار ، بمعنى الصفة لا بمعنى الانتقال .</p> <p>الصفة لا بمعنى الانتقال ، أي يقترب بصفة الرحمة .</p>	<p>ويعتقد أنه على عرشه استوى ، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا عند الأسحار بمعنى الصفة لا بمعنى الانتقال .</p>
<p>ويعتقد أنه خلق آدم بيده لا بيد قدرته ، بل بيد صفته ( ص ٢٩٠ ) أي أن اليد صفة من صفات الله تعالى . كما يليق بعظمته ، ولا حاجة إلى التأويل بأن يقال إنها يد قدرته .</p>	<p>وأنه خلق آدم عليه السلام بيده لا بيد قدرته بل بيد صفته .</p>
<p>ويعتقد نفس الاعتقاد في كل الأخبار الصحيحة ، التي رويت في باب الصفات لله تعالى ، وينبغي أن يعتنقها</p>	<p>وهكذا جميع الأخبار الصحيحة التي رويت في الصفات يعتنقها إيماناً ، وتسلياً لمقايضة ومناقشة .</p>

مترجم عن الفارسية	عربي الأصل
<p>إيماننا وتسليمنا لا قياسا ومناقشة ، أوجدالا ومباحثة . مثله .</p>	<p>ويعتقد أنه تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة : كما يروون القمر ليلة البدر ، لا يضامون في رؤيته من غير إحاطة ولا تحديد إلى حد ، مستقبل أو مستدبر ، أو فوق أو تحت . أو يئمة أو يسرة .</p>
<p>مثله .</p>	<p>(ص ٢٩١) ويعتقد أنه تعالى فعال لما يريد ، لا ينسب إلى الظلم ، وأنه يحكم في ملكوته كيف يشاء بلا اعتراض ، ولا مرد لقضائه ولا معقب لحكمه .</p>
<p>مثله .</p>	<p>ويعتقد أنه تعالى يقرب من يشاء بغير سبب ويبعد من يشاء بغير سبب . إرادته في عباده ما هم فيه ، وبرضاه طاعتهم ، والمعصية ، بمراده لابرضاه .</p>



النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>ويعتقد أن الله تعالى هو العاطي . يعطي من يشاء ما يشاء ، ولا يعطي لمن لا يشاء وكذا يمدح الله عز وجل ويذم ، أى أن كل من يمدحه ويثني <sup>(١)</sup> عليه طيب ومقبول . وكل ما يذمه ويقبحه خبيث ومروء .</p>	<p>(ص ٢٩٢) ويعتقد أنه يعطي ويمنع ويذم ويمدح .</p>
<p>ويعتقد أن الأفعال لله والكسب للعبيد ، أى أن كل ما يصدر عن العبد من طاعة ومعصية . يخلقها الله تعالى بتمامها ، ولكن صورة الكسب للعبد ، والكسب أيضا مخلوق من الله تعالى . لا من خلق العبد ، فليست للعبد قدرة على خلق شيء قط . ولا يكون أبدا .</p>	<p>ويعتقد أن الأفعال لله تعالى لا للخلق ، والاكْتِسَابُ للخلق والاكْتِسَابُ خلق الله لا خلق لهم .</p>

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
	<p>وأن الأشياء لا تعمل بطبيعتها ،  فلا الماء يروى ، ولا الخبز  يشبع ، والنار (ص ٢٩٣)  تحرق ، بل يحدث الله تعالى  الشبع عند الأكل ، والجوع  في غير وقت الأكل ، وهكذا  الشرب من الشارب ، والرى من  الله تعالى ، والقتل من القاتل ،  والموت من الله تعالى ، لا يدركه  الوهم ، ولا يحيط به العلم  ولا ينغته العقل .</p>
<p>هو الواحد الأحد . الفرد  الصمد ، له الأسماء الحسنى ،  والصفات العلى ، له الحكم  في الآخرة والأولى ، وله  الحمد والشكر والثناء  والمجد <sup>(٢)</sup> . أى أنه الواحد</p>	<p>هو الواحد الأحد الفرد  الصمد <sup>(١)</sup> له الأسماء الحسنى ،  والصفات العلى ، له الحكم في  الآخرة والأولى ، وله الحمد  والشكر والثناء والمجد .</p>

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>لا شريك له ولا ضريب في الذات (ص ٢٩٤) والصفات ، وهو ملجأ المحتاجين ، أى حيثما كان أو يكون لأحد أو لشيء حاجة فهم محتاجون لحظيرته ، وهو لم يكن محتاجا لشيء أو لأحد ولا يكون ، له الأسماء الحسنى والصفات العلی العظيمة ، له الحكم والأمر في الدنيا والآخرة ، وهو الجدير بالمجد والعظمة والكبرياء</p>	
<p>ينبغي أن يعتقد العبد أن النبوة والرسالة حق ، وأنها الحجة على الخلق من جن وإنس ، وحجة ناصعة ، قاطعة للعدر . أى لم يبق لشخص قط عذر . — كأن</p>	<p>ثم يعتقد أن النبوة حق وأنها الحجة على الخلق القاطعة للعدر .</p>

### فصل

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>يقول : لم أعلم كذا ، أو لم يبلغني ، ذلك أن الأنبياء قد أتوا ، وبينوا جميعا بين الخلق أحوال الدنيا والاخرة من الخير والشر . وما ينبغي فعله وما لا ينبغي . وما ينبغي قوله ، وما لا ينبغي ، وما ينبغي التفكير فيه وما لا ينبغي .</p> <p>ويعتقد أن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأفضلهم وخاتم النبوة ، أى لاني بعده ، وأن الامتثال لأوامره والسير على منهجه حق ، وعلى جميع الناس أن يمثلوا لأوامره ويجتنبوا نواهيه ، فمخالفته كفر ، وكل من يخالفه قولاً أو فعلاً فهو كافر ، وكل أمر أو قول ، قاله صلى الله عليه وسلم ، فرض . إلا ما قام عليه الدليل بأنه سنة فهو سنة .</p>	<p>(ص ٢٩٥) وأن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم . خير الأنبياء والمرسلين ، وخاتم النبوة ، لاني بعده ، طاعته فرض ، ومخالفته وأمره حتم . إلا ما قام به دليل ندبه . وأفعاله سنة .</p>

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>ويعتقد أنه ليس كأحد  في كل المعاني ، بل إن  له عدة أشياء لم تكن لأحد  من البشر ولن تكون . وقد  اطلع على علوم لم يطلع عليها  أحد قط : وأنه ( ص ٢٩٦ )  اطلع على ما كان وما سيكون :  وأنه أخبر عن علم الغيب .  وعلمه الله تعالى إياه .</p>	<p>ويعتقد أنه ليس كأحدنا في  جميع معانيه : وأنه قد اطلع  على علوم لم يدع الخلق إليها .  وأنه العالم بما كان وما يكون  وأخبر عن علم الغيب .</p> <p>وأنه رفع في المعراج لأرويا :  رأى رأى ربه عز وجل . وكلمه  وأوصاه وفرض عليه وأباح له .  وأنه رأى الأنبياء عليهم الصلاة  والسلام ودخل الجنة ورأى النار ،  وأنه سأل فأعطى : وقال فسمع ،  وأنه أول شافع : وأنه أول من  يقوم من القبر . وأنه أول  من يدخل الجنة : وأنه بعثه</p>

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
<p>الله تعالى إلى الجن والإنس كافة ،  وأن شريعته نسخت الشرائع  التي قبله ، وأنه بلغ الرسالة ،  ونصح الأمة ، وأنه غفر له  ما تقدم من ذنبه وما تأخر .  وفرض الله عليه أشياء دون أمته ،  وحظر<sup>(١)</sup> أشياء أباحها على غيره ،  وكل ذلك إكراما له صلى الله  عليه وعلى آله وعلى صحبه .</p>	<p>مثله .  بقية ص ٢٩٦ ، بداية  ص ٢٩٧</p>

### فصل

<p>يعتقد أن الإيمان هو صفة  المؤمن ، والتوحيد صفة الموحد ،  والمعرفة صفة الموحد ، والمعرفة  صفة العارف ، والمحبة صفة  المحب . كما أن اللم صفة  العالم ، والقدرة صفة القادر .</p>	<p>مثله .</p>
--	---------------

( ١ ) في النص : خطر .

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>ويعتقد أن الإيمان قول وعمل ونية ، أى أن يقر بلسانه ما ينبغي الأقرار به ، وأن الإيمان يزداد ، كما أنه يقبل النقصان.  مثله .</p>	<p>والإيمان قول وعمل ونية يزيد وينقص .  وأنه نور يقذف في القلب ، لأنور الذات ، والإيمان غير الإسلام ، والتوحيد غير المعرفة ، والمعرفة غير الإيمان .</p>
<p>ويعتقد أن معرفة الصانع ضرورة ، أى أن المرء لا يستطيع أن يعرف الصانع الخالق ، دون أن ينتبه ، ويعمل فكره ، ويتدبر ويتفكر .</p>	<p>(ص ٢٩٨) ويعتقد أن معرفة الأثبات للصانع ضرورة .</p>
<p>ومعرفة صفات الله تعالى مكتسبة ، أى أن الله تعالى يعرفها للعبد بجهده وكسبه ، ومعرفة التخصيص موهبة ، أى أنها المعرفة الخاصة التي قلنا أنها غير الإيمان .</p>	<p>ومعرفة الصفات مكتسبة ، ومعرفة التخصيص موهبة ، وأصل الإيمان موهبة وشرائطه مكتسبة .</p>

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>وتكون للأولياء من عطاء الله ولكن شرائطها مكتسبة .</p> <p>ويعتقد أن للإيمان والتوحيد ، والمعرفة ظاهرا وباطنا وحقيقة ... إلى آخره .</p>	<p>ويعتقد أن الإيمان والتوحيد والمعرفة ظاهر وحقيقة ، وأنه تعالى دعا الخلق إلى ظاهرها وهدى من شاء لحقيقتها .</p>
<p>ويعتقد أن الاستطاعة والقدرة مع الفعل . أي حينما (ص ٢٩٩) [٢] يشتغل العبد به ويفعله ، يهبه الله القدرة . وأنه يخلق هذا الفعل أيضا ، ذلك أن القدرة قد قبل أن ينشغل العبد به .</p>	<p>وكل مؤمن مسلم ، لا كل مسلم مؤمن .</p> <p>ويعتقد أن الاستطاعة مع الفعل .</p>
<p>مثله .</p>	<p>وأن نعيم أهل الجنة باق مع بقاء الله تعالى ، وعذاب أهل الكفر باق مع بقاء الله تعالى .</p>



النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
مثله .	والمؤمنين يخرجون من النار . والكبائر لا تدخل فاعلها في النار . ويعتقد أن الله تعالى لا يجبر عباده على معصيته .
مثله .	وأنه لا يدخل الجنة أحد بعمله ، إلا بفضلله ورحمته ومنه .
مثله . ١	ويعتقد أن الجنة حق . والنار حق ، والبعث حق ، والحساب حق ، والميزان حق . والصراط حق ، وعذاب القبر حق ، وسؤال منكر ونكير حق .
مثله .	(ص ٣٠٠) ويعتقد أن خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبو بكر . ثم عثمان ، ثم علي ، رضوان الله عليهم أجمعين .
مثله .	ويعتقد أن خير القرون ما بعث فيه النبي عليه الصلاة والسلام ،

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>مثله .</p> <p>زيادة هنا إلا أن يأمر بكفر أو معصية .</p>	<p>ثم الصحابة ، ثم التابعون ، ثم الأفضل بالأعمال ، ومن رأينا له فضلا شهدنا له به .</p> <p>ويعتقد أن من شهد الشهادتين ، وصلى إلى القبلة ، وآتى الزكاة وصام شهر رمضان ، وحج البيت لم نشهد له بالجنة ولا بالنار ، ولا نشهد عليه بالكفر إلا على معنى من معاني الكفر ، ووجه من وجوهه ، مثل قول الله تعالى : « وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » ١١ .</p> <p>فمن لم يحج فليس بكافر : ويصلى خلف ( ص ٣٠١ ) كل بر وفاجر ، ويطيع الوالى ولو كان عبدا حبشيا .</p>

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
<p>مثله .</p> <p>وأخبار الآحاد ، هي التي رويت عن الرسول عليه الصلاة والسلام . ولم يصل رواها إلى حد يوجب الجزم والقطع على صدقها ، والأخبار المتواترة ، هي التي وصل فيها الرواة في كل طبقة إلى حد يحصل به الجزم والقطع ، ويتعين أن هذا الحديث عن الرسول صلى الله عليه وسلم .</p>	<p>ويعتقد أن أخبار الآحاد ، توجب العمل ، ولا توجب العلم وأخبار التواتر ، توجب العلم والعمل .</p>
<p>مثله .</p>	<p>(ص ٣٠٢) والعقل لا يحسن ولا يقبح والشرع حاكم على العقل ، والناس علماء العدالة حتى يظهر الجرح . ﴿ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ﴾</p>

النص العربي	المترجم عن الفارسية
والأشياء على الأباحة حتى يقوم دليل الحظر وأموال المسلمين وذبائهم حلال إلا ما رويناه فيه التحريم .	مثله .

### فصل

ونذكر في الفصل لرباع ما تختص به هذه الطبقة أعني الصوفية دون غيرهم .	
ويعتقد أن الفقر أفضل من الغنى ، والزهد في الكلية أفضل منه في البعض .	مثله .
(ص ٣٠٣) والوصول إلى الحق من غير طريق العبادة محال ، والرؤية في دار الدنيا محال .	
والنبوة أجل من الولاية .	
ولا يبلغ إلى درجة النبوة بانعمل .	

النص العربي	الذي مترجم عن الفارسية
<p>وانعجزة للأنبياء والكرامة للأولياء ، والفراسة كسب ، والمحدث ، والمكلم غير صاحب الفراسة ، والحرية من رق العبودية باطلة . ومن رق النفوسية جائزة . والعبودية لا تسقط بحال والصفات من العارفين تفنى ومن المريدين تخمد ، والرجوع بعد الوصول جائز .</p>	<p>والحرية من العبودية باطلة أى إذا تصور امرؤ أن العبد يجوز له فى حياته أن يتحرر من قيد العبودية . وأن تسقط عنه التكاليف الشرعية فهو على باطل . ولكن التحرر جائز من رق النفوسية . أى يجوز للعبد أن يتحرر العبد من قيد نفسه وغلها ، والرق والعبودية لا يستطآن من العبد بحال ، ولا يسقط عنه ( ص ٣٠٤ ) اسم العبودية ، والصفات عن العارفين<sup>١</sup> فانية . ويجوز أن تسكن وتخمد عن المريدين ، ويجوز عليه أن يرجع بعد الوصول ، أى يمكن أن يكون فى مقام القرب ، ويرد ثانية .</p>
<p>ويعتقد أن العبد ينقل فى الأحوال حتى يصير إلى نعت ١١ . حانة ، فعلا الغيب . تطه ، مثله .</p>	

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
مثله .	له الأرض ويمشى على الماء ، ويغيب عن الأبصار .
مثله .	والسكر للمريدين حق ، وللعارفين باطل ، وغلبات الحق على سائر الخلق جائز ، والأحوال للمتوسطين والمقامات للعارفين ، والشدة للمريدين ، والصحو أفضل من السكر ، والآماد أفضل
لم تترجم في النص الفارسي . مثله .	<u>من الاصطلام ودخول العارف في</u> الأشياء غير قادح في حاله ، وإذا صح التوكل لم يضر الادخار .
مثله .	( ص ٣٠٥ ) ويعتقد أن
مثله . زيادة : لقوله تعالى «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» <sup>(١)</sup>	عصيان الأنبياء سبب لقربتهم ، وفوائد لأمتهم ، ولا يسمون عصاة لعصيانهم ، بل نقول عصى آدم ، ولا نقول هو عاص .

النص العربي	النص المترجم عن الفارسية
ويعتقد أن التصوف ليس بعلم ، ولا عمل ، بل هو صفة يتحلى بها ذات الصوفى ، وله علم وعمل ، وهو ميزان العلم والعمل ، والتصوف غير الفقر ، والتقوى غير التصوف ، وليس للفقيه أن يتصرف فى الأسباب ، وللصوفى التصرف ، والأحوال لانهاية لها ولكل حال نهاية فى الحال ، والمعرفة والإيمان والتوحيد ليس بأحوال ، والوجود ليس بحال ، وهو مصحوب العبد فى الأحوال ، ومعرفة المعترفين غير معرفة المعرفين ، (ص ٣٠٦) والسماع للعارفين جازى ، وللمريدين باطل ، وليس هو بحال ولا قرينة وتركه أولى على الجملة لكثرة	مثله . زيادة بعد الصوفى : وهو موهبة الهية . مثله . مثله . مثله . مثله . مثله . مثله . مثله . زائد بعد قرينه : يوجب الثواب
آياته وعظم فتنة	

النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
مثله .	ويعتقد أن جميع ما يجده
مثله .	الواجد فهو واجد لا غير ، والحق
مثله .	من وراء ذلك ، ومن سمع
	بالله كفر ، ومن سمع بخلافه
	بمعنى النفوسية فسق .
بعد محفوظ زائد : أى من الكفر	ويعتقد أن الواجد المحقق
والفسوق .	محفوظ . وأهل الغلبات يجرى
مثله .	عليهم ما يفوتهم به الواجبات .
مثله .	فإن أقاموا عادوا وإن مضوا في
مثله .	سكوتهم عذروا ، والشيطان لا يعلم
مثله .	مافى قلب العبد . وليس له
مثله .	الوسوسة في شيء . (ص ٣٠٧)
مثله .	ويعتقد أن النفس غير الروح .
مثله .	والروح غير الحياة ، والروح
مثله .	يفارق الجسد إذا نام . والحياة
مثله .	لا تفارق الجسد إلا إذا مات
..	..



النص المترجم عن الفارسية	النص العربي
غير موجودة في الترجمة الفارسية .	وهذا كله ما حضر الوقت وفيه مقنع لك إن شاء الله تعالى وليكن <sup>(١)</sup> بعد ذلك اعتقادي في الناس الخير والنصح والأمانة ، واحذر فيهم الغدر والخيانة فهي طبايعهم .
مثله .	واعتقد في نفسك السوء
مثله .	والعداوة ، وفي الشيطان العدوان والمخالفة ، حتى تنجوا منهما .
مثله .	(ص ٣٠٨) واعتقد في مولاك
مثله .	الفضل والمنة ، وحسن الظن والرجاء آخر عهدك بالآخرة ، فهو لا يخيب رجاءك ولا يقطع أملك .
زيادة : ظاهرا وباطنا وسلم تسلما كثيرا دائما .	وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(١) في النص : ولكن

( ص ٣٠٩ )

## الباب الثالث عشر في وفاة الشيخ

### فصل (١)

ارتدى الأسمال عشرين سنة ، وكان كل عام يواصل أربعين يوماً ،  
وفي ذلك اليوم الذي مات فيه ، كان قد واصل أربعين أربعيناً ، ومات  
في الأربعين الأخيرة ولم يخلع عن نفسه الأسمال<sup>(١)</sup>

### فصل (٢)

روى أنه حين دنت منيته قال لخادمه : لقد كنت عبدا عاصياً  
آبقاً ، فضع غلا حول عنقي وقيدا على قدمي ، وتوجه إلى القبلة وضعني  
لعله يقبلني ، وبعد وفاته بدأ الخادم في تنفيذ وصية شيخه ، فنودي :  
إحذر يا غافل لاتفعل ، تريد أن تذل من أعز زناه<sup>(٢)</sup> .

### فصل (٣)

الأتابك زنكي بن مودود . . . . . جدد عمارة مزار سلطان الأولياء  
الشيخ أبي عبد الله بن خفيف قدس الله سره ، وأوقف عليه أوقافاً معينه<sup>(٣)</sup> .

---

( ١ ) باللغة الفارسية ، تذكرة ١٢٥/٢ ، وكشف ٤١٧ . ( ٢ ) باللغة الفارسية :  
تذكرة ١٣١/٢ . ( ٣ ) باللغة الفارسية : تاريخ كريدة : ص ٥٠٥ ، نزهة القلوب ١٦٦ .

## فصل (٤)

أبو بكر سعد بن زنكي . . . . أوقف أوقافاً على ماحول مزار الشيخ  
الكبير أبي عبد الله بن خفيف<sup>(١)</sup> .

( ص ٣١٠ )

## فصل (٥)

شيراز : ومن المشاهد بها مشهد الإمام ، القطب الولي أبي عبد الله بن  
خفيف المعروف عندهم بالشيخ ، وهو قدوة بلاد فارس كلها ، ومشهده  
معظم عندهم يأتون إليه بكرة وعشياً ، فيتمسحون به ، وقد رأيت  
القاضي مجد الدين أتاه زائراً واستلمه ، وتأتى الخاتون إلى هذا المسجد في كل  
ليلة جمعة ، وعليه زاوية ومدرسة ، ويجتمع به القضاة والفقهاء ، ويفعلون به  
كنعلهم في مشهد الإمام أحمد بن موسى ، وقد حضرت الموضعين جميعاً ،  
وترية الأمير محمد شاه ينجو<sup>(٢)</sup> والد السلطان أبي إسحق متصلة بهذه التربة<sup>(٣)</sup>

## فصل (٦)

بقاع شيراز : زاوية الشيخ الكبير أبي عبد الله محمد بن خفيف  
الشيرازي ، وقد ذكرت سيره هذا الشيخ الكبير في مقدمة ذكر شعراء شيراز .

وكان لهذا الشيخ الجليل في حياته زاوية عظيمة ، يتردد عليها  
عظماء الرجال من قريب وبعيد . وبعد وفاة الشيخ الجليل ، أضاف  
العظماء الكثير إليها ، وأوقفوا عليها الأملاك ، وأخذوا يفلدون إليها جماعات  
من المدن البعيدة<sup>(٤)</sup> ، للعبادة وتركية النمس ، ولقضاء بعض الأوقات

بفراغ بال<sup>(١)</sup>، ومنذ بداية عهد سلاطين الصفوية أهملت الزاوية، وجاء كريمخان زند، فسوى صحن الزاوية والرباط والجبانة حولها، وحولها إلى ميدان واسع، وفي جوانب هذا الميدان بنى عدة حجرات مساكن لتلامذة الديوان، وبنى على قبر الشيخ مقصورة صغيرة، وهذه المقصورة بجوار الناحية الشرقية للميدان ويسمى هذا الميدان الآن بميدان (بعمل بندان) وهو متصل بسوق الوكيل<sup>(٢)</sup>

(١) في النص : مان وصحتها بال .

# فهرس الكتاب

الموضوع	رقم الصفحة
الاهداء	هـ - و
التقديم	ز
ترجمة المقدمة التركية .....	١
سيرة الشيخ أبى عبد الله بن خفيف الشيرازى ( مقدمة الجنب الشيرازى )	٨٠

## الباب الأول :

فى ذكر مولد الشيخ قدس الله سره	٨٧
--------------------------------	----

## الباب الثانى :

فى ابتداء أحوال الشيخ وارادته ومجاهداته فى العبادة وأول من قابل من المشايخ وفيه عدة فصول	٩١
---	----

## الباب الثالث :

فى بيان رحلات الشيخ رحمة الله عليه وفيه عدة فصول .....	١١٥
--	-----

## الباب الرابع :

فى شرح أحوال عدد من المشايخ الذين لقيهم الشيخ فى مكة	١٢١
--	-----

## الباب الخامس :

فى أحوال الشيخ وما حدث له فى المدينة وبيان الآلام والمشاق والمصائب التى حاقت به وفيه عدة حكايات .....	١٤٨
--	-----

## الباب السادس :

فى نعت عدد من المشايخ الذين لقيهم الشيخ فى العراق	١٥٢
---	-----

الموضوع رقم الصفحة

### الباب السابع :

فى ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا فى فارس ولحق الشيخ بهم  
وصحبهم وفيه عدة فصول ..... ١٨٨

### الباب الثامن :

فى ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا بشيراز وصحبهم الشيخ وفيه  
عدة فصول ..... ٢١٩

### الباب التاسع :

فى شرح الأحلام التى رآها الشيخ وفيه عدة فصول ٢٢٧

### الباب العاشر :

فى شرح كرامات الشيخ وفيه أيضا عدة فصول ..... ٢٤٢

### الباب الحادى عشر :

فى ذكر مشايخ الحديث الذين استمع اليهم الشيخ ..... ٢٥٢

### الباب الثانى عشر :

فى ذكر مصنفات الشيخ ومجموعاته قدس الله روحه ..... ٢٥٧

### الباب الثالث عشر :

فى ذكرى وفاة الشيخ قدس الله روحه ..... ٢٦١

### ملاحق ..... ٢٦٥

ملاحق الباب الثانى : فى ابتداء أحوال الشيخ وفيه عدة فصول ٢٦٦

ملاحق الباب الثالث : فى بيان رحلات الشيخ وفيه عدة فصول ٢٧٢

ملاحق الباب الرابع : فى أحوال عدد من المشايخ الذين لقيهم الشيخ

بمكة ..... ٢٧٧

ملاحق الباب الخامس : فى نعت عدد من المشايخ لقيهم فى العراق ٢٧٨

الموضوع	رقم الصفحة
ملاحق الباب السادس : فى ذكر عدد من المشايخ الذين كانوا فى شيراز وفيه عدة فصول	٢٩٦ .....
ملاحق الباب السابع : فى ذكر عدد من المشايخ الذين مروا بشيراز وفيه عدة فصول	٣٠٤ .....
ملاحق الباب الثامن : شرح كرامات الشيخ	٣١٠ .....
ملاحق الباب التاسع : فى ذكر الأحاديث التى رواها الشيخ وفيه عدة فصول	٣١١ .....
ملاحق الباب العاشر : فى ذكر مصنفات الشيخ وفيه عدة فصول	٣١٣
ملاحق الباب الثالث عشر : فى وفاة الشيخ وفيه عدة فصول	٣٦٦

# منتدى سور الأزبكية

[WWW.BOOKS4ALL.NET](http://WWW.BOOKS4ALL.NET)

<https://www.facebook.com/books4all.net>